

A large, intricate black decorative flourish in the bottom-left corner, featuring swirling, calligraphic patterns that resemble stylized floral or arabesque motifs.

# جَانِثُ الْإِفْكِ

دِرَاسَةُ دَعْوِيَّةٍ

حقوق الطبع محفوظة

# حَادِثَةُ الْإِفْكِ

دِرَاسَةٌ دَعَوِيَّةٌ

تَأَلَّفَ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدَّكْتُورِ

عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ نَاجِيٍّ الرَّحِيلِيِّ

تَحَارِيرُ الصَّبِيَاءِ  
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

## (أصل هذا الكتاب)

رسالة علمية تقدم بها المؤلف إلى كلية الدعوة وأصول  
الدين - قسم الدعوة والثقافة الإسلامية (البرنامج المسائي)  
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كمتطلب تكميلي  
لنيل درجة الماجستير للعام الجامعي ١٤٣١هـ / ١٤٣٢هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا حَقَّقُوا لِقَالِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، أما بعد:

فإنَّ حادثة الإفك مِنْ أعظم ما ابتلي به النبي ﷺ وزوجه الطاهرة العفيفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حيث أراد المنافقون من الإفك اتهام عرض النبي ﷺ بالفاحشة التي لم يُبتَل بها نبيٌّ مِنَ الأنبياء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بغت زوجة نبي قط، ولا ابتلي الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في نسائهم بهذا»<sup>(١)</sup>، ولقد عانى النبي ﷺ وزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أذى المنافقين في الإفك شهراً كاملاً حتى أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، وختم

الآيات بقوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [النور: ٢٦]، فهذه الآيات تضمنت خيراً كثيراً كما بين المولى عليه السلام، فقد برأت ساحة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما أُفِّكَ به عليها، وفضحت مكر المنافقين، وطرق كيدهم للمؤمنين، وبيّنت كيف يتصدى المؤمنون لشروورهم، وعابت من أخطأ من المؤمنين، وبيّنت السنة الصحيحة ما أُجمل ذكره في القرآن الكريم، فشرحت تفاصيل الإفك، وأظهرت لنا حكمة النبي صلى الله عليه وآله وزوجته الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما في تعاملهما مع حادثة الإفك، فكان لزاماً أن نبين هذه الفوائد العظيمة التي تضمنتها هذه الحادثة المحزنة بأحداثها، المفرحة بنتائجها وما آتت إليه، ليستنير من خلالها الدعاة إلى الله تعالى، فالخير كله في اتباع النبي صلى الله عليه وآله والشر كله في التخلف عن نهجه وسننه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، خاصة ونحن في زمن أحوج ما نكون فيه تأسيساً بمنهج الأنبياء في دعوتهم، فيكون الداعية على بصيرة في دعوته، فيقوم دعوته بمقومات الدعوة، ويتجنب معوقاتهما، ويعرف كيف يتعامل مع المناوئين له ولدعوته، ويتخذ الوسائل والأساليب المشروعة في التصدي لهم، كل ذلك من خلال الدليل القاطع، والحجة البينة، وهذا ما أروم الوصول إليه من خلال البحث في هذا الموضوع ألا وهو (حادثة الإفك: دراسة دعوية)

### \* أهمية الموضوع:

أولاً: أهمية تأسّي الدعاة بالنبي صلى الله عليه وآله من خلال حادثة الإفك.

ثانياً: بيان الآثار النفسية والاجتماعية على الداعية في ضوء حادثة الإفك.

ثالثاً: حاجة الدعاة والواقع الدعوي إلى معرفة مقومات الداعية بناءً على ما ورد

في حادثة الإفك.

رابعاً: حاجة الدعاة والواقع الدعوي إلى معرفة معوقات الداعية استناداً إلى ما ورد في حادثة الإفك.

خامساً: أهمية معرفة الوسائل والأساليب الدعوية المشروعة على إثر دراسة حادثة الإفك.

سادساً: عدم تناول هذا الموضوع بدراسة دعوية علمية مستقلة.  
سابعاً: معرفة كيفية التعامل مع المنافقين حال كيدهم للدعاة في ضوء هذه الحادثة.  
ثامناً: وفرة المادة العلمية في الآيات والأحاديث بما يتناسب مع دراستها دراسة دعوية تحليلية.

#### \* أهداف البحث:

تنطلق أهداف الدراسة مما يلي:

- ١ - التوصل للأسباب والأهداف التي دعت المنافقين للخوض في حادثة الإفك.
- ٢ - بيان الأثر النفسي على الداعية من خلال حادثة الإفك.
- ٣ - بيان الأثر الاجتماعي على الداعية على ضوء حادثة الإفك.
- ٤ - معرفة معوقات الداعية إلى الله تعالى استناداً على حادثة الإفك.
- ٥ - معرفة مقومات الداعية إلى الله تعالى بناءً على حادثة الإفك.
- ٦ - التوصل للوسائل والأساليب الدعوية المشروعة من خلال حادثة الإفك.

#### \* تساؤلات البحث:

تنطلق تساؤلات هذه الدراسة مما يلي:

- ١ - ما مفهوم الإفك لغة واصطلاحاً.
- ٢ - ما أسباب وأهداف خوض المنافقين في حادثة الإفك.

- ٣- ما أهمية بيان الأثر النفسي على الداعية على ضوء حادثة الإفك.
- ٤- ما أهمية بيان الأثر الاجتماعي على الداعية من خلال حادثة الإفك.
- ٥- ما مقومات الداعية إلى الله ﷻ استنادًا على حادثة الإفك.
- ٦- ما معوقات الداعية إلى الله ﷻ بناءً على حادثة الإفك.
- ٧- ما هي الوسائل والأساليب الدعوية المشروعة من خلال حادثة الإفك.

## \* حدود البحث:

تنحصر حدود البحث من خلال الآيات القرآنية وما ورد في الكتب التسعة من أحاديث في قصة الإفك.

## \* الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء لم أقف على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع دعويًا، فقد بحثت في مركز الملك فيصل للبحوث العلمية، ومكتبة الملك فهد، وفي الجامعات السعودية، فلم أجد أي بحث دعوي علمي يتعلق به، إلا أنني وجدتُ بحوثًا لحادثة الإفك، وهي على النحو التالي:

١- حادثة الإفك دراسة عقدية، للباحثة عفاف مختار، إلا أن هذه الدراسة اقتصرَت الباحثة فيها على الجانب العقدي؛ ولم تتطرق للجانب الدعوي الذي أنا بصدد البحث فيه.

٢- حادثة الإفك في ضوء الحديث النبوي دراسة تحليلية، للباحث عبد السميع الأنيس، إلا أن هذه الدراسة لم تبحث الجوانب الدعوية في قصة الإفك، مما يدل على أهمية البحث فيه دعويًا.

٣- حديث الإفك دروس وعبر، للباحث عامر حسين سلامة، حيث قام بدراسة حديث الإفك دراسة حديثية مع استقرائه واستنباطه لبعض الفوائد والعبر، والحديث

يزخر بالفوائد الدعوية التي لم يسلط الباحث الضوء عليها، وهذا يبين أهمية دراسته دعويًا.

٤- مرويّات غزوة بني المصطلق، للباحث إبراهيم بن إبراهيم قريبي، وهي رسالة علمية مقدمة لنيل العالمية (الماجستير) من قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، وقد جمع الباحث فيها الطرق والمرويّات في غزوة بني المصطلق، ولم يتصل ببحثه بما أسعى للبحث فيه.

٥- حديث الإفك كما جاء في سورة النور وأثر المنافقين فيه، للباحث عبد الحلّيم بن إبراهيم العبد اللطيف، وهي رسالة علمية مقدمة لنيل العالمية (الماجستير) من قسم الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد درس الباحث الموضوع دراسة تفسيرية، ولم يتطرق إليه بدراسة دعوية، وهذا سعيي إليه بإذن الله تعالى في هذا الموضوع.

#### \* خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة وفهارس علمية.

أما المقدمة فتضمنت ما يلي:

- ١- موضوع البحث.
- ٢- أسباب اختيار الموضوع.
- ٣- أهداف البحث.
- ٤- تساؤلات البحث.
- ٥- حدود البحث.
- ٦- الدراسات السابقة.
- ٧- خطة البحث.
- ٨- منهج البحث.

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإفك لغة.

المطلب الثاني: تعريف الإفك اصطلاحًا.

المبحث الثاني: التعريف بأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفيه خمسة مطالب.

المطلب الأول: اسمها ونسبها ومولدها ووفاتها وزواج النبي ﷺ بها وألقابها.

المطلب الثاني: فضل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

المطلب الثالث: ما تميّزت به، وعظيم أنس النبي ﷺ بقربها.

المطلب الرابع: بعض صفاتها الخُلُقِيَّة.

المطلب الخامس: حكم سب أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الفصل الأول: حادثة الإفك الوقائع والأحداث.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإفك كما ورد في نصوص القرآن والسنة.

المبحث الثاني: أسباب خوض المنافقين في الإفك.

المبحث الثالث: أهداف المنافقين في قصة الإفك.

الفصل الثاني: الآثار النفسية على الداعية من خلال حادثة الإفك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر المواساة على الحالة النفسية للداعية.

المبحث الثاني: أثر ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي للداعية.

المبحث الثالث: الأثر النفسي على الداعية من شدة البلاء.

الفصل الثالث: الآثار الاجتماعية على الداعية من خلال حادثة الإفك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان خطر تعصب الداعية لأهل الباطل من القرابة.



المبحث الثاني: خطورة خوض الداعية في أعراض المسلمين.

المبحث الثالث: خطورة مقالة السوء من الداعية في المجتمع المسلم.

الفصل الرابع: مقومات الداعية إلى الله من خلال حادثة الإفك.

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الصبر على البلاء.

المبحث الثاني: العفو والصفح.

المبحث الثالث: حسن الظن بالله.

المبحث الرابع: الرجاء بالله.

المبحث الخامس: التواضع لله.

المبحث السادس: الصدق مع الله.

المبحث السابع: الثبوت وعدم العجلة.

الفصل الخامس: معوقات الداعية إلى الله من خلال حادثة الإفك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الغضب غير المحمود.

المبحث الثاني: الاستعجال وعدم الثبوت.

المبحث الثالث: الحميّة ونصرة القبيلة.

الفصل السادس: الوسائل والأساليب الدعوية في حادثة الإفك.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الحكمة.

المبحث الثاني: الموعظة الحسنة.

المبحث الثالث: ضرب المثل.

المبحث الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الخامس: الترغيب والترهيب.

المبحث السادس: الخطابة.

الخاتمة.

الفهارس العلمية:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس الكلمات الغريبة.

٦- فهرس القبائل والبلدان.

٧- فهرس المصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

\* منهج البحث:

سيكون منهجي في البحث قائماً على المنهج الوصفي والتحليلي ويقصد به: «دراسة وتحليل ما حصل عليه الباحث من معلومات تحليلاً كمياً أو تحليلاً كيفياً»<sup>(١)</sup>.

وبناءً على ذلك فسيقوم الباحث بالإجراءات التالية:

(١) المدخل إلى بحث في علوم السلوكية، صالح العساف، ص: ٢٠٦.





(١) عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.  
(٢) جمع روايات حديث الإفك من الكتب التسعة، ورأيت أن يكون عرض هذه الروايات حسب المنهجية الآتية:

١- الاعتماد على رواية الإمام مسلم بن الحجاج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيحه، بحيث تكون أصلاً في سياق القصة وعرضها وسردها؛ وذلك: «لما اختص به من جمع الطرق وجودة السياق والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى»<sup>(١)</sup>.

٢- أثبتت زيادات باقي الكتب التسعة على رواية مسلم بين قوسين معقوفين [ ].

٣- دججت بين رواية مسلم والزيادات عليها في سياق واحد.

٤- أثبتت فروق الألفاظ (المؤثرة أو المهمة) بين رواية مسلم وبقيّة ألفاظ روايات أصحاب الكتب التسعة في الحاشية السفلية.

٥- لم أهتمّ بإثبات موافقة ألفاظ روايات أصحاب الكتب التسعة للفظ المسوق من رواية الإمام مسلم؛ لأنه بذكر ألفاظ رواية الإمام مسلم يثبت المراد (وهو: صحة ذلك اللفظ في الحديث)، كما أن ذكر الموافقين للإمام مسلم في جميع ألفاظ القصة يؤدي لإطالة لا داعي لها.

ويحسن أن أنبه هاهنا أن ما سأذكره من الروايات في هذا المبحث فإنني لا أعيد تخريجه إذا ذكرته مرة أخرى في ثنايا ما يأتي من مباحث الرسالة، وذلك اكتفاءً بالتخريج الذي سأورده.

(٣) عزو الأحاديث النبوية إلى مظانها، عدا حديث الإفك، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به وإلا عزوته إلى مظانه من الكتب التسعة مع ذكر كلام العلماء في بيان درجته.

(١) تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٤).

- (٤) عزو الآثار إلى مظانها.
- (٥) توثيق النصوص والأقوال من مصادرها.
- (٦) الاختصار في جمع المادة العلمية على المصادر التالية وذلك نظرًا لطول البحث:
- ١- القرآن.
- ٢- الكتب التسعة.
- (٦) توضيح المسألة المدروسة بالأمثلة الكافية في ذلك.
- (٧) ترجمة الأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في البحث ترجمة موجزة.
- (٨) التعريف الموجز بالأماكن والبلدان والقبائل والفرق وكل ما يحتاج إلى تعريف.
- (٩) شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية.
- (١٠) الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
- (١١) وضع فهرس علمية في آخر الرسالة على النحو المبين في الخطة.



# تمهيد

## وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإفك لغةً.

المطلب الثاني: تعريف الإفك اصطلاحاً.

المبحث الثاني: التعريف بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمها ونسبها ومولدها ووفاتها وزواج النبي

ﷺ بها وألقابها.

المطلب الثاني: فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

المطلب الثالث: ما تميّزت به، وعظيم أنس النبي ﷺ بقربها.

المطلب الرابع: بعض صفاتها الخُلُقِيَّة.

المطلب الخامس: حكم سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.





## المبحث الأول المطلب الأول: تعريف الإفك لغةً

📖 (الإفك):

\* إما: مصدر الفعلين (أَفَكَ) و(أَفَكَ) الثلاثين المجردين، يقال: (أَفَكَ - يَأْفِكُ، وَأَفِكَ - يَأْفِكُ، إِفْكَاً، وَأَفْكَاً، وَأَفُوكَاً)<sup>(١)</sup>، و(الإفك) مخفف من (الأفك)؛ كالكَذِبِ واللَّعِبِ؛ وأصلهما: الكَذِبُ واللَّعِبُ<sup>(٢)</sup>، وقد قُرئ قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُونَ إِفْكَاً﴾ [العنكبوت: ١٧]: (أَفْكَاً) - بفتح الهمزة وكسر الفاء -<sup>(٣)</sup>.

وإما: بمعنى اسم المفعول؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٨]، والمعنى: وهذه الآلهة مأفوكهم<sup>(٤)</sup>.

وأصل مادته (الهمزة، والفاء، والكاف)، وهو أصل واحد يدلُّ على قَلْبِ الشَّيْءِ وصرفه وتحوله عن جهته ووجهه الذي يحقُّ أن يكون عليه<sup>(٥)</sup>.

ولذلك كان من معاني (الإفك): الكَذِبُ -مطلقاً-<sup>(٦)</sup>، والكذب المصنوع

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٩٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٥٦)، لسان العرب (١٠/ ٣٩٠)، القاموس المحيط ص: (١٢٠٣).

(٢) الكشف (٣/ ٤٥١)، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٣٣٥)، الدر المنصون (٩/ ١٤).

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٣٢٨).

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية (١١/ ٦٨٦١)، مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٣٤).

(٥) معجم مقاييس اللغة (١/ ١١٨)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم (١/ ٣٤).

(٦) العين (٥/ ٤١٦)، تهذيب اللغة (١٠/ ٣٩٦)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)

(٤/ ١٥٧٢)، مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٣٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٥٦)،

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٥٥٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

الثاني (١٨/ ١١١).

المموه<sup>(١)</sup>، وأسوأ الكذب وأشدّه وأقبحه<sup>(٢)</sup>، وأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء<sup>(٣)</sup>، والبهتان الذي لا تشعر به حتى يفجأك<sup>(٤)</sup>، والزور<sup>(٥)</sup>؛ سمي بذلك لأنه قولٌ مأفوكٌ عن وجهه وسنّته<sup>(٦)</sup>، ومصروفٌ عن الصدق ومقلوبٌ عنه<sup>(٧)</sup>، ولأنّه صرفٌ وقلبٌ للأمر عن حقيقته وعن الوجه الذي يَحْتَقُّ بالكذب والافتراء، وَقَلْبٌ للكلام عن الحق إلى الباطل والكذب<sup>(٨)</sup>، فالكاذب يصرف السامع عن الصّدق<sup>(٩)</sup>.

(١) التحرير والتنوير (٩/ ٤٩).

(٢) غريب القرآن ص: (١٠٨)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٩/ ٦١٢٣)، عمدة الحفاظ (١/ ٩٧)، معالم التنزيل (٦/ ٢٢) (٧/ ٤٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٩٢، ١٣٣)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (٤/ ١٨، ٥٧٠)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٣٠٥) (٧/ ٣٦٣).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٤٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٠٠)، البحر المحيط (٦/ ٤٠٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٦٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/ ١١١).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٤٢)، البحر المحيط (٦/ ٤٠٠)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٦٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/ ١١١)، التحرير والتنوير (٩/ ٤٩).

(٥) التحرير والتنوير (٩/ ٤٩).

(٦) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٤٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٠٠)، الفائق في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٩)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٦٠).

(٧) معاني القرآن للنحاس (٤/ ٥٠٧)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٣٠٦٥).

(٨) مفردات ألفظ القرآن (١/ ٣٤)، معالم التنزيل (٦/ ٢٢)، المحرر الوجيز (٤/ ٣٦٠)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/ ١١١)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٥٥٠) (٦/ ٣٠٥)، التحرير والتنوير (١٨/ ١٦٩).

(٩) التحرير والتنوير (١٠/ ١٦٩).

ومن التصريفات اللغوية لهذه الكلمة:

١- (أَفَكَ فَلَانًا عن الشيء، والأمر عن وجهه، يَأْفِكُهُ، أَفَكَ - بفتح الهمزة فقط-) : صرفه عنه وقلبه بالكذب والباطل<sup>(١)</sup>، و(أُفِكَ فلان عن الخير والحق والصدق)؛ فهو (مأفوك): قُلب عنه ومُنِعَ وصُرِفَ إلى الباطل<sup>(٢)</sup>، و(أُفِكْتُ أَنْ أَفْعَلْ كذا): صُدِدْتُ عَنْ أَنْ أَفْعَلَهُ<sup>(٣)</sup>، وكل أمر صُرِفَ عن وجهه فقد أُفِكَ<sup>(٤)</sup>.

٢- و(أَفَكَ): كَذَبَ وافترى، و(أَفَكَ الناس): كَذَبَهُمْ، وكذب عليهم، وحدثهم بالباطل، وخدعهم، فيكون الفعل (أَفَكَ) لازماً ومتعدياً، مثل: كَذَبَ وكَذَّبْتُهُ<sup>(٥)</sup>، وهو (أَفُوك) و(أَفِكَ) و(أَفِيكَ): كَذَّاب<sup>(٦)</sup>. وهو (أَفِكَ) و(أَفَاكَ)، وهي (أَفَاكَ)<sup>(٧)</sup>: على صيغة المبالغة؛ أي: كثير الكذب<sup>(٨)</sup>.

(١) العين (٤١٦/٥)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) (١٥٧٢/٤)، معجم مقاييس اللغة (١١٨/١)، المحكم والمحيط الأعظم (٩٥/٧)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥٦/١)، البحر المحيط (٥١٩/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢١٠/١٦)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١١٣/١١)، المعجم الوسيط (٢١/١).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٢٧٢/٥)، أساس البلاغة (٣٠/١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥٦/١).

(٣) المحيط في اللغة (٣٤١/٦)، أساس البلاغة (٣٠/١).

(٤) المصباح المنير (١٧/١).

(٥) انظر: لسان العرب (٣٩٠/١٠)، تاج العروس (٤٦/٢٧) وانظر أيضًا: النكت والعيون للماوردي (٣٦٣/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٣٣/١٧)، المعجم الوسيط (٢١/١).

(٦) المحكم والمحيط الأعظم (٩٥/٧)، المخصص (٢٩٤/١)، المصباح المنير (١٧/١)، القاموس المحيط ص: (١٢٠٣).

(٧) المصباح المنير (١٧/١).

(٨) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) (١٥٧٢/٤)، المحكم والمحيط الأعظم (٩٥/٧)، المخصص (٢٩٤/١)، المصباح المنير (١٧/١)، عمدة الحفاظ (٩٨/١)، القاموس المحيط (١٢٠٣).

ومن استعمالاتها القرآنية: 

- ١- قوله جل وعلا: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ [الذاريات: ٩]؛ أي: صرف عن الإيمان بهذا القرآن مَنْ صُرِفَ في سابق علم الله تعالى، ويُدْفَع عنه مَنْ يُدْفَع؛ فيُحْرَمُه<sup>(١)</sup>.
- ٢- وقوله ﷻ: ﴿قَسَلَهُمُ اللَّهُ أَنْفَ يُؤْفِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] أي: يُصْرِفُونَ عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح<sup>(٢)</sup>.

وفي ضوء ما تقدم:

فمادة (الإفك) تدور حول: الصَّرْف، والتصَرُّف، والقَلْب، والتحوُّل، والكذب مطلقاً، والافتراء والبهتان.




---

(١) معاني القرآن (٣/ ٥٦، ٨٣)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١/ ٤٩١)، النكت والعيون (٥/ ٣٦٣)، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٣٣)، تهذيب اللغة (١٠/ ٣٩٥)، جوهرة اللغة (١/ ٥٦)، عمدة الحفاظ (١/ ٩٧).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٣٤).





## المطلب الثاني تعريف الإفك اصطلاحاً

من خلال بحثي في الكتب المعنية بالتعريفات الاصطلاحية لم أجد للإفك تعريفاً خاصاً يتميز به وينفرد عن المعنى اللُّغوي، أو يقيّد أصله وعُمومه؛ ولذا عَرَفَهُ بعض أهل العلم بنفس تعريفه لغةً؛ فقال: «الإفك: كلُّ مصروفٍ عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه»، ولم يذكر غيره<sup>(١)</sup>، فالإفك في الاصطلاح يرجع معناه إلى المعنى اللُّغوي، مثلاً بمثل؛ فهو: الصَّرْفُ وقلب الشيء عن وجهه<sup>(٢)</sup>، والكذب<sup>(٣)</sup>.

إلا أن كلمة (الإفك) صارت في عُرْف أهل التفسير والسِّيَر مُنْصَرِفَةً إلى: ما أُفْك به وكُذِب وافتُري على أم المؤمنين الصديقة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مما رميت به، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١]؛ فاللام في كلمة (الإفك) للعهد، وجَوَّز بعض أهل العلم أن تكون للجنس؛ فيفيد القَصْر؛ كأنه لا إفك إلا ذلك الإفك!، فالتعريف فيه زيادة تبشيع لهذا القول في هذا المقام<sup>(٤)</sup>؛ فصار (الإفك) منصرفاً ومتعلّقاً بقصتها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص: (٨١). وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (١/٣٤)، عمدة الحفاظ (١/٩٧)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٧/١٣٨)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/١١١)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/٥٥٠)، التحرير والتنوير (١٨/١٦٩).

(٢) الكليات ص: (٩٩٠).

(٣) المصدر السابق ص: (١٥٣).

(٤) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/١١١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/٢٣٩).

وسمي إفكاً لأنَّ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كانت من أحقَّ الناس بالثناء والمدح لما كانت عليه من الحصانة والشَّرَف والعِفَّة والكَرَم، كما أن الواقعة التي رُميت بسببها بالإفك - وهي مجيئها إلى الجيش في نحر الظهيرة يقودها صفوان بن المعطل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على بعيره - واقعة لا تحتمل أي ريبة أو شك؛ فمن رماها بالسوء فقد أفك؛ أي: أتى بأقبح الكذب وأسوئه، وببهتان شديد فجأَّ الناس به، فقلب الأمر وصرفه عن أحسن وجوهه وعن حقيقته وصوابه إلى أقبح أفقائه؛ ليضلَّ الناس فيعتقدوا خلاف الحق والصواب! <sup>(١)</sup>.

وبذلك تظهر العلاقة واضحة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة (الإفك).



(١) انظر: معالم التنزيل (٢٢/٦)، مفاتيح الغيب (٣٤٢/٢٣)، نظم الدرر (٥/٢٣٩).



## المبحث الثاني

### التعريف بأُم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

#### المطلب الأول

#### اسمها ونسبها ومولدها ووفاتها وزواج النبي ﷺ بها وألقابها

اسمها ونسبها:

عائشة بنت أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر، بن عمرو، بن كعب، بن سعد، بن تيم، بن مرة، بن كعب، بن لؤي؛ القرشية التيمية المكية النبوية، وأمها هي: أم رومان بنت عامر، بن عويمر، بن عبد شمس، بن عتاب، ابن أذينة الكنانية<sup>(١)</sup>.

مولدها ووفاتها:

ولدت في الإسلام، وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين<sup>(٢)</sup>، وكانت ولادتها بعد المبعث بأربع سنين أو خمس<sup>(٣)</sup>.

توفيت أُم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة ثمان وخمسين، في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند الأكثر، وقيل سنة سبع، ودفنت بالبقيع<sup>(٤)</sup>.

زواج النبي ﷺ بها: لما توفيت خديجة<sup>(٥)</sup> قالت حَوَلة بنت حكيم بن

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٣٩).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١٦).

(٤) المصدر السابق (٨/ ٢٠).

(٥) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، زوج النبي ﷺ، وأول من صدقت ببعثته مطلقاً، وكان تزويج النبي ﷺ خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة وقيل أكثر

الأوقص<sup>(١)</sup> امرأة عثمان<sup>(٢)</sup> بن مظعون، وذلك بمكة: أي رسول الله، ألا تزوج؟ قال: «ومن؟» قلت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً. قال: «فمن البكر؟» قلت: ابنة أحب خلق الله إليك: عائشة بنت أبي بكر<sup>(٣)</sup>.

قال لها رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه»<sup>(٤)</sup>.

تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بستين، وقيل: بثلاث سنين. وقيل: بأربع سنين. وقيل: بخمس سنين. وكان عمرها لما تزوجها رسول الله ﷺ ست سنين، وقيل: سبع سنين. وبنى بها وهي بنت تسع سنين في المدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة

من ذلك، توفيت لعشر خلون من رمضان سنة عشر من البعثة وهي بنت خمس وستين سنة، ودفنت بالحجون، ونزل النبي ﷺ في حفرتها. المصدر السابق (٧/ ٦٠٠).

(١) خولة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمية، امرأة عثمان بن مظعون، يقال كنيته أم شريك ويقال لها خولة بالتصغير، وكانت صالحة فاضلة، روت عن النبي ﷺ، روى عنها سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب وبشر بن سعيد وعروة. المصدر السابق (٧/ ٦٢١).

(٢) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى، توفي بعد شهوده بدرًا في السنة الثانية من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وأول من دفن بالبقيع منهم. المصدر السابق (٤/ ٤٦١).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٢١٠)، رقم: (٢٥٨١٠)، المعجم الكبير (١٦/ ٣٢٩)، رقم: (١٨٥٨٨)، وقال شعيب الأرئوط في تعليقه على المسند: إسناده حسن.

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٧١) رقم: (٣٨٩٥) ومسلم واللفظ له (٧/ ١٣٤) رقم: (٦٤٣٦).



منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر<sup>(١)</sup>.

📖 ألقابها:

أم المؤمنين، زوجة النبي ﷺ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق<sup>(٢)</sup>، كُنَّاها رسول الله ﷺ بأم عبد الله<sup>(٣)</sup>، الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة<sup>(٤)</sup>.



(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٣٨٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥).

(٣) انظر: أسد الغابة (٧/ ١٨٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨١).

## المطلب الثاني

### فضل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بلغت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الفضل أعلى المراتب، ومن المجد أعلى المناقب، ف«أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها، وأن نساء أمهات المؤمنين اللاتي مات عنهن كانت عائشة أحبهن إليه، وأعلمهن وأعظمهن حرمة عند المسلمين»<sup>(١)</sup>، قال النبي ﷺ مبيناً للأمة فضلها: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني: «أن الثريد من كل الطعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثرید ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه، والشبع منه، وسهولة مساغته، والالتذاذ به، وتيسر تناوله، وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة، وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله، ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة»<sup>(٣)</sup>، وما يؤكد:

أولاً: الحب العظيم الذي كانت تحظى به من النبي ﷺ، فحين سأل عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ: «أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»»<sup>(٤)</sup>.

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٢/٧) رقم: (٦٤٢٥).

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥/ ١٩٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٥) رقم: (٣٦٦٢)، ومسلم (٧/ ١٠٩) رقم: (٦٣٢٨).



\* ولصدق هذا الحب شواهدٌ عديدة منها:

\* أمر النبي ﷺ سيدة نساء الجنة، فاطمة رضي الله عنها أن تحبها، حين قالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقال لها الرسول ﷺ: «أي بنية أألسـت تحبين ما أحب؟». فقالت: بلى. قال: فأحبي هذه<sup>(١)</sup>.

\* مسابقته لها<sup>(٢)</sup>، ووقوفه على باب حجرتها؛ لتنظر للأحباش وهم يلعبون<sup>(٣)</sup>، وانبساطه لحديثها<sup>(٤)</sup>، وضحكـه حتى تبدوا نواجزه<sup>(٥)</sup>، وقد فطنتُ لذلك أم المؤمنين سودة بنت زمعة، فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها؛ ليبقيها رسول الله ﷺ في عصمته<sup>(٦)</sup>.

\* شهادة أم سلمة لعظيم حبِّ رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها فتقول: «والذي نفسي بيده لقد كانت أحبَّ الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباها»<sup>(٧)</sup>.

\* دفاع الصحابة عنها، وتوبيخ مَنْ يتكلَّم في شأنها بما لا يجوز؛ لما لها من مكانة عند رسول الله ﷺ؛ ولذلك علف عمار رضي الله عنه مَنْ تعرض لأذيتها رضي الله عنها فقال له: «اسكت

(١) أخرجه مسلم (١٣٥/٧) رقم: (٦٤٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦٤/٦)، رقم: (٢٦٣٢٠) أبوداود (٣٣٤/٢) رقم: (٢٥٨٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٤/١) رقم: (١٣١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢/٣)، رقم: (٢١٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥/٧) رقم: (٥١٨٩)، ومسلم (١٣٩/٧)، رقم: (٦٤٥٨).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٣٨/٤)، رقم: (٤٩٣٤)، وصححه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (١٢٩).

(٦) أخرجه البخاري (٤٢/٧)، رقم: (٥٢١٢)، ومسلم (١٧٤/٤)، رقم: (٣٧٠٢).

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٣/٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

مقبوحًا، منبوحًا<sup>(١)</sup>، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ثانيًا: نزل بسببها تخفيف للأمة، فعندما فقدت عقدها وهي مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، أقام النبي ﷺ على التماسه، وأقام الصحابة رضي الله عنهم معه، ولم يكونوا على ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه: «... ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر...»<sup>(٣)</sup>، وعرف هذا الفضل أبوها رضي الله عنه فقال لها: «والله ما علمت يا بنية، إنك لمباركة، ماذا جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر»<sup>(٤)</sup>.

ثالثًا: الخير العظيم الذي حصل بسببها من خلال قصة الإفك، حيث بينه المولى عز وجل في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ [النور: ١١].

رابعًا: العلم الوافر الذي حفظته من مشكاة النبوة، حين حملت للأمة ألفي ومائتين وعشرة أحاديث للنبي ﷺ<sup>(٥)</sup>، وهي تحظى بعظيم امتنان الله عز وجل لها وهي في كنف النبوة، تنهل من معين العلم، وتربى فيه على أعلى درجات الأخلاق، وكان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون -رحمهم الله- يأخذون من فقهها وعلمها، فكانوا يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه: كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأيًا في العامة، وقال عروة رضي الله عنه: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلًا وعلوً مجيد؛

(١) المنبوح: الذي يضرب له مثل الكلب. لسان العرب (٢/ ٥٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٧٠٧/٥)، رقم: (٣٨٨٨)، المعجم الكبير (٢٣/ ٤٠)، رقم: (١٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (٩١/ ١) رقم: (٣٣٤)، ومسلم في صحيحه (١/ ١٩١) رقم: (٨٤٢).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢٧٢)، رقم: (٢٦٣٨٤)، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على

المسند: حديث صحيح.

(٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٩).





فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>، كما أنها صَحِبَتِ النبي ﷺ في آخر حياته عند كمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك أول زمن النبوة، فكانت أفضل هذه الزيادة؛ فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها، وبلغت من العلم والسنة ما لم يبلغه غيرها<sup>(٢)</sup>، قال الذهبي<sup>(٣)</sup> رَحِمَهُ اللهُ: «ولا أعلم في أمة محمد ﷺ، بل ولا في النساء مطلقاً، امرأة أعلم منها»<sup>(٤)</sup>.



(١) أسد الغابة (١٨٦/٧).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٠٤).

(٣) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، الفارقي، الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين الدمشقي، ولد في دمشق، في الثالث من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة من الهجرة، الزاهد الورع، صنف التصانيف الكثيرة المشهورة، توفي ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨هـ.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ١٠٠)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٥/ ٦٦).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٠).

### المطلب الثالث

#### ما تميّزت به، وعظيم أنس النبي ﷺ بقربها

تذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما تميّزت به عن غيرها من نساء الأمة فتقول: «لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته؛ حتى أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا وما تزوج بكرًا غيري، ولقد قبض ورأسه في حجري، ولقد قبرتّه في بيتي، ولقد حفت الملائكة ببיתי وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفة وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلّفت طيّبة عند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقًا كريماً»<sup>(١)</sup>.

ومن تتبع الأحاديث الصحيحة التي تصف حال النبي ﷺ مع زوجاته -رضي الله عنهن- وجد أنّ رسول الله ﷺ يتكرر نومه ووضع رأسه على فخذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، مما يبيّن شدة أنس رسول الله ﷺ وهو في حجرها، والأحاديث التالية تبيّن ذلك.

الحديث الأول: في قصة سقوط القلادة حين نزلت آية التيمم، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي»<sup>(٢)</sup>.

الحديث الثاني: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه إسحاق ابن راهوية (٢٢/٢)، وأبو يعلى (٩٠/٨)، رقم: (٤٦٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩١/١) رقم: (٣٣٤)، ومسلم (١٩١/١) رقم: (٨٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٨٢/١) رقم: (٢٩٧)، ومسلم (١٦٩/١) رقم: (٧١٩).



الحديث الثالث: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص<sup>(١)</sup> بصره إلى سقف البيت ثم قال: اللهم الرفيق الأعلى. فقلت: إذا لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح. قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها اللهم: الرفيق الأعلى»<sup>(٢)</sup>.

الحديث الرابع: في بيتها توفي رسول الله ﷺ، بين سحرها<sup>(٣)</sup> ونحرها، فتقول ﷺ: «إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن وبیده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيتَه ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه وقلت: ألينه لك، فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمره»<sup>(٤)</sup>.



(١) أي: رفعه إلى السماء ولم يطرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٠٩/١٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٥/٦) رقم: (٤٤٦٣)، ومسلم (١٣٧/٧) رقم: (٦٤٥٠).

(٣) السحر: الرّثة أي أنه مات وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي سحرها منه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٤٦/٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٣/٦) رقم: (٤٤٤٩).

## المطلب الرابع

### بعض صفاتها الخُلُقِيَّة

١- تَرَبُّتُ أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا منذُ نعومة أظفارها في أعظم بيتين في هذه الأمة، بيت أبيها الصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزوجها رسول الله ﷺ، فَهَلَّتْ أعظم الخصال الحميدة، الكريمة، وتحلَّت بها في مسيرة حياتها العطرة، وكان منها ما يلي:

١- الحياء: ويتضح في قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كنت أدخل بيتي الذي دُفِنَ فيه رسول الله ﷺ وأبي، فأضع ثوبي فأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم؛ فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي، حياءً من عمر»<sup>(١)</sup>.

كذلك: «كانت تطوف حَجْرَةَ<sup>(٢)</sup> مِنَ الرِّجَالِ، لا تخالطهم»<sup>(٣)</sup>.

٢- الكرم: حيث كان يشغلها عن نفسها، فكانت تأتيها العطايا العظيمة فلا تمضي عليها الساعات إلا وقد ذهبت لمستحقيها من الفقراء والمساكين، فحين اشترى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دار أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بمائة وثمانين ألف درهم، وقيل بمائتي ألف درهم، وشرط لها سكنها حياتها، حل إليها المال فما رامت من مجلسها حتى قسمته، ويقال اشتراه ابن الزبير من عائشة بعث إليها يقال خمسة أجمال بخت<sup>(٤)</sup> تحمل المال فشرط لها سكنها حياتها، فما برحت حتى قسمت ذلك. فقيل لها: لو خبأت لنا منه درهماً. فقالت عائشة: لو ذكرتوني لفعلت<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٢/٦)، وقال الألباني: صحيح كما في تخريج مشكاة المصابيح (١٧٧١).

(٢) أي ناحية منفردة غير بعيدة. فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠٢/١).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧/٢)، رقم: (١٦١٨).

(٤) أجمال بخت: أي: الإبل الخراسانية. لسان العرب (٩/٢).

(٥) انظر الطبقات الكبرى (١٦٤/٨).



## المطلب الخامس

### حكم سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

يَبَيِّنُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ خَطُورَةَ التَّعَرُّضِ لِسَبِّ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَلِذَلِكَ قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ <sup>(١)</sup> رضي الله عنه: «مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ جَلَدًا، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ، قِيلَ لَهُ: لَمْ يُقْتَلْ فِي عَائِشَةَ؟»، قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي عَائِشَةَ رضي الله عنها: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]، قَالَ مَالِكُ: فَمَنْ رَمَاهَا فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ، وَمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ قَتَلَ. وَقَوْلُ مَالِكٍ هَاهُنَا صَحِيحٌ، وَهِيَ رِدَّةٌ تَامَّةٌ، وَتَكْذِيبُ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَطْعِهِ بِبَرَائَتِهَا <sup>(٢)</sup>.

وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى كُفْرٍ قَاذِفِهَا <sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّ الَّذِي يَشْتُمُهَا رَدَّ الْقُرْآنَ، وَعَلَى هَذَا مُضَتْ سِيرَةُ أَهْلِ الْفَقْهِ وَالْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَغَيْرِهِمْ <sup>(٤)</sup>، وَمَنْ رَمَاهَا بِمَا بَرَّاهَا اللَّهُ مِنْهُ فَقَدْ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ، وَلَمْ يَنْعَقِدْ لَهُ نِكَاحٌ عَلَى مُسْلِمَةٍ <sup>(٥)</sup>.

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى- مَبْنِيَّةٌ عَلَى: «بَرَاءَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها مِنَ الْإِفْكِ، وَهِيَ بَرَاءَةٌ قَطْعِيَّةٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، فَلَوْ تَشَكَّكَ فِيهَا إِنْسَانٌ -وَالْعِيَازُ بِاللَّهِ- صَارَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ» <sup>(٦)</sup>.

(١) مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، الْأَصْبَحِيُّ الْمَدَنِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، وَإِمَامُ دَارِ الْمُهْجَرَةِ، أَحَدُ الْأَثَمَةِ الْأَعْلَامِ. تَوَفَّى سَنَةَ ١٧٩ هـ. انْظُرْ: وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ (٤/ ١٣٥)، وَسِيرَةُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٨/ ٤٨)، تَهْذِيبُ التَهْذِيبِ (١٠/ ٥).

(٢) انْظُرْ: الْمَحَلِّي (١٣/ ٥٠٤)، وَأَحْكَامُ الْقُرْآنِ (٣/ ١٣٥٦)، وَالشَّافِعِيُّ (٢/ ٣٠٩).

(٣) زَادَ الْمَعَادُ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ (١/ ١٠٦).

(٤) انْظُرْ: الصَّارِمُ الْمَسْلُوكُ عَلَى شَاتِمِ الرُّسُولِ (٣/ ١٠٥١).

(٥) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (٣/ ١٠٥٨).

(٦) الْمُنْهَاجُ شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمَ بْنِ الْحُجَّاجِ (١٧/ ١١٧).



## الفصل الأول

### حادثة الإفك: الوقائع والأحداث

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإفك كما ورد في نصوص القرآن والسنة.

المبحث الثاني: أسباب خوض المنافقين في الإفك.

المبحث الثالث: أهداف المنافقين في قصة الإفك.







## المبحث الأول

### الإفك كما ورد في نصوص القرآن والسنة

القرآن والسنة هما اللذان يجب الرجوع إليهما حفظاً وتعلماً وتفقهاً واستنباطاً وإفادة.

وحادثة الإفك وردت في القرآن والسنة، فكان الواجب -قبل تناول الحادثة بالدراسة الدعوية- الرجوع إلى ما ورد في القرآن والسنة من أحداث قصة الإفك؛ لتكون الدراسة مبنية على:

- \* الكتاب والسنة الصحيحة؛ فهما الخير كله؛ إذ فيهما الهدى والنور والبيان.
- \* الاستناد على الأصول الصحيحة؛ إذ لا قيمة لدراسة تعتمد على الضعيف والواهى، أو على ما لا قيمة له في نفسه.
- \* التصوّر الصحيح التام لأحداث قصة الإفك ووقائعها كما حصلت؛ فالحكم على الشيء فرع عن تصوّره، والاطلاع على الدليل سابق لمعرفة المدلول وأدعى لفقهه ومعرفة الفوائد التي تضمنها.

في ضوء ما تقدم؛ أشرع في بيان ما ورد في القرآن والسنة عن حادثة الإفك كما يأتي:

#### 📖 أولاً: الإفك كما ورد في نصوص القرآن:

أورد القرآن الكريم حادثة الإفك في سورة النور، وقد اختلف أهل العلم من أهل التفسير وغيرهم في تعيين تلك الآيات على وجه التحديد وعددها، وذلك بناءً على اختلافهم في الموضوع الذي تنتهي فيه، وذكر الألوسي<sup>(١)</sup> أن اختلافهم في عدد الآيات

(١) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجتهدين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد في الجملة، مجتهداً. ولد سنة ١٢١٧هـ، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ. الأعلام (١٧٦/٧).

كأنه «مبني على الخلاف في رؤوس الآي»<sup>(١)</sup>.

وقد وقفت على قولين لأهل العلم في ذلك:

الأول- أن الآيات الواردة في قصة الإفك تبدأ من آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ

مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١] وتنتهي بآية: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢].

وذلك استنادًا إلى الرواية المشهورة الواردة عن عائشة رضي الله عنها، والتي سيأتي سردها

لاحقًا في هذا المبحث، وفيها: قالت عائشة رضي الله عنها: «وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ

عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١] العشر الآيات، ثم أنزل الله هذا في براءتي. قال أبو بكر الصديق

-وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقربته منه وفقره-: والله لا أنفق على مسطح شيئًا

أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ [النور: ٢٢] إلى

قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر الصديق: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله

لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا....».

وتوضح هذه الرواية روايات أخرى بيّنت أن المقصود: هو مجموع الآيات بدءًا من

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، رواها البخاري

في مواضع عدة من صحيحه بلفظ: (العشر آيات) مع إيراد الآيات التي نزلت في أبي

بكر الصديق رضي الله عنه والتي أمره الله ﷻ بها أن يُحسن لابن خالته مسطح رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>،

وكذلك في الرواية الأخرى عن الزهري<sup>(٣)</sup>: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/ ١١٥).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: (٤٦٩٠) (٤٧٥٠) (٤٧٥٧) (٦٦٧٩) (٧٥٠٠) (٧٥٤٥).

(٣) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر، الزهري، أحد الأئمة الأعلام، المتفق

على جلالته وإتقانه، توفي سنة ١٢٤هـ.

انظر: تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٩٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦)، تهذيب التهذيب

(٩/ ٣٩٥).

﴿أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] <sup>(١)</sup>.

فعلی هذا: تبدأ الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] وهي الآية رقم (١١) في سورة النور، وتنتهي بالآية: ﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] وهي الآية رقم (٢٢)، وعدد الآيات على ضوء ذلك: (١٢) آية، لكن قال الحافظ ابن حجر <sup>(٢)</sup>: «وعدد الآي إلى هذا الموضع: ثلاث عشرة آية، فلعل في قولها: (العشر الآيات) مجازاً بطريق إلغاء الكسر» <sup>(٣)</sup>.

الثاني - أن الآيات الواردة في قصة الإفك تبدأ من آية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ ﴿الْحَقِيتُ لِلْحَيِثُوتِ وَالْحَيِثُوتُ لِلْحَيْثِثِ﴾ [النور: ٢٦].

وذلك بناء على الروايات الآتية:

١- روى الطبري <sup>(٤)</sup> عن عائشة قالت: رُميت بما رُميت به وأنا غافلة، فبلغني بعد ذلك، قالت: فبينما رسول الله ﷺ عندي جالس، إذ أوحى إليه، وكان إذا أوحى إليه أخذه كهيئة السبات، وأنه أوحى إليه وهو جالس عندي، ثم استوى جالساً يمسح عن وجهه، وقال: «يا عائشة، أبشري»، قالت: فقلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٧/٨).

(٢) أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، المشهور بابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ توفي سنة ٨٥٢. الأعلام (١٧٨/١).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٧/٨).

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، أبو جعفر، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الفقيه، المؤرخ توفي سنة ٣١٠ هـ ببغداد.

انظر: تاريخ بغداد (١٦٢/٢)، تهذيب الأسماء واللغات (٧٨/١)، سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤).

يَزْمُونُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَفْلَتِ الْمُؤْمِنَتِ ﴿ [النور: ٢٣] حتى بلغ: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦]»<sup>(١)</sup>.

٢- وأخرج أيضًا عن ابن زيد<sup>(٢)</sup> في قوله: ﴿الْحَيْثُ لِلْحَيْثِ وَالْحَيْثُ لِلْحَيْثِ وَالطَّبِيبُ لِلطَّبِيبِ﴾ [النور: ٢٦] قال: «نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك، وكان عبد الله بن أبي هو الخبيث، فكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها، وكان رسول الله ﷺ طيبًا، وكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، فكانت أولى أن يكون لها الطيب»، وفي قوله: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦] قال: ههنا برئت عائشة»<sup>(٣)</sup>.

٣- أخرج الطبراني<sup>(٤)</sup>: لما خاض الناس في أمر عائشة -فذكر الحديث مختصرًا-، وفي آخره: «فأنزل الله تعالى خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ: ﴿الْحَيْثُ لِلْحَيْثِ﴾ [النور: ٢٦]»<sup>(٥)</sup>. وعلق الحافظ ابن حجر على هذه الرواية بقوله: «وهذا فيه

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢٣٧).

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، العمري، المدني، صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيرًا في مجلد، وكتابًا في الناسخ والمنسوخ، توفي: سنة اثنتين وثمانين ومائة.  
انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢٣٧)، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٠/ ٧١٥)، ولباب النقول في أسباب النزول ص: (١٧١).

(٤) هو: الإمام، الحافظ، الثقة، الرجال، الجوال، محدث الإسلام، علم المعمرين، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، الشامي، الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة. مولده: بمدينة عكا، في شهر صفر، سنة ٢٦٠ هـ، وأمه عكاوية. توفي سنة ٣٦٠ هـ. سير أعلام النبلاء (٣١/ ١٣٥).

(٥) المعجم الكبير (٢٣/ ١٦٠). فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٧)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٨/ ١١٥)، لباب النقول في أسباب النزول ص (١٧١)، ونقل عن الطبراني أنه قال عن السند: «مرسل، صحيح الإسناد».

تجوز، وعدة الآي إلى هذا الموضع ست عشرة»<sup>(١)</sup>.

٤- روى ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup>، والحاكم<sup>(٣)</sup> في الإكليل، عن سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup> مرسلًا: «فزلت ثمان عشرة آية متواليَّة، كدَّبتُ من قذف عائشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَرَزَقُ كَرِيمٌ﴾». وعقب عليها الحافظ ابن حجر بقوله: «وفيه ما فيه أيضًا، وتحرير العدة سبع عشرة»<sup>(٥)</sup>. أقول: بل تحرير العدة على هذه الرواية: ست عشرة آية، وهو ما ذكره الحافظ ابن حجر نفسه - كما تقدم آنفًا في الرواية السابقة -. وقد ذكر الألويسي أن: «في كتاب العدد للداني ما يوافق المروي عن ابن جبير»<sup>(٦)</sup>.

ففي هذه الروايات: تبدأ الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٧)، وتصحَّف فيه «الطبراني» إلى: «الطبري»!

(٢) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، أبو محمد التميمي الحظلي، الإمام ابن الإمام حافظ الري وابن حافظها قال عنه الخليلي: أخذ علم أبيه وأبي زرة وكان بحرًا في العلوم ومعرفة الرجال، صنَّف في الفقه واختلاف الصحابة. توفي سنة ٣٢٧هـ. طبقات المفسرين ص: (٥٢).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٤٤)، وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/ ١١٥).

(٤) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري، الشهير بالحاكم، الإمام، الحافظ، الناقد، أبو عبد الله، كان من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، وهو صاحب «المستدرک على الصحيحين»، توفي سنة ٤٠٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٦٢)، الأعلام (٦/ ٢٢٧).

(٥) سعيد بن جبير بن هشام الوالبي مولاہم، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أبو محمد - ويقال: أبو عبد الله - الأسدي، الكوفي، أخذ الأعلام. روى عن ابن عباس - فأكثر وجود - قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥هـ. سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٧).

(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/ ١١٥).

تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنِّمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ [النور: ١١] وهي الآية رقم (١١) في سورة النور، وتنتهي بالآية: ﴿لَخَبِثَتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ أَولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] وهي الآية رقم (٢٦)، وعدد الآيات على ضوء ذلك: ست عشرة آية.

وأورد هاهنا الآيات الواردة في قصة الإفك -بناءً على أكثر عدد ورد في الروايات:-

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنِّمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مَبْهُتُنْ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمُوا وَلِيَنْصَفُوا أَلا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ لَخَبِثَتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ أَولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ١١ - ٢٦].

## 📖 ثانيًا: الإفك كما ورد في نصوص السنة:

وردت قصة الإفك في مصادر السنة المتنوعة (الصحيح والسنن والمسند وغيرها)، ولما كنتُ قد التزمتُ في خطة البحث بجمع ما يتعلق بقصة الإفك من الكتب التسعة (صحيحاً: البخاري<sup>(١)</sup> ومسلم<sup>(٢)</sup>، وسنن: أبي داود<sup>(٣)</sup> والترمذي<sup>(٤)</sup> والنسائي<sup>(٥)</sup> وابن ماجه<sup>(٦)</sup>، ومسند الإمام أحمد<sup>(٧)</sup>، وموطأ الإمام مالك، وسنن

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، البخاري، أبو عبد الله، صاحب الصحيح الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله، توفي سنة ٢٥٦هـ. انظر: تاريخ بغداد (٤/٢)، تذكرة الحفاظ (١٠٤/٢)، تهذيب التهذيب (٤١/٩).

(٢) مسلم بن الحجاج بن مسلم، القشيري، أبو الحسين، إمام أهل الحديث، وصاحب الصحيح المعروف بصحيح مسلم، توفي سنة ٢٦١هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٣/١٠٠)، وفيات الأعيان (١٩٤/٥).

(٣) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، الأزدي السجستاني، أبو داود، الإمام الثبت سيد الحفاظ توفي سنة ٢٧٥هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٢/١٢٥)، سير أعلام النبلاء (٤٠٤/٢).

(٤) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، الترمذي، أبو عيسى، الإمام الحافظ العلم، صاحب السنن المسماة بسنن الترمذي. توفي سنة ٢٩٧هـ بترمذ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٢٧٠)، تهذيب التهذيب (٩/٣٤٤).

(٥) أحمد بن شعيب بن علي، النسائي، أبو عبد الرحمن، الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام ناقد الحديث، صاحب السنن، توفي سنة ٣٠٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/١٢٥)، تذكرة الحفاظ (٢/١٩٤).

(٦) محمد بن يزيد بن ماجه، القزويني الربعي، أبو عبد الله، الحافظ الكبير المفسر، صاحب السنن والتفسير والتاريخ ومحدث تلك الديار، توفي سنة ٢٧٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٢/١٥٥)، سير أعلام النبلاء (١٣/٢٧٧).

(٧) أحمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، جيل السنّة، وأحد الأئمة الأربعة المجمع على إمامتهم وعدالتهم. توفي سنة ٢٤١هـ. انظر: طبقات الحنابلة (١/٣)، سير أعلام النبلاء (١١/١٧٧)، تهذيب التهذيب (١/٦٢).

الدارمي<sup>(١)</sup>؛ فإنه يحسن هنا أن أنبّه إلى أنه لم يرو حديث (حادثة الإفك) من أصحاب الكتب التسعة إلا: الإمام البخاري، ومسلم، وأبو داود -طرفاً منه-، والإمام أحمد. ولم أجد له ذكراً فيما سوى ذلك من الكتب التسعة، اللهم إلا سنن الترمذي من رواية غير الزهري؛ فقد أخرج طرفاً من الحديث عن: هشام بن عروة<sup>(٢)</sup>، عن أبيه<sup>(٣)</sup>، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

### \* وهذا هو سياق رواية حادثة الإفك:

قال الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله في صحيحه (٢٧٧٠):

حدثنا حبان بن موسى<sup>(٤)</sup>، أخبرنا عبد الله بن المبارك<sup>(٥)</sup>، أخبرنا يونس بن يزيد

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، أبو محمد الحافظ، صاحب المسند، ثقة فاضل توفي سنة ٢٥٥هـ.

تقريب التهذيب ص: (٣١١).

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشي الأسدي الزبيري المدني، أبو المنذر، الإمام الثقة شيخ الإسلام، ولد سنة ٦١هـ، وتوفي سنة ١٤٦هـ. سير أعلام النبلاء (٦/٣٤).

(٣) عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المدني، أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان عالماً بالسيرة حافظاً ثبتاً صالحاً. توفي سنة ٩٤هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/٢٥٥)، سير أعلام النبلاء (٤/٤٢١)، تهذيب التهذيب (٧/١٦٣).

(٤) حبان بن موسى بن سوار، السلمي المروزي الكشميهني، أبو محمد، توفي سنة ٢٣٣هـ. تهذيب التهذيب (٢/١٥٢).

(٥) عبد الله بن المبارك بن واضح، الحنظلي -مولاهم- التركي ثم المروزي، أبو عبد الرحمن، الإمام الحافظ الغازي أحد الأعلام، شيخ الإسلام وعالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته، ولد سنة ١١٨هـ وتوفي سنة ١٨١هـ. سير أعلام النبلاء (٨/٣٧٨).



الأيلي<sup>(١)</sup>. ح: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي<sup>(٢)</sup> ومحمد بن رافع<sup>(٣)</sup> وعبد بن حميد<sup>(٤)</sup>. قال ابن رافع: حدثنا، وقال الآخرون: أخبرنا عبد الرزاق<sup>(٥)</sup>، أخبرنا معمر<sup>(٦)</sup> -والسياق حديث معمر من رواية عبد وابن رافع- قال يونس ومعمر جميعًا: عن الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب<sup>(٧)</sup>، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص<sup>(٨)</sup>

(١) يونس بن يزيد ابن أبي النجاد، الأيلي، أبو يزيد، مولى معاوية بن أبي سفيان الأموي، الإمام الثقة المحدث. توفي سنة ١٥٩ هـ على الصحيح. انظر سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٩٧)، تقريب التهذيب ص: (٦١٤).

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه، الحنظلي المروزي، أبو محمد، ثقة حافظ مجتهد، قرين أحمد بن حنبل، مات سنة ٢٣٨ هـ. تقريب التهذيب ص: (٩٩).

(٣) محمد بن رافع بن أبي زيد (سابور)، القشيري مولا هم النيسابوري، أبو عبد الله، الإمام الحافظ الحجة القدوة، بقية الأعلام، توفي سنة ٢٤٥ هـ. سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢١٤).

(٤) عبد بن حميد بن نصر، يقال: اسمه عبد الحميد، الكشي -ويقال له: الكشي-، أبو محمد، الإمام الحافظ الحجة الجوال، توفي سنة ٢٤٩ هـ. سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٣٥).

(٥) عبد الرزاق بن همام بن نافع، الحميري -مولا هم- الصنعاني، أبو بكر، ثقة حافظ شهير، عمي في آخر عمره. توفي سنة ٢١١ هـ. تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٨)، تقريب التهذيب ص: (٣٥٤).

(٦) معمر بن راشد الأزدي، الحداني البصري، أبو عروة، نزيل اليمن، ثقة ثبت، توفي سنة ١٤٥ هـ. تهذيب الكمال (٢٨/ ٣٠٣)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢١٨).

(٧) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة، القرشي المخزومي، أبو محمد، الإمام العلم، عالم من أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، توفي سنة ٩٣ هـ. سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧).

(٨) علقمة بن وقاص بن محصن بن كلدة، الليثي العتواري المدني، أحد العلماء، حدث عن عمر وعائشة وبلال بن الحارث المزني وعمرو بن العاص وابن عمر رضي الله عنهم، له أحاديث ليست بالكثيرة، وثقه ابن سعد والنسائي، توفي في دولة عبد الملك بن مروان. سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١).

[الليثي]<sup>(١)</sup>، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود<sup>(٢)</sup>، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا.

[قال الزهري]<sup>(٣)</sup>: وكلهم<sup>(٤)</sup> حدثني بطائفة<sup>(٥)</sup> من حديثها الذي حدثني<sup>(٦)</sup>، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت له<sup>(٧)</sup> اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل واحد<sup>(٨)</sup> منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة<sup>(٩)</sup>، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض<sup>(١٠)</sup>؛ ذكروا<sup>(١١)</sup> أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت:

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرًا؛ أفرع بين نسائه<sup>(١٢)</sup>؛ فأيتهن [يا]<sup>(١٣)</sup> خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، [وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها. وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي ﷺ؛ تبتغي

(١) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٢) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، الهذلي المدني، أبو عبد الله، الأعمى، الإمام الفقيه، مفتي المدينة وعالمها، وأحد الفقهاء السبعة، جده عتبة هو أخو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولد في خلافة عمر أو بعيدها، وتوفي سنة ٩٤، وقيل ٩٨، وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٥).

(٣) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٤) في صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٦٦٦٢، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥): وكل.

(٥) مسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٤).

(٦) صحيح البخاري (٧٥٠٠).

(٧) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٧).

(٨) في صحيح البخاري (٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٧): رجل.

(٩) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٧).

(١٠) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠)، ومسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٧).

(١١) في صحيح البخاري (٢٦٦١): زعموا، وفي (٤١٤١) ومسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٧): قالوا.

(١٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، ومسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٧): أزواجه.

(١٣) صحيح البخاري (٢٨٧٩).



بذلك رضى رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة<sup>(٢)</sup> غزاها<sup>(٣)</sup>؛ فخرج فيها سهمي؛ فخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب<sup>(٤)</sup>، فأنا<sup>(٥)</sup> أحمل في هَوْدَجِي<sup>(٦)</sup> وأنزل فيه مسيرنا<sup>(٧)</sup>، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزو[ته تلك]<sup>(٨)</sup> وقفل<sup>(٩)</sup>، ودنونا من المدينة [قافلين]<sup>(١٠)</sup>؛ آذن<sup>(١١)</sup> ليلة بالرحيل؛ فقممت حين آذنوا بالرحيل؛ فمشيت حتى جاوزت

(١) صحيح البخاري (٢٥٩٣، ٢٦٨٨).

(٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١): غزاة. وهي غزوة بني المصطلق، وصرح بذلك محمد بن إسحاق في روايته، وكذا أفلح بن عبد الله عند الطبراني، وعنده في رواية أبي أويس: فخرج سهم عائشة في غزوة بني المصطلق من خزاعة، وعند البزار من حديث أبي هريرة: فأصابته عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).

(٣) بَوَّبَ الإمام البخاري في صحيحه (٤٢٨/٧ - مع فتح الباري-) : باب غزوة بني المصطلق من خزاعة وهى غزوة المريسيع... وقال النعمان بن راشد عن الزهرى: كان حديث الإفك في غزوة المريسيع.

(٤) أي: بعد ما نزل الأمر بالحجاب، والمراد: حجاب النساء عن رؤية الرجال لهن، وكن قبل ذلك لا يمتنعن. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).

(٥) في صحيح البخاري (٤١٤١): فكنت.

(٦) الهودج: مركب من مراكب النساء، له قبة تستر بالثياب ونحوها ليكون أستر لهن، يوضع على ظهر البعير. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٤/١٧)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).

(٧) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠): فميرنا.

(٨) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، وفي صحيح مسلم: غزوه.

(٩) أي: رجع من غزوته. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).

(١٠) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠).

(١١) بمعنى: أعلم بالرحيل. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٥٨/٨).

الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل<sup>(١)</sup>؛ فلمست صدري فإذا عقدي<sup>(٢)</sup> من جَزَعٍ<sup>(٣)</sup> ظَفَّارٍ<sup>(٤)</sup> قد انقطع! فرجعت فالتمت عقدي؛ فحبسني<sup>(٥)</sup> ابتغاؤه، وأقبل الرهط<sup>(٦)</sup> الذين كانوا يرحلون لي؛ فحملوا<sup>(٧)</sup> هودجي؛ فرحلوه على بعيري الذي كنت أركبه<sup>(٨)</sup>، وهم يحسبون أنني فيه! قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافاً؛ لم يُهَبَّلْنَ<sup>(٩)</sup> ولم يغشهن<sup>(١٠)</sup> اللحم؛ إنما يأكلن العُلُقَةَ<sup>(١١)</sup> من الطعام! فلم يستنكر القوم ثقل<sup>(١٢)</sup> الهودج حين رحلوه ورفعوه<sup>(١٣)</sup>؛ [فاحتملوه]<sup>(١٤)</sup>، وكنت جارية حديثة السن؛ فبعثوا<sup>(١٥)</sup>

- (١) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠): رحلي.
- (٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠): عقدي، وفي مسند أحمد (١٩٤/٦): عقد.
- (٣) الجزع: الحزُّ البَيَّانِي، الواحدة جَزَعَةٌ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٢٦٩)، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠٤).
- (٤) في صحيح البخاري (٢٦٦١): أظفار. و(ظَفَّارٍ): قرية في اليمن، وهي مبنية على الكسر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/١٥٨)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠٤).
- (٥) في مسند الإمام أحمد (٦/١٩٤): فاحتبسني.
- (٦) هو: عدد من ثلاثة إلى عشرة، وقيل غير ذلك. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٥٩).
- (٧) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠): فاحتملوا.
- (٨) في صحيح البخاري (٤١٤١): أركب عليه، وفي (٤٧٥٠): ركبْتُ.
- (٩) في صحيح البخاري (٢٦٦١): يثقلن، وفي (٤٧٥٠): يثقلهن، وفي مسند الإمام أحمد (٦/١٩٤، ١٩٧، ١٩٨): يهبلهن. ومعنى (لم يُهَبَّلْنَ): لم يكثر عليهن اللحم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٣٩).
- (١٠) أي: لم يغط اللحم بعضه بعضاً. مختار الصحاح ص: (٤٧٥، ٦٨٩).
- (١١) أي: القليل. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠٤).
- (١٢) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠): خفة.
- (١٣) في صحيح البخاري (٤١٤١): رفعوه وحملوه.
- (١٤) صحيح البخاري (٢٦٦١).
- (١٥) أي: أثاروه. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٠).

الجمال وساروا، ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش؛ فجئت منازلهم وليس بها [منهم] <sup>(١)</sup> داع ولا مجيب <sup>(٢)</sup>! فتيمنت <sup>(٣)</sup> منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ! فيينا أنا جالسة في منزلي؛ غلبتني عيني <sup>(٤)</sup> فنمت! وكان صفوان بن المعطل -السلمي ثم الذكواني <sup>(٥)</sup> - قد عرس <sup>(٦)</sup> من وراء الجيش؛ فأدلج <sup>(٧)</sup> فأصبح عند منزلي؛ فرأى سواد إنسان نائم؛ فأتاني فعرفني حين رأي -وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليّ؛ فاستيقظتُ باسترجاعه <sup>(٨)</sup> حين عرفني <sup>(٩)</sup>؛ فخمرت وجهي <sup>(١٠)</sup> بجلبابي،

(١) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١): وليس فيه أحد.

(٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠): فأمت، وفي مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦، ١٩٧): فتيمنت.

ومعنى (فتيمنت): قَصَدْتُ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٩٩/٥)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠٥).

(٤) في صحيح البخاري (٢٦٦١): عيناى.

(٥) صفوان بن المعطل بن رحضة بن المؤمل، السلمي ثم الذكواني، أبو عمرو، سكن المدينة وشهد الخندق والمشاهد -في قول الواقدي-، ويقال: أول مشاهده المريسيع، قتل في غزوة أرمينية شهيداً سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٧٢٥/٢)، أسد الغابة (٣/٣١)، سير أعلام النبلاء (٢/٥٤٥)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٤٤٠).

(٦) التعريس: النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠٥).

(٧) هو سير آخر الليل. المصدر السابق (١٧/١٠٥).

(٨) أي: انتبهت من نومي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون. المصدر السابق (١٧/١٠٥).

(٩) في صحيح البخاري (٢٦٦١): حين أناخ راحلته.

(١٠) أي: غطيته. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٧٧).

ووالله ما يكلمني<sup>(١)</sup> كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه! [وهوى]<sup>(٢)</sup> حتى أناخ راحلته؛ فوطىء على [يد-]<sup>(٣)</sup> لها؛ [فقمت إليها]<sup>(٤)</sup> فركبتها؛ فانطلق يقود بي الراحلة؛ حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين<sup>(٥)</sup> في نحر الظهيرة<sup>(٦)</sup>، [وهم نزول. قالت]<sup>(٧)</sup> : فهلك من هلك في شأني<sup>(٨)</sup>. وكان الذي تولى كبر [الإفك]<sup>(٩)</sup> : عبد الله بن أبي بن سلول.

[قال عروة: أَخْبَرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاغُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ؛ فَيَقْرَهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ<sup>(١٠)</sup>.

(١) قال ابن حجر: «عبرت بهذه الصيغة إشارة إلى أنه استمر منه ترك المخاطبة لثلاث يفهم لو عبرت بصيغة الماضي اختصاص النفي بحال الاستيقاظ، فعبرت بصيغة المضارعة». فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٣/٨).

(٢) في صحيح البخاري (٤١٤١): تكلمنا بـ، وفي (٤٧٥٠) ومسنَد الإمام أحمد (١٩٤/٦): كلمني.

(٣) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٤) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(٥) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٦) الموغر: النازل في وقت الوغرة، وهي شدة الحر. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٥/١٧).

(٧) في رواية أخرى لمسلم: موغرين -بالعين المهملة-، وفي صحيح البخاري (٢٦٦١): مُعَرَّسِينَ.

(٨) نحر الظهيرة: أولها، وهو وقت شدة الحر. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٤/٨).

(٩) صحيح البخاري (٤١٤١).

(١٠) في صحيح البخاري (٤١٤١): فهلك في مَنْ هلك.

(١١) صحيح البخاري (٤١٤١). وفي (٤٧٥٠): تولى الإفك، وفي صحيح مسلم: تولى كبره.

(١٢) أي يستخرج الحديث بالبحث عنه. لسان العرب (٣٩٢/١٥).

وقال عروة أيضًا: لم يسم من أهل الإفك أيضًا إلا حسان بن ثابت<sup>(١)</sup>، ومسطح بن أثاثه<sup>(٢)</sup>، وحنّة بنت جحش<sup>(٣)</sup>، في ناس آخرين، لا علم لي بهم، غير أنهم عصابة - كما قال الله تعالى -، وإن كبر ذلك يقال عبد الله بن أبي ابن سلول.

قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان؛ وتقول: إنه الذي قال: **فإن أبى ووالده وعرضي \*\*\* لعرض محمد منكم وقاء**<sup>(٤)</sup> [قالت عائشة]<sup>(٥)</sup>: فقدمنا<sup>(٦)</sup> المدينة؛ فاشتكت حين قدمنا المدينة<sup>(٧)</sup> شهرًا،

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، الأنصاري الخزرجي ثم النجاري، يكنى أبا الوليد وهي الأشهر، شاعر رسول الله ﷺ، وهو الذي قال له النبي ﷺ كما في الصحيحين: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك»، عاش مائة وعشرين سنة، ستون في الجاهلية، وستون في الإسلام، مات سنة ٤٠، وقيل ٥٠، وقيل ٥٤هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٣٤١)، أسد الغابة (٦/٢) سير أعلام النبلاء (٢/٥١٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٦٢).

(٢) مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب، كان اسمه عوفًا، وأما مسطح فهو لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت وأسلم أبوها قديمًا، وكان أبو بكر يمونه لقربته، مات سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان، ويقال: عاش إلى خلافة علي وشهد معه صفين، مات سنة سبع وثلاثين. انظر: أسد الغابة (٥/١٥٠)، سير أعلام النبلاء (١/١٨٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٦/٩٣).

(٣) حنّة بنت جحش الأسدية، أخت أم المؤمنين زينب، وكانت زوج مصعب بن عمير فقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، كانت من المبايعات، وشهدت أحدًا، فكانت تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداوهم. انظر: أسد الغابة (٧/٧١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/٥٨٦).

(٤) صحيح البخاري (٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (٦/١٩٧).

(٥) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٦) في مسند الإمام أحمد (٦/١٩٤): فقدمتُ.

(٧) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠): حين قدمتُ.

والناس يفيضون في<sup>(١١)</sup> قول أهل الإفك<sup>(٣)</sup>، ولا أشعر بشيء من ذلك! وهو يريني<sup>(٤)</sup> في وجعي أني لا أعرف من رسول الله<sup>(٥)</sup> ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي<sup>(٦)</sup>! إنما يدخل [علي]<sup>(٧)</sup> رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم<sup>(٨)</sup>؟»، [ثم ينصرف]<sup>(٩)</sup>! فذاك<sup>(١٠)</sup> [الذي]<sup>(١١)</sup> يريني! ولا أشعر بالشر<sup>(١٢)</sup>! حتى خرجت بعدما<sup>(١٣)</sup> نقهت<sup>(١٤)</sup>، وخرجت معي أم مسطح<sup>(١٥)</sup> قبل

(١) أي: يخوضون فيه. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٦/١٧).

(٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١): من.

(٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠): أصحاب.

(٤) يقال: رابه وأزابه إذا أوهمه وشككه. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٦/١٧).

(٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١): لا أرى من النبي.

(٦) في صحيح البخاري (٢٦٦١): أمرض.

(٧) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٨) تيكم: إشارة إلى المؤنثة. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٦/١٧).

(٩) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠).

(١٠) في صحيح البخاري (٤١٤١): فذلك.

(١١) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(١٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١): بشيء من ذلك.

(١٣) في صحيح البخاري (٤١٤١): حين.

(١٤) نَقَهَ المريض وَنَقَّهَ: برأ وأفاق وكان قريب العهد بالمرض، ولم يرجع إليه كمال صحته وقوته.

النهاية في غريب الحديث والأثر (١١٠/٥)، والقاموس المحيط ص: (١٦١٩)، ومختار الصحاح ص: (٦٨٨).

(١٥) سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق، وقيل أم

مسطح: اسمها ربطة بنت صخر بن عامر بن سعد بن تيم. وقال ابن حجر: رائطة. انظر: الاستيعاب

في معرفة الأصحاب (١٢٢٤/٣) و(١٤٧٢/٤)، وطبقات ابن سعد (٢٢٨/٨) و(١٦٩/٥٣)،

وأسد الغابة (٢٩٦/٤) و(٣٨٣/٧)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٥/٨).





المناصع<sup>(١)</sup> - وهو متبرزنا-، و[كنا]<sup>(٢)</sup> لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنف<sup>(٣)</sup> قريباً من بيوتنا. [قالت]<sup>(٤)</sup>: وأمرنا أمر العرب الأول في [البرية أو في]<sup>(٥)</sup> التنزه<sup>(٦)</sup>، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا!

[قالت]<sup>(٨)</sup>: فانطلقت<sup>(٩)</sup> أنا وأم مسطح -وهي: بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها: ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها: مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب-؛ فأقبلتُ أنا وبنت أبي رهم<sup>(١٠)</sup> قبل بيتي حين<sup>(١١)</sup> فرغنا من شأننا [نمشي]<sup>(١٢)</sup>؛ فعثرت أم مسطح في مِرْطَها<sup>(١٣)</sup>؛ فقالت:

(١) هي المواضع التي يَتَخَلَّى فيها لِقضاء الحاجة، واحداً: مَنْصَع، لأنه يُبَرِّزُ إليها ويُظْهر، وهي مواضع خارج المدينة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٤/٥)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠٦).

(٢) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠).

(٣) الكُنف: جمع كنيف، وهو الساتر، والمراد به هنا: المكان المتخذ لقضاء الحاجة. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٥).

(٤) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٥) صحيح البخاري (٢٦٦١). وفي مسند الإمام أحمد (٦/١٩٨): في البرية.

(٦) التَّنَزُّه: طلب النزاهة، والمراد: البعد عن البيوت. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٥).

(٧) في صحيح البخاري (٤١٤١): في البرية قبل الغائط، وفي (٤٧٥٠): في التبرز قبل الغائط.

(٨) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٩) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٠٢٥): فأقبلت.

(١٠) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠): أنا وأم مسطح.

(١١) في صحيح البخاري (٤٧٥٠): قد.

(١٢) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(١٣) المرط: كساء من صوف وقد يكون من غيره. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠٧).

تَعِسَ<sup>(١)</sup> مسطح! فقلت لها: بئس ما قلت! أتسيين رجلاً قد شهد بدرًا؟! [ف]<sup>(٢)</sup> قالت:  
أي<sup>(٣)</sup> هتاه<sup>(٤)</sup>؛ أو لم تسمعي ما قال-[وا]<sup>(٥)</sup>؟!

[قالت]<sup>(٦)</sup>: [و]<sup>(٧)</sup> قلت: وماذا قال؟! قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك!  
[قالت]<sup>(٨)</sup>: فازددت مرضًا إلى<sup>(٩)</sup> مرضي! فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله  
ﷺ فسَلَّمَ<sup>(١٠)</sup>، ثم قال: «كيف تيكمن؟»؛ [ف]<sup>(١١)</sup> قلت [له]<sup>(١٢)</sup>: أأُتذن لي أن آتي  
أبوي<sup>(١٣)</sup>؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن<sup>(١٤)</sup> الخبر من قبلهما! [قالت]<sup>(١٥)</sup>: فأذن لي

(١) تَعِسَ: أي عثر فسقط على وجهه، وقيل معناه: بَعُدَ، وقيل: هلك أو لزمه الشر. هدي الساري  
مقدمة فتح الباري ص: (٩٣).

(٢) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١).

(٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١): يا.

(٤) هذه اللفظة تختص بالنداء، ومعناها: يا هذه، وقيل: يا امرأة، وقيل: يا بلهاء - كأنها نسبت إلى قلة  
المعرفة بمكايد الناس وشروهم -.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠٧).

(٥) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٦) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠).

(٧) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٨) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٩) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠): علي.

(١٠) في صحيح البخاري (٤٧٥٠): تعني: فسَلَّمَ.

(١١) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠).

(١٢) صحيح البخاري (٤١٤١).

(١٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١): ائذن لي إلى أبوي.

(١٤) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠): أستيقن.

(١٥) صحيح البخاري (٤١٤١).

رسول الله ﷺ؛ فجئت<sup>(١)</sup> أبي؛ فقلت لأمي؛ يا أمتاه ما [ذا]<sup>(٢)</sup> يتحدث [به]<sup>(٣)</sup> الناس؟ فقالت: يا<sup>(٤)</sup> بنية؛ هوني عليك<sup>(٥)</sup> [الشأن]<sup>(٦)</sup>! فوالله؛ لقلما كانت امرأة قط وضيئة<sup>(٧)</sup> عند رجل يحبها ولها ضرائر<sup>(٨)</sup> إلا [أ]<sup>(٩)</sup> كثرن عليها! قالت: [ف]<sup>(١٠)</sup> قلت: سبحان الله! [أ]<sup>(١١)</sup> و[ل]<sup>(١٢)</sup> قد [ي]<sup>(١٣)</sup> تحدث الناس بهذا؟! قالت: فبكيت<sup>(١٤)</sup> تلك الليلة؛ حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع<sup>(١٥)</sup>، ولا أكتحل بنوم<sup>(١٦)</sup>، ثم<sup>(١٧)</sup> أصبحت أبكي!

- 
- (١) في صحيح البخاري (٢٦٦١): فأتيتُ.
  - (٢) صحيح البخاري (٤١٤١).
  - (٣) صحيح البخاري (٢٦٦١).
  - (٤) في مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦): أي.
  - (٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١): على نفسك.
  - (٦) صحيح البخاري (٢٦٦١).
  - (٧) الوضوء: الحسن والبهجة، أي: حسنة جميلة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٩٤/٥)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٧/٨).
  - (٨) جمع ضرة، هن: زوجات الرجل؛ لأن كل واحدة تنضرر بالأخرى بالغيرة والقسم وغيره.
  - (٩) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٦/١٧).
  - (١٠) صحيح البخاري (٢٦٦١).
  - (١١) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠، ٢٦٦١).
  - (١٢) صحيح البخاري (٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).
  - (١٣) صحيح البخاري (٢٦٦١).
  - (١٤) في صحيح البخاري (٢٦٦١): فبتُ.
  - (١٥) لا يرقأ لي دمع: أي لا ينقطع. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٨/١٧).
  - (١٦) لا أكتحل بنوم استعارة للسهر، أي لا أنام. انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٨/١٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٧/٨).
  - (١٧) في صحيح البخاري (٤٧٥٠): حتى.

[قالت]<sup>(١)</sup>: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسماء بن زيد<sup>(٢)</sup> - حين استلبث<sup>(٣)</sup> الوحي -؛ [يسألها وهو]<sup>(٤)</sup> يستشيرهما<sup>(٥)</sup> في فراق أهله! قالت: فأما أسماء بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال [أسماء]<sup>(٦)</sup>: يا رسول الله؛ هم أهلك، ولا نعلم [والله]<sup>(٧)</sup> إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: [يا رسول الله]<sup>(٨)</sup> لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير! وإن تسأل<sup>(٩)</sup> الجارية تصدقك.

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة<sup>(١٠)</sup>؛ فقال: «أي<sup>(١١)</sup> بريرة؛ هل رأيت من شيء

(١) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٢) أسماء بن زيد بن حارثة بن شراحيل، المولى الأمير الكبير الحبّ ابن الحب، صحابي جليل، مات في المدينة سنة ٥٤هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٧٥)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٥٣).

(٣) أي: أبطأ ولبث ولم ينزل. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ١٠٨).

(٤) صحيح البخاري (٧٣٦٩). وفي (٤١٤١): يسألها و، وفي مسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٤): ل.

(٥) في صحيح البخاري (٢٦٣٧، ٤٧٥٠): يستأمرهما.

(٦) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٧) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٨) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٩) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٧٣٦٩): وسئل.

(١٠) بريرة: مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكانت مولاة لبعض بني هلال. وقيل: كانت مولاة لأبي أحمد بن جحش. وقيل: كانت مولاة أناس من الأنصار، فكاتبوها ثم باعوها من عائشة، فأعتقتها، واسم زوجها مغيث وكان مولى فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت فراقه. انظر: أسد الغابة (٧/ ٣٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٥٣٥).

(١١) في صحيح البخاري (٢٦٦١): يا.



يريبك<sup>(١)</sup> من عائشة؟<sup>(٢)</sup> قالت له بريرة: [لا]<sup>(٣)</sup> - والذي بعثك بالحق -! إن<sup>(٤)</sup> رأيت عليها<sup>(٥)</sup> أمراً قط<sup>(٦)</sup> أغمصه<sup>(٧)</sup> عليها أكثر من أنها<sup>(٨)</sup> جارية حديثة<sup>(٩)</sup> السن؛ تنام عن عجين أهلها<sup>(١٠)</sup>؛ فتأتي الداجن<sup>(١١)</sup> فتأكله!

قالت: فقام رسول الله ﷺ [من يومه]<sup>(١٢)</sup> على المنبر؛ فاستعذر<sup>(١٣)</sup> [يومئذ]<sup>(١٤)</sup> من عبد الله بن أبي بن سلول؛ [ف]<sup>(١٥)</sup> قالت: فقال رسول الله ﷺ - وهو على المنبر -: يا

(١) الريب: بمعنى الشك. النهاية في غريب الحديث والأثر: (٢/٢٨٦).

(٢) في صحيح البخاري (٤١٤١): هل رأيت فيها شيئاً يريبك، وفي (٤٧٥٠): هل رأيت عليها من شيء يريبك.

(٣) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠).

(٤) في صحيح البخاري (٤١٤١): ما.

(٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١): منها.

(٦) في صحيح البخاري (٧٣٦٩): ما رأيتُ أمراً.

(٧) أي: أعيبتها به وأطعن به عليها، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٨٦).

(٨) في صحيح البخاري (٤١٤١): غير أنها.

(٩) أي: صغيرة السن. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٠).

(١٠) في صحيح البخاري (٢٦٦١): العجين.

(١١) هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كل ما يألّف البيوت من الطير وغيرها.

النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٠٢).

(١٢) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(١٣) أي: أنه قال: من يعذرني في من آذاني في أهلي. كما بينه في هذا الحديث، ومعنى (من يعذرني):

من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني، وقيل معناه: من ينصري. انظر المنهاج

شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١٠٩).

(١٤) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(١٥) مسند الإمام أحمد (٦/١٩٤).

معشر المسلمين؛ مَنْ يعذرني<sup>(١)</sup> من رجل قد بلغني<sup>(٢)</sup> [عنه] أذاه<sup>(٣)</sup> في أهل بيتي<sup>(٤)</sup>؟  
فوالله<sup>(٥)</sup> ما علمت على<sup>(٦)</sup> أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً،  
وما كان يدخل على أهلي إلا معي!

[قالت]<sup>(٧)</sup>: فقام سعد بن معاذ<sup>(٨)</sup> الأنصاري [أخو بني عبد الأشهل]<sup>(٩)</sup> فقال: أنا  
[والله]<sup>(١٠)</sup> أعذرك منه -يا رسول الله-! [ف]<sup>(١١)</sup> إن كان من الأوس ضربنا<sup>(١٢)</sup> عنقه،  
وإن كان [من]<sup>(١٣)</sup> إخواننا [من]<sup>(١٤)</sup> الخزرج أمرتنا ففعلنا [فيه]<sup>(١٥)</sup> أمرك!  
قالت: فقام [رجل من الخزرج -وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة-، وهو]

- 
- (١) في صحيح البخاري (٢٦٣٧): يعذرنا.  
(٢) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٢٦٣٧، ٤١٤١، ٤٧٥٠، ٧٣٦٩)، ومسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).  
(٣) صحيح البخاري (٤١٤١).  
(٤) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٧٣٦٩): في أهلي.  
(٥) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٧٣٦٩): والله.  
(٦) في صحيح البخاري (٢٦٣٧): من.  
(٧) صحيح البخاري (٤١٤١).  
(٨) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأنصاري، سيد الأوس، شهد بدرًا باتفاق، ورمي  
بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريظة، توفي سنة ٥ هـ. انظر:  
الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٦٠٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٨٤).  
(٩) صحيح البخاري (٤١٤١).  
(١٠) صحيح البخاري (٢٦٦١).  
(١١) صحيح البخاري (٤١٤١).  
(١٢) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠): ضربتُ.  
(١٣) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠)، مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).  
(١٤) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠)، مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).  
(١٥) صحيح البخاري (٢٦٦١).



سعد بن عباد<sup>(١)</sup>، وهو سيد الخزرج. [قالت]<sup>(٢)</sup>: وكان [قبل ذلك]<sup>(٣)</sup> رجلاً صالحاً<sup>(٤)</sup>، ولكن اجتهدته<sup>(٥)</sup> الحمية<sup>(٦)</sup>! فقال لسعد بن معاذ: كذبت - لعمر<sup>(٧)</sup> الله -! لا تقتله، ولا تقدر على قتله! [ولو كان من رَهْطِكَ<sup>(٨)</sup> ما أَحْبَبْتُ أَنْ يُقْتَلَ]<sup>(٩)</sup>! فقام أسيد بن حضير<sup>(١٠)</sup> - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عباد: كذبت - لعمر الله -! [والله]<sup>(١١)</sup> لنقتله! فإنك منافق تجادل عن المنافقين! [قالت]<sup>(١٢)</sup>: فتأر<sup>(١٣)</sup>(١٤) الحيان

(١) سعد بن عباد بن دليم بن حارثة، الأنصاري الخزرجي، ممن شهد العقبتين وكان أحد النقباء، مات سنة ١٥ هـ وقيل ١٦ هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٩٤)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٦٥).

(٢) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٣) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠)، مسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٧).

(٤) أي: كامل الصلاح. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٢).

(٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، ورواية أخرى لمسلم، ومسند الإمام أحمد (٦/ ١٩٧): احتملته.

(٦) حَمَلَتْهُ الْأَنْفَةُ والغضب على الجهل. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٢٢).

(٧) العمر: هو البقاء، وهو العُمُر، لكن لا يستعمل في القسم إلا بالفتح. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٢).

(٨) الرَّهْط: العدد من الثلاثة إلى عشرة. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٥٩).

(٩) صحيح البخاري (٤١٤١).

(١٠) أسيد بن حضير بن سهاك بن عتيك، الأوسي الأنصاري، شهد العقبة الثانية والمشاهد كلها إلا بدرًا فاختلف في شهودها توفي سنة ٢٠ هـ وقيل: ٢١ هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٩٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٨٣).

(١١) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(١٢) صحيح البخاري (٤١٤١).

(١٣) أي: تناهضوا للنزاع والعصبية. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ١١٠).

(١٤) في صحيح البخاري (٤٧٥٠): فتناور.

الأوس<sup>(١)</sup> والخزرج<sup>(٢)</sup>؛ حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر! [قالت]<sup>(٣)</sup>: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم<sup>(٤)</sup><sup>(٥)</sup>؛ حتى سكتوا وسكت! قالت: وبكيت<sup>(٦)</sup> يومي ذلك [كله]<sup>(٧)</sup>؛ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم! ثم بكيت ليلتي المقبلة؛ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم! وأبوي يظنان أن البكاء فالتق<sup>(٨)</sup> كبدي<sup>(٩)</sup>!

(١) بنو الأوس بن حارثة بن تغلب بن مزيقيا، وهم أحد قبيلتي الأنصار، وكان لهم ملك يثرب، نزولها عند خروجهم من اليمن وجاء الإسلام وهم فكانوا أنصاراً للنبي ﷺ. انظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (١/٣٣).

(٢) بنو الخزرج: بطن من مزيقيا من الأزد، غلب عليهم اسم أبيهم فقليل لهم: الخزرج، وهؤلاء هم المراد بالخزرج عند الإطلاق، وهم إحدى قبيلتي الأنصار إخوة الأوس، ويقال لكليهما بنو قيلة. انظر: المصدر السابق (١/١٩).

(٣) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٤) أي: يُسكِّنهم ويُوْن عليهم الأمر، من الحَفْض: الدَّعة والسُّكون. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٥٤).

(٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١): فنزل فخفضهم.

(٦) في صحيح البخاري (٤٧٥٠): فمكثت.

(٧) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٨) الفَلَق: الشق. انظر: لسان العرب (١٠/٣٠٩).

(٩) وفي رواية أخرى للبخاري (٢٦٦١): [قالت]: فأصبح عندي أبوي، قد بكيت ليلتين ويوماً [لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم]، حتى [إني لـ] أظن [وفي رواية: يظنان] أن البكاء فالتق كبدي. والزيادة الأولى والثانية له برقم: (٤١٤١، ٤٧٥٠)، والثالثة برقم: (٤١٤١)، والرواية الرابعة برقم: (٤٧٥٠).





[قلت] <sup>(١)</sup>: فينما هما <sup>(٢)</sup> جالسان عندي وأنا أبكي؛ [إذ] <sup>(٣)</sup> استأذنت [علي] <sup>(٤)</sup> امرأة [من] <sup>(٥)</sup> الأنصار <sup>(٦)</sup>؛ فأذنت لها؛ فجلست تبكي [معني] <sup>(٧)</sup>!

قالت: فينما نحن على ذلك؛ [إذ] <sup>(٨)</sup> دخل علينا رسول الله ﷺ؛ فسَلَّم، ثم جلس.  
قالت: ولم يجلس عندي منذ <sup>(٩)</sup> قيل لي <sup>(١٠)</sup> ما قيل [قبلها] <sup>(١١)</sup>، وقد لبث <sup>(١٢)</sup> شهرًا لا يُوحَى إليه في شأني بشيء <sup>(١٣)</sup>!

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: «أما بعد؛ يا عائشة؛ فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا <sup>(١٤)</sup>، فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله، وإن كنتِ ألمت <sup>(١٥)</sup> بذنب؛ فاستغفري

(١) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠)، مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).

(٢) في صحيح البخاري (٤١٤١): أبوأي.

(٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١)، وفي (٤١٤١، ٤٧٥٠): ف.

(٤) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠)، مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).

(٥) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠)، مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦).

(٦) قال ابن حجر: «لم أقف على اسمها». فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٧٤).

(٧) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠).

(٨) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٩) في صحيح البخاري (٢٦٦١): من يوم.

(١٠) في صحيح البخاري (٢٦٦١): في.

(١١) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠).

(١٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١): مكث.

(١٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١)، ومسند الإمام أحمد (١٩٤/٦): شيء.

(١٤) قال ابن حجر: «هو كناية عما رميت به من الإفك، ولم أر في شيء من الطرق التصريح، فلعل

الكناية من لفظ النبي ﷺ». فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٧٥).

(١٥) أي: قاربت. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢٧٢).

الله وتوبي<sup>(١)</sup> إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه<sup>(٢)</sup> ثم تاب؛ تاب الله عليه<sup>(٣)</sup>!

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي<sup>(٤)</sup>، حتى ما أحس منه قطرة! فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال! فقال [أبي]<sup>(٥)</sup>: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! فقلت لأمي: أجيبني عني رسول الله ﷺ [فيما قال]<sup>(٦)</sup>! فقالت [أمي]<sup>(٧)</sup>: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! [قالت]<sup>(٨)</sup>: فقلت -وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن<sup>(٩)</sup>-: إني والله لقد عرفت<sup>(١٠)</sup> أنكم قد سمعتم هذا [الحديث]<sup>(١١)</sup>؛ حتى استقر في نفوسكم<sup>(١٢)</sup> وصدقتم به! فإن<sup>(١٣)</sup> قلت لكم إني بريئة

(١) في مسند الإمام أحمد (٦/١٩٤): ثم توبي.

(٢) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠).

(٣) جاء في إحدى روايات مسند الإمام أحمد (٦/٢٦٤): فاستغفري الله؛ فإن التوبة من الذنب: الندم والاستغفار. وأخرج هذه الرواية -أيضاً-: الحميدي في مسنده (٢٨٤)، قال: وربما قال سفيان... فذكره، وأكثر ذلك يقول على الأول [يعني: الرواية الأولى]، وضعفه الأرنؤوط في تحقيقه لـ المسند (٤٣/٣١٤).

(٤) أي: ارتفع وذهب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/١٠٠).

(٥) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٦) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٧) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٨) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(٩) في صحيح البخاري (٤١٤١): لا أقرأ من القرآن كثيراً.

(١٠) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠): علمتُ.

(١١) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠). وفي (٢٦٦١): سمعتم ما يتحدث به الناس.

(١٢) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠): أنفسكم، وفي (٢٦٦١): ... ووقر في أنفسكم.

(١٣) في صحيح البخاري (٢٦٦١)، ومسند الإمام أحمد (٦/١٩٤): ولئن، وفي صحيح البخاري

(٤١٤١، ٤٧٥٠): فلتن.



-والله [عَزَّوَجَلَّ] <sup>(١)</sup> يعلم أني [ل] <sup>(٢)</sup> بريئة -؛ لا تصدقوني بذلك! ولئن اعترفت لكم بأمر  
-والله [عَزَّوَجَلَّ] <sup>(٣)</sup> يعلم أني [منه] <sup>(٤)</sup> بريئة-؛ لتصدقوني <sup>(٥)</sup>! وإني والله ما <sup>(٦)</sup> أجد لي  
ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف <sup>(٧)</sup>: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)!

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي! قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني  
بريئة <sup>(٨)</sup>، وأن الله مبرئي براءتي <sup>(٩)</sup>، ولكن والله ما كنت أظن <sup>(١٠)</sup> أن [الله] <sup>(١١)</sup> ينزل <sup>(١٢)</sup>  
في شأني <sup>(١٣)</sup> وحيًا <sup>(١٤)</sup> يتلى! ولشأني كان أحقر <sup>(١٥)</sup> في نفسي <sup>(١٦)</sup> من أن يتكلم الله [عَزَّوَجَلَّ]

(١) مسند الإمام أحمد (٦/١٩٤).

(٢) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٣) مسند الإمام أحمد (٦/١٩٤).

(٤) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠): لتصدقني.

(٦) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٦٩٠): لا.

(٧) في صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٦٩٠): إلا أبا يوسف؛ إذ (وفي رواية: حين) قال، وفي

(٤٧٥٠): إلا قول أبي يوسف؛ قال.

(٨) في صحيح البخاري (٤١٤١): والله يعلم أني حينئذ بريئة.

(٩) في صحيح البخاري (٧٥٤٥): وأن الله يبرئني، وفي (٢٦٦١): وأنا أرجو أن يبرئني الله.

(١٠) في صحيح البخاري (٢٦٦١): ما ظننت.

(١١) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥).

(١٢) في صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠): منزل.

(١٣) في صحيح البخاري (٧٥٠٠): براءتي.

(١٤) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥): أن ينزل في شأني وحيًا.

(١٥) في صحيح البخاري (٢٦٦١): ولأنا أحقر.

(١٦) في صحيح البخاري (٧٥٠٠، ٧٥٤٥، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، وسنن أبي داود (٤٧٣٥): ولشأني

في نفسي كان أحقر.

فِي بَأْمَرٍ يَتْلَى<sup>(١)</sup>! وَلَكِنِّي<sup>(٢)</sup> كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يَبْرِئُنِي اللَّهُ [بِرَسُولِهِ]<sup>(٣)</sup> بِهَا.

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ؛ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [مِنْ]<sup>(٤)</sup> مَجْلِسِهِ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ؛ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبَرْحَاءِ<sup>(٥)</sup> عِنْدَ الْوَحْيِ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ<sup>(٦)</sup> مِنَ الْعَرَقِ، [وَهُوَ]<sup>(٧)</sup> فِي الْيَوْمِ الشَّاتِلِ<sup>(٨)</sup>؛ مِنْ ثَقُلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ<sup>(٩)</sup> عَلَيْهِ!

قَالَتْ: فَلَمَّا سَرَى<sup>(١٠)</sup> عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ [سَرَى عَنْهُ]<sup>(١١)</sup> وَهُوَ يَضْحَكُ! فَكَانَ [لِ]<sup>(١٢)</sup> أَوَّلِ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ [لِي]<sup>(١٣)</sup>: «أَبْشِرِي - يَا عَائِشَةُ! - أَمَا اللَّهُ

(١) فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٢٦٦١): مَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي.

(٢) فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٤١٤١، ٤٧٥٠)، وَمُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد (١٩٤/٦): وَلَكِنْ.

(٣) مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد (١٩٤/٦).

(٤) أَي: مَا بَرِحَ وَمَا فَارَقَ مَجْلِسَهُ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ: (٢٩٠/٢).

(٥) مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد (١٩٤/٦).

(٦) الْبَرْحَاءُ: شِدَّةُ الْحُمَّى، وَقِيلَ: شِدَّةُ الْكَرْبِ، وَقِيلَ: شِدَّةُ الْحَرِّ. فَتَحَ الْبَارِي شَرْحَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٤٧٦/٨).

(٧) الْجَمَانُ: هُوَ اللَّوْلُؤُ الصَّغَارُ، وَقِيلَ: حَبٌّ يَتَّخِذُ مِنَ الْفَضَّةِ أَمْثَالَ اللَّوْلُؤِ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (٣٠١/١).

(٨) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٤١٤١، ٤٧٥٠).

(٩) مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد (١٩٤/٦). وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠): فِي يَوْمِ شَاتٍ.

(١٠) فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٤٧٥٠): يَنْزَلُ.

(١١) أَي: كُثِّفَ. انْظُرْ فَتَحَ الْبَارِي شَرْحَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٤٧٧/٨).

(١٢) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٤٧٥٠).

(١٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٤١٤١، ٤٧٥٠).

(١٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٢٦٦١).



[عَبْرَةَكَ] <sup>(١)</sup> فقد برأك <sup>(٢)</sup>.

[قالت] <sup>(٣)</sup>: فقالت لي أُمِّي: قومي إليه! [قالت] <sup>(٤)</sup>: فقلت: [لا] <sup>(٥)</sup> - والله! - لا

أقوم إليه، ولا <sup>(٦)</sup> أحمد إلا الله [عَبْرَةَكَ] <sup>(٧)</sup>؛ هو الذي أنزل براءتي!

قالت: فأنزل الله [عَبْرَةَكَ]: (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه) [٨]

[ال] <sup>(٩)</sup> عشر [ال] <sup>(١٠)</sup> آيات [كلها] <sup>(١١)</sup>؛ فأنزل الله [عَبْرَةَكَ] هؤلاء <sup>(١٢)</sup> [العشر] <sup>(١٣)</sup>

الآيات [كلها في] <sup>(١٤)</sup> براءتي <sup>(١٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(٢) في صحيح البخاري (٢٦٦١): يا عائشة؛ احمدي الله فقد برأك الله.

(٣) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٤) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(٥) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٦) في صحيح البخاري (٤١٤١): فيني لا.

(٧) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(٨) صحيح البخاري (٤٧٥٠).

(٩) صحيح البخاري (٧٥٠٠، ٤١٤١، ٤٧٥٠، ٧٥٤٥).

(١٠) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٦٩٠، ٧٥٠٠، ٤١٤١، ٤٧٥٠، ٧٥٤٥).

(١١) صحيح البخاري (٤٧٥٠، ٧٥٤٥).

(١٢) في مسند الإمام أحمد (١٩٤/٦): هذه.

(١٣) صحيح البخاري (٦٦٧٩).

(١٤) صحيح البخاري (٦٦٧٩).

(١٥) وفي رواية لأبي داود (٧٨٥): جلس رسول الله ﷺ وكشف عن وجهه، وقال: أعوذ بالسميع

العليم من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ الآية.

قال الإمام أبو داود رحمه الله عقب روايته: وهذا حديث منكر؛ قد روى هذا الحديث جماعة عن

الزهري لم يذكروا هذا الكلام على هذا الشرح، وأخاف أن يكون أمر الاستعاذة من كلام حميد.

قالت: فلما أنزل الله هذا في براءتي<sup>(١)</sup> قال أبو بكر [الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]<sup>(٢)</sup> - وكان ينفق على مسطح [بن أثانة]<sup>(٣)</sup> لقربته منه وفقره -: والله؛ لا أنفق [على مسطح]<sup>(٤)</sup> شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة [ما قال]<sup>(٥)</sup>! فأنزل الله ﷻ: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا)<sup>(٦)</sup> ألا تحبون أن يغفر الله لكم [والله غفور رحيم]<sup>(٧)</sup> - قال حبان بن موسى: قال عبد الله بن المبارك هذه أرجى آية في كتاب الله -؛ فقال أبو بكر: [بلى]<sup>(٨)</sup> والله؛ إني لأحب أن يغفر الله لي! فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه<sup>(٩)</sup>؛ وقال: [والله]<sup>(١٠)</sup>؛ لا أنزعها منه<sup>(١١)</sup> أبداً!

فتعقبه الإمام ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تهذيب السنن (١/ ٣٧٩)؛ بقوله: قال ابن القطان: حميد بن قيس أحد الثقات؛ وإنما علته: أنه من رواية قطن بن نسير عن جعفر بن سليمان، عن حميد، وقطن - وإن كان روى عنه مسلم - فكان أبو زرعة يحمل عليه ويقول: روى عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس أحاديث مما أنكر عليه، وجعفر أيضاً يختلف فيه؛ فليس ينبغي أن يحمل على حميد - وهو ثقة بلا خلاف - في شيء جاء به عنه من يختلف فيه. وضعفه العلامة الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ضعيف أبي داود (٧٨٥)، وانظر: إرواء الغليل (٢/ ٥٨).

- (١) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠).
- (٢) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤٧٥٠).
- (٣) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠).
- (٤) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، وفي صحيح مسلم: عليه.
- (٥) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠).
- (٦) صحيح البخاري (٤٧٥٠).
- (٧) صحيح البخاري (٤١٤١، ٤٧٥٠، ٤٧٥٧).
- (٨) صحيح البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠، ٦٦٧٩).
- (٩) في صحيح البخاري (٢٦٦١): فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه.
- (١٠) صحيح البخاري (٤١٤١، ٦٦٧٩).
- (١١) في صحيح البخاري (٦٦٧٩): عنه.



قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ [يا]<sup>(١)</sup> سأل زينب بنت جحش<sup>(٢)</sup> زوج النبي ﷺ عن أمري؛ [فقال: يا زينب]<sup>(٣)</sup> ما [ذا]<sup>(٤)</sup> علمتِ أو ما رأيتِ<sup>(٥)</sup> [أو ما بلغك]<sup>(٦)</sup>؟! فقالت: يا رسول الله؛ أحيي سمعي وبصري<sup>(٧)</sup>! والله؛ ما علمت [عليها]<sup>(٨)</sup> إلا خيرًا! قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني<sup>(٩)</sup> من أزواج النبي ﷺ؛ فعصمها الله بالورع! [قالت]<sup>(١٠)</sup>: وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها<sup>(١١)</sup>؛ فهلكت فيمن هلك!

(١) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٢) زينب بنت جحش بن رباب، أم المؤمنين، وابنة عمّة رسول الله ﷺ، أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وهي أخت حمنة، من المهاجرات الأول، تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث وقيل سنة خمس، ونزلت بسببها آية الحجاب، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، توفيت سنة ٢٠هـ، وقيل: كانت أول نسائه لحوقًا به. سير أعلام النبلاء (٢/٢١١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٧/٦٦٧).

(٣) صحيح البخاري (٢٦٦١). وفي (٤١٤١): فقال لزينب.

(٤) صحيح البخاري (٤١٤١).

(٥) في صحيح البخاري (٢٦١٦): ما علمتِ ما رأيتِ.

(٦) مسند الإمام أحمد (٦/١٩٤).

(٧) أي: أمنعهما من أن أنسب إليهما ما لم يدركاه، ومن العذاب لو كذبت عليهما. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٤٤٨).

(٨) صحيح البخاري (٢٦٦١).

(٩) أي: تعاليني وتفاخرنِي، وهو مفاعلة من السمو، أي: تناولني عنده ﷺ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٠٥).

(١٠) صحيح البخاري (٤١٤١).

(١١) من الحرب. وبالزاي: أي تَتَعَصَّب وتَسْعَى سَعْيَ جماعتها الذين يَتَحَرَّبُونَ لها. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٧٧).

قال الزهري<sup>(١)</sup>: فهذا ما انتهى إلينا<sup>(٢)</sup> من أمر<sup>(٣)</sup> هؤلاء الرهط.

قال عروة: كانت عائشة تكره أن يُسَبَّ عندها حسان؛ وتقول: فإنه قال:

فإن أبي ووالده وعرضي \*\*\* لعرض محمد منكم وقاء

وزاد أيضًا: قال عروة: قالت عائشة: والله؛ إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول:

سبحان الله! فوالذي نفسي بيده؛ ما كشفت عن<sup>(٤)</sup> كنف<sup>(٥)</sup> أنثى قط!

قالت: ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيدًا في سبيل الله.



(١) في صحيح البخاري (٤١٤١)، ومسند الإمام أحمد (٦/١٩٤): ابن شهاب.

(٢) في صحيح البخاري (٤١٤١): فهذا الذي بلغني.

(٣) في صحيح البخاري (٤١٤١): حديث.

(٤) في صحيح البخاري (٤١٤١): من.

(٥) أي: ثوبها الذي يسترها، وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن. المنهاج شرح

صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١١٤).





## المبحث الثاني أسباب خوض المنافقين في الإفك

إذا كان الخوض في عرض المسلم بغير حق من أكبر المعاصي جرماً، وأعظمها إثماً، والاتصاف به لا يكون إلا لأسباب داخلت نفس الخائض؛ فكانت حاملاً ودافعاً له على ارتكابه؛ فلا شك في أن الخوض في عرض أفضل الخلق، وأحبهم إلى الله تبارك وتعالى وفي عرض أحب الناس إليه ﷺ (صاحبه الصديق أبي بكر، وزوجه الطاهرة عائشة رضي الله عنهما) هو من أكبر الكبائر وأعظمها، وأن مرتكبه له أسباب خبيثة دفعته إلى الوقوع في هذا المنكر العظيم، وإلا فإن مجرد عِظَم هذا الذنب وشناعة الوقوع فيه من أكبر الدوافع لاجتنابه، ومن ثم فإن معرفة هذه الأسباب لها أهمية بالغة للمسلمين عامة وللدعاة خاصة.

ومعرفة تلك الأسباب وتصورها تصوراً صحيحاً تقتضي الوقوف عند نقطتين مهمتين:

### ١- الأولى- موقف المجتمع المدني عامة تجاه خبر الإفك:

بالنظر فيما ورد في الكتاب والسنة في حادثة الإفك نجد المجتمع المدني انقسم تجاه خبر الإفك على أربعة أقسام:

القسم الأول: فئة من المؤمنين بادروا بتكذيب شائعة الإفك، وهؤلاء هم خيرة الصحابة وأفضلهم، ومنهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>،

(١) أورد ذلك عنهم: النسفي في تفسيره (٣/ ٢٠٠).

وأبو أيوب الأنصاري<sup>(١)</sup> وأم أيوب<sup>(٢)(٣)</sup>، وأسامة بن زيد، وأم مسطح، وبريرة، وأم أيمن<sup>(٤)</sup> عليه السلام، فقد برؤوا ساحة أم المؤمنين عائشة عليها السلام من الإفك بمجرد سماعه، ووصفوه بالإفك المبين، وسبحوا الله تعظيماً أن يقدر الله هذا الأمر على زوجة نبيه ﷺ.

وهؤلاء هم الممدوحون على ما بادروا به من تكذيب الإفك، فقد كانوا هم الذين فعلوا ما أمر الله به بقوله: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

القسم الثاني: وهم أكثر الناس، حموا أسماهم وألستهم فسكتوا، ولم يصدقوا ولم يكذبوا.

القسم الثالث: فئة من المؤمنين خاضوا في الإفك بالأفواه، لا بالقلوب، لشدة مكر المنافقين في إشاعة الإفك، فخاضت الألسن بقول أهل الإفك، على غلبة ظنهم أن هذا الأمر ليس فيه لائمة، ولا يُعرض لسخط الله تعالى، ومن هؤلاء: حسان بن ثابت

(١) الصحابي الجليل خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، الخزرجي النجاري البصري، أبو أيوب، السيد الكبير الذي خصه النبي ﷺ بالنزول عليه في بني النجار توفي سنة ٥٠ هـ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٦٠٦/٤)، سير أعلام النبلاء (٤٠٢/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (٢٣٤/٢).

(٢) أم أيوب الأنصارية، امرأة أبي أيوب، وهي: بنت قيس بن عمرو بن امرئ القيس من الخزرج. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩٢٥/٤)، أسد الغابة (٢٩١/٧)، الإصابة في تمييز الصحابة (١٧٤/٨).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١٢/١٧).

(٤) أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، واسمها بركة، أسلمت قديماً أول الإسلام، وهاجرت إلى الحبشة وإلى المدينة، وبايعت رسول الله ﷺ، تزوجها زيد ابن حارثة رضي الله عنه وأنجب منها أسامة ابن زيد رضي الله عنه حب رسول الله ﷺ، توفيت بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمسة أشهر، وقيل بستة أشهر. انظر: أسد الغابة (٢٩٠/٧)، سير أعلام النبلاء (٢٢٣/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة (١٦٩، ١٧٩/٨).

ومسطح بن أثاثه وحملة بنت جحش رضي الله عنهما <sup>(١)</sup>.

وهؤلاء مخطئون في الفعل الذي بدر منهم، مغفورٌ لهم بتوبة الله عليهم وتكفير خطيئتهم بالحد الذي أقيم عليهم، وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ <sup>(١٥)</sup> وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ <sup>(١٦)</sup> [النور: ١٥، ١٦].

وقد أثبت الله ﷻ لأهل هذا القسم فضائلهم التي عملوها حيث أثبت لمسطح هجرته وإيمانه عندما حلف أبو بكر رضي الله عنه أنه لن ينفق على مسطح رضي الله عنه، ولن يتصدق عليه وهو من ذوي قرابته، فقال ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولَ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ <sup>(٢٢)</sup> [النور: ٢٢].

القسم الرابع: أرباب الإفك الذين اختلقوه ثم كانوا يستوشونه ويذيعونه، وهؤلاء هم المنافقون المرجفون في المدينة، وعلى رأسهم: عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وهو الذي تولى كِبَرُ الإفك، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ <sup>(١١)</sup> [النور: ١١]: «عبد الله بن أبي ابن سلول» <sup>(٢)</sup>.

وهذا القسم هو المتوعد باللعنة والعذاب العظيم الذي ذكره المولى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ <sup>(٢٣)</sup> يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(٢٤)</sup> [النور: ٢٣، ٢٤]، وهم المعنيون بقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٩).

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٥٢) أن الروايات بذلك قد تظاهرت عن عائشة رضي الله عنها.

يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور: ١٩] <sup>(١)</sup>.

ومن خلال معرفة هذه المواقف الأربعة للمجتمع المدني تجاه خبر الإفك؛ يظهر أن الخائضين في الإفك فئتان: أصحاب القسم الثالث (وهم فئة قليلة جداً من الصحابة رضي الله عنهم)، وأصحاب القسم الرابع (وهم المنافقون)، وكما أن هاتين الفئتين لا تستويان البتة من حيث الأفراد والحقيقة والحكم؛ فهما كذلك لا تستويان البتة من حيث أسباب ودوافع خوضهما في الإفك؛ ومن ثم كان ذكر أسباب خوض أصحاب القسم الثالث في الإفك مضمناً في الموقوفات التي سيأتي ذكرها في الفصل الخامس من هذا البحث، وخُصَّ أصحاب القسم الرابع بالحديث في هذا الموضع؛ إذ إنهم كانوا هم الذين أحدثوا الإفك واختلقوه وأشاعوه.

وهذا التصوّر السابق يقود إلى النقطة الهامة الثانية، وذلك أن تصوّر أسباب خوض المنافقين في الإفك يقتضي أن نتصور قبل ذلك:

### 📖 الثانية- أسباب نشوء النفاق في المدينة النبوية:

حين كان النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم في مكة لم يكن الناس إلا قسمين: مؤمناً ظاهراً وباطناً، وكافراً ظاهراً وباطناً، ولما اشتد الأذى على المؤمنين أتباع الدعوة الإسلامية يسّر الله لهم مكاناً يلتجئون إليه (وهو المدينة)، فهاجر إليها النبي ﷺ والمؤمنون، وبعد هذه الهجرة العظيمة استمر حال المجتمع المدني -من حيث الجملة- على الوضع الذي كان عليه المجتمع المكي قبل الهجرة: (مؤمنون، وكافرون مظهرون للكفر: إما من عبادة الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام بعد، وإما من اليهود)، وكان كل فريق يبوح بدينه

(١) استفدت هذا التقسيم من فضيلة الشيخ عبد القادر شيبه الحمد، في كتابه فقه الإسلام شرح بلوغ المرام (٩/٥). وزدت على ما ذكره فضيلته بإيراد نصوص القرآن وأقوال أهل العلم التي تدل على صحة هذا التقسيم.



سراً وعلانية، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قَطِيفَةٍ<sup>(١)</sup> فَذَكِيَّة<sup>(٢)</sup> وأردف<sup>(٣)</sup> أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادَةَ في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر. قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول -وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي-، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة<sup>(٤)</sup>، فلما غشيت المجلس عجاجة<sup>(٥)</sup> الدابة حَمَرٌ<sup>(٦)</sup> عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى -يا رسول الله- فاغشُنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك. فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار

(١) القطيفة: هي كساء له خل، وهو دثار مخمل، جمعها قطائف وقطف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٨١، ٤/٨٤)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٥٧)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٢٣١) (١٠/١٢٢).

(٢) فذكية: نسبة إلى فذك، بلدة معروفة على مرحلتين أو ثلاث من المدينة، كأنها صنعت فيها. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٥٧)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٢٣١) (١٠/١٢٢).

(٣) أردفه: أركبه خَلْفَهُ على الدابة. انظر: لسان العرب (٩/١١٦).

(٤) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس، الأنصاري، الخزرجي، الشاعر المشهور، يكنى أبا محمد، ليس له عقب من السابقين الأولين من الأنصار، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٨٢).

(٥) هي: ما ارتفع من غبار حوافرها الذي تثيره. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٥٨)، هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص: ١٥٣).

(٦) حَمَرٌ أنفه: أي غطاه. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/١٥٨).

حتى دخل على سعد بن عباد، فقال له النبي ﷺ: «يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب<sup>(١)</sup> -يريد عبد الله بن أبي-؟، قال كذا وكذا». قال سعد بن عباد: يا رسول الله، اعفُ عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطاح أهل هذه البحيرة<sup>(٢)</sup> على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصاة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق<sup>(٣)</sup> بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وكان مبدأ ظهور النفاق في المجتمع المدني -وفي التاريخ الإسلامي بعامة- بعد أن أظهر الله دينه على المشركين من أهل مكة في غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة، فحين انتصر الجيش المؤمن على جيش الكفر أرسل النبي ﷺ كلاً من عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة رضي الله عنهما، فقاما يناديان -كلٌّ على راحلته- يبشران الأنصار بنصر المسلمين على مشركي قريش ويذكران قتلى صناديد قريش، فجعل المؤمنون يستوثقون منها الخبر لما أشاع المنافقون من تشويش في صحة كلامهما، وهما يؤكدان صدق ما أخبرا به، فلما استبان الأمر بإتيان النبي ﷺ والمؤمنين ومعهم الأسرى والغنائم<sup>(٥)</sup>؛ قال عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من المشركين عبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه<sup>(٦)</sup>. فبايعوا

- 
- (١) أبو حُباب: كنية عبد الله بن أبي، وكناه النبي ﷺ في تلك الحالة لكونه كان مشهوراً بها أو لمصلحة التأليف. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٣٢).
- (٢) البَحِيرَة: مدينة الرسول ﷺ وهو تصغير البحْرة. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٠٠).
- (٣) شَرِق: أي غَصَصَ، ومعناه: حسد النبي ﷺ، وكان ذلك بسبب نفاقه. انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/ ١٥٩)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٣٢).
- (٤) صحيح البخاري (٨/ ٢٣٠، ٢٣١) رقم: (٤٥٦٦).
- (٥) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٧١).
- (٦) توجه: أي ظهر وجهه. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٣٣).



الرسول ﷺ على الإسلام فأسلموا<sup>(١)</sup>.

فكان سبب نشوء النفاق في المجتمع المدني اجتماع عاملين هما:

١ - أنه صار للمؤمنين في المدينة عزٌّ وأنصارٌ بعد دخول جمهور أهلها في الإسلام طوعاً واختياراً.

٢ - ظهور الإسلام على أهل الشرك من أهل مكة الذين كانوا أشد وأظهر وأول المناوئين له<sup>(٢)</sup>.

فلجأت فئة من أهل الشرك من أهل المدينة إلى إظهار الإسلام وإبطان الكفر؛ فنشأ بذلك النفاق في التاريخ الإسلامي.

ومنذ نشأ النفاق كان أهله أخطر على أهل الإسلام من الكفار المعلنين للكفر، وذلك لعموم الابتلاء بهم، وشدة إفسادهم ومكرهم، وفتنتهم للإسلام وأهله، ولاتفاقهم واجتماعهم على حرب الإسلام، وللتربص والترصد والاستعداد بالكتمان لأي فرصة تحين في أي وقت وأي مكان لإيذاء المؤمنين، ولأن رأس مالهـم الخديعة والمكر والكذب، ولسعيهم في تشكيك الناس في دينهم بإلقاء الشبه، ولللدادة<sup>(٣)</sup> خصومتهم مستعنيين على ذلك بحلاوة القول ولينه، ولفرحهم بنصر الكفار وهزيمة المسلمين، وحزنهم عند نصر المسلمين وهزيمة الكفار<sup>(٤)</sup>.

وبتصوّر النقطتين السابقتين؛ يظهر الترابط بين نشأة النفاق وظهور المنافقين في المجتمع المدني وأسباب ذلك وخطورته، وبين كون المنافقين هم الذين كانوا وراء خبر

(١) صحيح البخاري (٤/١٦٦٣).

(٢) انظر: الإيمان الأوسط ص (٢٩٢).

(٣) اللدادة: شدة الخصومة. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٦/٢١٩).

(٤) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٣٤٧-٣٥٩).

الإفك اختلاقاً وخوضاً وترويجاً وإشاعةً ونشراً.

كما تظهر أيضاً الأسباب المعلنة والخفية التي دفعت المنافقين إلى الخوض في الإفك، وأنها لا تخرج عن محورين رئيسين هما:

الأول- الأسباب الدينية. الثاني- الأسباب الدنيوية.

وفما يأتي تفصيل ذلك:

### 📖 أولاً - الأسباب الدينية:

#### ١- إرادة إسقاط الدين بإسقاط حملته.

من المعلوم أن المنافقين لم يدخلوا في الإسلام رغبةً فيه، وأنهم لما لم يتمكنوا من إظهار كفرهم علانيةً ورَدَّ الدين صراحةً -خوفاً من افتضاح أمرهم وانكشاف دخيلة نفوسهم وتعرضهم للقتل بسبب ذلك-، اندسّوا بين صفوف أهل الإسلام، ولجأوا إلى الحيلة والمكر، وأخفوا تكذيبهم نصوص الكتاب والسنة، واستهزاءهم بها وبأهل الإيمان بها وبغضهم إياهم، وكراهية نصرهم وحبّ الأذى والهزيمة لهم، كما قال تعالى:

﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَن تُمْ أُولَآءِ تُحِبُّوهُم وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّاهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِّرُوهُمْ وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

ويدرك المنافقون أن قوة هذا الدين بين الناس -داخل المجتمع المسلم وخارجه- إنما تكون بقوة الإيمان به التي تملأ نفوس حملته، ولذا؛ فإنهم يتصيدون الفرص ويرصدون الوقائع لينفثوا سمومهم، فيوجهون سهامهم لحملة الدين ورافعي رايته





وحمّاه ساحتهم من أئمة الدين وأهل التقى والعلم - وفي مقدمتهم: نبي الأمة ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم -، فيتهمونهم بفظائع الأمور ومستبشعات الأخلاق وذميم الصفات؛ ليتوصلوا بذلك إلى إسقاط الدين نفسه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِكُمْ وَأَيُّنِهِمْ رَسُولٌ لَّهُ كُنتُمْ تُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [النور: ٦٥، ٦٦].

لقد رأى المنافقون في عهده ﷺ أن أفضل وسيلة لإسقاط الدين هي: إسقاط أعظم حملته وعلى رأسهم النبي ﷺ وذلك من خلال تشويه صورته والقدح في نزاهته بأمكر طريقة يتمكنون منها، فما إن تسنّت لهم الفرصة حتى أوقدوا نار الفتنة وافتعلوا الإفك المبين، من خلال رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول الذي تكلم في عرض النبي ﷺ، فأراد بذلك الكيد للإسلام في رمزه، وذلك باتهامه في عرضه الشريف؛ ليسقطه من أعين الناس، فيحصل بمكره هذا على مقصده الأسنى وهو ذهاب الدين واضمحلاله، وذلك أنه إذا كانت النفوس السليمة الأبيّة لا ترضى النقائص - خاصة في الأعراس - ولا تقبلها في آحاد الناس؛ فكيف ترضى بها في أهل الريادة والقيادة؟، فإذا تناقلت الألسن في أوساط المجتمع المدني وقوع الفاحشة في عرض النبي ﷺ الذي اتهمه المنافقون بالإفك في أهله، وصدّقت ذلك واعتقدته؛ فهذا يعني ضرورة إسقاط شخص النبي ﷺ، وإذا أسقط شخص النبي ﷺ - وهو الذي أتى ذا الدين من عند الله سبحانه ودعا إليه وجاهد في الله من أجل رفع رايته - أسقطت رسالته ونُسب إلى الكذب فيها وعدم صحتها.

يجلّي هذا الأمر: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُوكَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُوكَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦]، «فأخبر تعالى أن النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، فلا تكون خبيثة لطيب، فإن ذلك خلاف الحصر...، وأخبر أن الطيبين للطيبات، فلا يكون الطيب لامرأة

خبیثة، فإن ذلك خلاف الحصر؛ إذ قد ذكر أن جميع الخبيثات للخبيثين، فلا تبقى خبيثة لطيب ولا طيب لخبیثة، وأخبر أن جميع الطيبات للطيبين فلا تبقى طيبة لخبیث»<sup>(١)</sup>، «فعلِم أن الذي رمي أمهات المؤمنين يعيب بذلك رسوله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- مرض قلوب المنافقين:

وصف الله المنافقين بأن في قلوبهم مرضاً فقال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، «المرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم... هو شكهم في أمر محمد ﷺ وما جاء به من عند الله، وتحيرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنهم كما وصفهم الله ﷻ مُذَبْذَبُونَ بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، يقال: فلان يَمْرُضُ في هذا الأمر، أي: يُضَعِّفُ العزمَ ولا يصحح الروية فيه»<sup>(٣)</sup>.

و«مرض القلب: خروج عن صحته واعتداله، فإن صحته أن يكون عارفاً بالحق محباً له مؤثراً له على غيره، فمرضه إما بالشك فيه وإما بإيثار غيره عليه، فمرض المنافقين مرض شك وريب»<sup>(٤)</sup>، وهذا المرض جعل من ديدنهم وعادتهم: الوقوع فيما حرمه الله ورسوله من الكفر والفساد والإفساد والاستهزاء بالدين وبالمؤمنين وموالات الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، ﴿وَيَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢]، ﴿وَيَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٣].

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٣٢٢).

(٢) المصدر السابق (١٥/٣٦٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٢٨٧).

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص (١٧١).



فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴿٥١﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢]، ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩]، ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

وهو الذي دفعهم إلى اختلاق هذا الإفك المبين في النبي ﷺ وزوجه الطاهرة عائشة رضي الله عنها والخوض فيه وإشاعته، ابتداءً برأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول الذي اختلق الإفك لما رأى صفوان بن المعطل يقدم بعائشة، ثم أعانه بقية المنافقين على نشره وإذاعته في المجتمع المسلم، وإلا فإن القلب السليم يعلم من منزلة النبي ﷺ عند ربه، ومكانة عائشة عنده وعفتها وطهرها، وأمانة صفوان بن المعطل وصدقه، وغير ذلك من الاعتبارات الصحيحة؛ ما يجعله في كامل الطمأنينة والسكينة والثقة بعدم وقوع ذلك الأمر المشين الذي اختلقه المنافقون وأذاعوه، بل لا يمكن للقلب السليم أن ينقدح فيه ذلك ابتداءً.

### ٣- التآمر ضد المسلمين والتعاون على معاداتهم:

حين نزل النبي ﷺ إلى المدينة كانت أخلاطاً من يهود ومشركين، وكانت نار الفتنة تُوَجَّج بين قبيلتي الأوس والخزرج من قبل اليهود ما بين الفينة والأخرى، وعندما أظهر الله نور الإيذان بين جنات المدينة النبوية، فاضمحل على إثره سواد الشرك الذي غطى يثرب سابقاً؛ ثارت في نفوس اليهود والمشركين الضغائن والأحقاد، فكان التواطؤ من المنافقين مع أعداء الإسلام على أي ملة كانت يكمن في التآمر ضد الإسلام، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]. قال القرطبي<sup>(١)</sup>: «يعني: لا

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، أبو عبد الله، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من كتبه «الجامع لأحكام القرآن»، رحل إلى الشرق واستقر بمينة ابن خصيب (في شمالي أسبوط بمصر)، وتوفي فيها سنة ٦٧١ هـ. انظر: الأعلام (٥/ ٣٢٢).

يتركون الجهد في فسادكم، يعني: أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعة»<sup>(١)</sup>.

وما حصل بالتحديد في حادثة الإفك الذي قالته ألسنتهم، وما سبقه ولحقه من أحداث؛ يثبت أن تأمرهم ضد المسلمين كان من أعظم أسباب خوضهم في الإفك، فالتأمر - في أقوالهم وأفعالهم في حادثة الإفك - بينُّ والعداوة بارزة فيما أحدثوه من الإفك، وفيما نتج عنه في بعض المواقف من الفتنة التي كادت تثور بين الصحابة رضي الله عنهم، فحين يتخلخل الصف المسلم وتحدث بينهم الفرقة - كما كاد أن يحصل بين الأوس والخزرج لولا فضل الله ﷻ ثم حكمة النبي ﷺ في تهدئة تلك الفتنة العظيمة - لحدث ما أراده المنافقون من كيدهم الدفين في سويداء النفوس، ولقدّموا للمشركين فرصة العمر في إضعاف الإسلام وأهله، هم يحبون ذلك وقد استقر في قلوبهم مودة إتعاب المؤمنين والتضييق عليهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] أي: «تمنوا عنتكم، أي: مشقتكم وشدة ضرركم»<sup>(٢)</sup>، وهذا يبيّن خبث ضمائر نفوسهم وما انطوت عليه من تأمر على الدين وأهله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] يعني: ظهرت العداوة والتكذيب لكم من أفواههم، ويبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم<sup>(٣)</sup>. فهذه أعمالهم فيها - مما يثبت تأمرهم ضد المسلمين - ما «قد لاح على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله»<sup>(٤)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٩).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٢/ ٧٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٠٨).

## ٨١ ثانيا- الأسباب الدنيوية:

### ١- البغض والحقد والحسد:

يَبِّنُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ أَنَّ حَالَهُ - فِي تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَمَوْقِفِ النَّاسِ مِنْهُ وَمِنْ دَعْوَتِهِ وَتَرَصُّدِ عِدَدٍ مِنْ أَكْبَارِ الْمَدْعُومِينَ لَهُ بِالْحَقْدِ وَالْبَغْضِ الَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنْهُ الْأَذَى وَالْعَدَاوَةُ وَالْمَكْرَ - لَا يَخْتَلِفُ عَنْ حَالٍ مِنْ سَبْقِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِينَ لِيَتَكَبَّرُوا فِيهَا وَمَا يَكْمُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ<sup>(١)</sup>: «وَكَمَا جَعَلْنَا فِي قَرِيَّتِكَ - يَا مُحَمَّدٌ - أَكْبَارَ مِنَ الْمَجْرِمِينَ وَرُؤْسَاءَ وَدَعَاةٍ إِلَى الْكُفْرِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَإِلَى مَخَالَفَتِكَ وَعَدَاوَتِكَ، كَذَلِكَ كَانَتْ الرِّسَالُ مِنْ قَبْلِكَ يَبْتَلُونَ بِذَلِكَ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي الْمَجْتَمَعِ الْمَدَنِيِّ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ حَادِثَةُ الْإِفْكِ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْمَجْرِمِينَ فِيهِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولٍ، الَّذِي كَانَ فِي يَثْرَبٍ - قَبْلَ مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهَا - كَبِيرًا مَطَاعًا شَرِيفًا مَقْدَمًا، حَتَّى اتَّفَقَ أَهْلُهَا عَلَى أَنْ يَمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لَمَّا أَكْرَمَ اللَّهُ عِدَدًا مِنْ أَعْيَانِهَا بِالْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالدَّخُولِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ هَجَرَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَكْبَارَ صَحَابَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَازْدِيَادِ عِدَدِ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا؛ زَالَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي كُلٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ فِي مَجْتَمَعِهِ مِنْ تَبْجِيلٍ وَتَقْدِيمٍ وَتَرْتِيسٍ، فَقَدْ اجْتَمَعَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ - وَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِهَا - عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ الْوَحْيِ وَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْأَخُوَّةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي تَزِيلُ الْأَحْقَادَ وَتُؤَلِّفُ الْقُلُوبَ وَتَوْحِّدُ الصِّفَافَ، وَإِزَاءَ ذَلِكَ أُشْرِبَ قَلْبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْبَغْضَاءِ

(١) إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرِ بْنِ كَثِيرٍ، الْقُرَشِيُّ الدَّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، أَبُو الْفَدَاءِ، الْإِمَامُ، الْمَفْسَرُ، الْمُحَدِّثُ، الْمُؤَرِّخُ، مِنْ أَعْلَامِ الشَّافِعِيَّةِ. تَوَفَّى سَنَةَ ٧٧٤ هـ، انْظُرْ: طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ (٣/ ٨٥)، الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ (١/ ٤٤٥)، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ (٦/ ٢٣١).

(٢) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (٣/ ٣٣١).

والحقد الدفين والحسد للنبي ﷺ، وصار من أشدّ أهل المدينة عداوة له ولدينه، وترصدت له جوارحه بالمكر والأذى، وكان مما ينفث به البغض والحقد والحسد الذي ملئ به قلبه: أنه كان في بداية أمره ينفر الناس عن النبي ﷺ وعن دينه، ولكنه لما دخل في الإسلام نفاقاً عظماً خطره واستشرى ضرره؛ بما كان يحكيه من الكيد والمكر في كل فرصة يرى أنها مناسبة له - كما وقع منه في مسير النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم إلى أحد وغيره من المواقف -، كما أنه كان يمشي في صفوف المسلمين بالتحريض ومقالة السوء ليفرق الصف والكلمة.

وعند النظر في حادثة الإفك نجد أن الذي اختلق الإفك وتولّى كبره هو: عبد الله بن أبي نفسه، فعندما رأى عدوّ الله أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على جمل صفوان بن المعطل رضي الله عنه يقود بها في نحر الظهيرة، أخرج حقه الدفين وبغضه الكامن في صدره، مستغلاً موقفاً لا يشك فيه كل منصف للحق أنه خال وعار من التهمة، ليقول كلمة الإفك، «فقال: من هذه؟»، قالوا: عائشة وصفوان، فقال: فَجَرَّ بها - ورب الكعبة -<sup>(١)</sup>. وفي لفظ: «ما برئت منه وما برئ منها»<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ: «والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقودها»<sup>(٣)</sup>. وصار يقول: امرأة

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٤/٢٣)، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٤٠): «فيه إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي؛ وهو كذاب» اهـ.  
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٨/٢٣)، من مرسل سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: «وَالَّذِي قَوْلُكَ كِبَرُهُ» يعني: عظمه «مِنْهُمْ» يعني: القذفة، وهو: ابن أبي رأس المنافقين، هو الذي قال: ما برئت... فذكره. وهو -إضافة إلى أنه مرسل- قال الهيثمي فيه في مجمع الزوائد (٧/٧٧): «فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف وقد يحسن حديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٤).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٧/٧٨) -وعنه: البغوي في تفسيره (٦/٢٣)-، من رواية ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت في حديث الإفك: ثم ركب، وأخذ صفوان بالزمام،



نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت. ثم أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم لها لشدة عداوته لرسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

فرأى عدوّ الله أنه وجد «متنفساً، فتنفس من كَرْبِ النفاق والحسد الذي بين ضلوعه، فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه ويجمعه ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه»<sup>(٢)</sup>، بل «كان -لعنه الله تعالى- يجمع الناس عنده ويذكر لهم ما يذكر من الإفك»<sup>(٣)</sup>.

فكان من أعظم أسباب خوض عبد الله بن أبي في الإفك:

أ- بغضه لرسول الله ﷺ ومحبه لإيذائه وأن يدنس فراشه!<sup>(٤)</sup>.

ب- «إمعانه في عداوة رسول الله ﷺ، وانتهازه الفرص، وطلبه سبيلاً إلى الغميمة»<sup>(٥)</sup>.

## ٢- التربص والترصد للمؤمنين:

إن ضرر المنافقين المخالطين للمسلمين «المعاشرين لهم، وهم في الباطن على خلاف دينهم، أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم؛ لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار

---

فمررنا بملأ من المنافقين، وكانت عادتهم أن ينزلوا متبذنين من الناس، فقال عبد الله بن أبي رئيسهم: من هذه؟ قالوا: عائشة، قال: والله؛ ما نجت... فذكره.

(١) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (٢/٦٠٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٢٦٠).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/١١٦).

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين للشيخ بن عثيمين (٣/١٠).

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (٣/٢٢١).

والمنازل صباحًا ومساءً، يدلون العدو على عوراتهم، ويتربصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق بالعداوة من المباین المجاهر، فلهذا قيل: ﴿هُمُ أَعْدُو فَاَحْذَرْتُمْ﴾ [المنافقون: ٤] لا على معنى: أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى: أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوًا من الكفار المجاهرين<sup>(١)</sup>.

لقد كان من أسباب خوض المنافقين في الإفك: التربص والترصد لأي لائحة تتسنى، أو شبهة تتبدى، يمكن من خلالها الواقعة في المؤمنين، لكي يثيروا بذلك فتنة تفتك بالمجتمع المؤمن.

وتذكر أحداث السيرة النبوية ما يقرر ذلك ويدل عليه ويبينه: وهو ما حصل في غزوة المريسيع<sup>(٢)</sup> حين كَسَعَ<sup>(٣)</sup>: «رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال المهاجري: يا للمهاجرين!، وقال الأنصاري: يا للأنصار!، فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟، قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: دعوها فإنها منتنة. فسمع ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فقال: أَوَقَدْ فعلوها؟، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»<sup>(٤)</sup>.

وفي حادثة الإفك: ترصد المنافقون -وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول- لذلك الموقف النبيل الشريف الذي كان ملؤه الطهر والنقاء، فعندما رأى صفوان بن

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتین ص: (٥٩٦).

(٢) المريسيع: ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم. واليوم: جزء من وادي (حورة)، أحد روافد (ستارة)، وستارة وقديد واد واحد، وهو بعيد عن الساحل في الداخل بما يقرب من ثمانين كيلاً عن سيف البحر. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ٤٣٠)، معجم المعالم الجغرافية ص: (٢٩٠)، المعالم الأثرية ص: (٢٥١).

(٣) الكسع: ضرب الدبر باليد أو بالرجل. انظر: المصدر السابق (٨/ ٦٤٩).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٥/ ٤١٧) رقم: (٣٣١٥) وقال: حديث حسن صحيح.





المعطل السلمي ﷺ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحيدة مفقودة عن الجيش الإسلامي في مكان قفرٍ موحشٍ، أدى أمانته على أكمل الوجوه، ثم جاء بزواج النبي ﷺ يقودها على ناقته في نحر الظهيرة حتى أوصلها إلى زوجها ﷺ سالمة آمنة، وإن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يفسَّر عند كل مؤمن إلا على أنه شهامة وتبُّلٌ وكرم أخلاق وكمال عفة، ولكن لما كان الخبيث عبد الله بن أبي يربص بأي بادرة تلوح في الأفق، ليدس السم الزعاف من خلالها في وسط المجتمع المؤمن؛ قال: «فَجَرَ بها - ورب الكعبة-»<sup>(١)</sup>، وقال: «امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها»<sup>(٢)</sup>. وهذا ينبئك عما كان عليه رأس النفاق -والمنافقون بعامه- من ترصد للمؤمنين وتربص بهم حتى في المواقف النبيلة الشريفة، فكيف بغيرها مما لو تسنى لهم أن يجدوا فيه نوع شبهة أو موضع طعن وتجريح؟

### ٣- طلب الجاه والمنصب:

اجتمعت كلمة أهل يثرب (الأوس والخزرج) على تسويد عبد الله بن أبي وتتويجه بالملك، وهذا من أعظم ما يناله الإنسان من الدنيا، وأعلى ما يمكن أن يطمح إليه من الجاه.

ولكن أراد الله إكرام تلك القبيلتين بالنبي ﷺ ليحتضنوه ويدودوا عن حياض الدين الإسلامي، ولا مردّ لأمره سبحانه، فاجتمع أهل المدينة على الالتفاف حول النبي ﷺ يفدون به بالنفس والنفيس، وعلى نسيان أمر عبد الله بن أبي والإعراض عنه وعدم الالتفات إليه.

فرأى عبد الله بن أبي أنه قد ضاع عليه ملكه الذي كان على مقربة منه، وفقد جاهه

(١) سبق تخريجه ص: (٧٠).

(٢) سبق تخريجه ص: (٧٠).

بين أهله وعشيرته، فأورثه ذلك رغبة شديدة في أن يسترد ملكه ويسترجع جاهه، فصار يبذل -في سبيل ذلك- كل ما يمكنه من كيد ومكر للنبي ﷺ وللإسلام وأهله.

يثبت ذلك: أنه لما كان في غزوة بني المصطلق، وكاد أن يفرق الصفَّ المؤمن بإيقاد نار الفتنة بإثارة الحمية القبليَّة، استخدم النبي ﷺ السُّرَى<sup>(١)</sup> ليقطع تلك الفتنة، فسار بالجيش في وقت لم يكن يسير فيه من قبل، «فلقيه أسيد بن الحضير فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال: والله لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله ﷺ: أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي؟، زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل. قال: فأنت -يا رسول الله- العزيز وهو الذليل، ثم قال: يا رسول الله، أرفق به، فوالله لقد جاء الله بك وإننا لننظم له الخرز لتوجه، فإنه ليرى أن قد استلبته ملكاً»<sup>(٢)</sup>.

فهذا التعليل من أسيد بن حضير رَجُلٌ ﷺ لما فعله عبد الله بن أبي يدل على ما وقع فيه ابن أبي من الافتتان الشديد بالدنيا من خلال هواه للجاه والسلطان، فكانت الدنيا (الجاه والمنصب) غاية مراده ومنتهى مرامه، وذلك كان يدفعه لارتكاب تلك الأفعال المنكرة التي كانت تصدر منه بين الفينة والأخرى.

وهذا السبب نفسه كان من أعظم أسباب موقفه المشين في حادثة الإفك افتراءً وخوضاً، فافتراءه الإفك في عائشة رَجُلٌ ﷺ هو في حقيقته افتراء في حق النبي ﷺ الذي يرى (ابن أبي) أنه قد سلبه ملكه وجاهه، فكان يرى أنه بإساءته لسمعة النبي ﷺ بين صحابته وزعزعت له مكانته في قلوبهم سينفضون عنه أو لا يكون نظرهم له إجلالاً وإكباراً كما كان من ذي قبل، فتكون لديه الفرصة سانحة للعودة إلى جاهه في قومه وملكه عليهم.

(١) السُّرى: سير عامة الليل، وقيل: سير الليل كله. فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/٤٤٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٨/١٢٨).



#### ٤ - الفصل الذريع في الحرب الميدانية العلنية والخفية:

منذ أن بدأ النفاق في المدينة وأهله في كمد وغيظ من عزّ المسلمين وقوتهم ومنعتهم، فهم لذلك لا يجدون سبيلاً إلى قتالهم ظاهراً وعداوتهم علناً، فكان تنفيسهم عن كمدهم وغيظهم من خلال طريقين:

أولهما: محاربة المسلمين سرّاً من خلال موالاة الكافرين من اليهود والمشرّكين ومعاونتهم على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ بِحِكْمِهِ بَيِّنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١].

وقال سبحانه: ﴿... أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر: ١١]، وقد فشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً، حيث كان النصر دائماً لأهل الإسلام على أعوان المنافقين.

وثانيهما: الكيد والمكر بالأراجيف والأقاويل الزائفة والإشاعات الكاذبة.

وقد كانت هذه الطريقة الثانية -التي ينفس بها المنافقون عن غيظهم من فشلهم في حرب المسلمين ميدانياً- من أسباب خوضهم في الإفك، فإن «من طبيعة اللئام أنهم إذا رأوا محاسن غيرهم ومساوئ أنفسهم واضحة، وعلموا أنّ محاسنه هي السر في تقدمه ورقبه وأنّ مساوئهم ومواضع الضعف والانحلال فيهم هي التي تضع من شأنهم وتخسرهم المعركة؛ يأخذهم الهمُّ بأن يخلقوا فيه -بأي حيلة من الحيل- ما في أنفسهم من المساوئ ومواضع الضعف والفوضى، أو يرموه بما ليس فيه ويدنسوا ذيله ويشوهوا سمعته حتى لا ترى الدنيا محاسنه بدون عيب على الأقل. فهذه العقلية الدنيئة هي التي حولت مساعي الكفار وأعداء الإسلام في هذه المرحلة من الأعمال الحربية الظاهرة إلى

الحمولات الرذيلة وإحداث الفتن في داخل نظام المسلمين ومجتمعهم خفية»<sup>(١)</sup>.

## ٥- التقليد المذموم للكبراء:

لئن كان رأس المنافقين عبد الله بن أبي هو الذي تولى كبر الإفك يستحكيه ويستوشيه ويشيعه وبذيعه ويجمعه ويفرقه، فقد كان إخوانه في الكفر من المنافقين على شاكلته في بغض النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم وحبهم شياخ الفاحشة في المؤمنين - وإن لم يكونوا على درجة واحدة في ذلك -، فجاء خوضهم في الإفك تقليدًا لكبيرهم وسيدهم ومشاكلته لأخلاقه الفاسدة وصفاته الذميمة وموافقة لمبادئه الرذيلة وتقربًا منهم بذلك إليه، فأطاعوه ومضوا في نشر قائلته السيئة في أوساط المجتمع المؤمن، فكانوا عونًا له على الشر<sup>(٢)</sup>.

إن معرفة الداعية لهذه الأسباب التي دفعت المنافقين إلى الخوض في الإفك والطعن في عرض النبي ﷺ بما يشتمل عليه ذلك من الأمور التي لا يقبلها الدين الصحيح والعقل السليم والفطرة المستقيمة؛ لتحذوه إلى أن يستنبط من ذلك الفوائد والعبر التي تفيده في نفسه وفي دعوته، ومنها:

\* كان النفاق هو السبب الرئيس في الخوض في الإفك، فأول من افترى الإفك هو: رأس المنافقين عبد الله بن أبي، ومن نشره وأذاعه وخاض فيه - حقيقة وعمدًا - هم المنافقون، فعلى الداعية أن يحذر كل الحذر من الوقوع في النفاق، قال ابن أبي مليكة<sup>(٣)</sup>:

(١) تفسير سورة النور ص: (١٢٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٣٦٠)، زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٦٠/ ٣).

(٣) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة (زهير) بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، القرشي التيمي المكي، أبو بكر وأبو محمد، القاضي الأحول المؤذن الإمام الحجة الحافظ، ولد في خلافة علي أو قبلها، وحدث عن عائشة رضي الله عنها، مات سنة سبع عشرة ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٨).



«أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه»<sup>(١)</sup>، ولن يصح حذره من النفاق ويكمل حتى يزداد إيماناً بالازدياد من العلم النافع والعمل الصالح.

\* عصر النبي ﷺ هو خير عصور هذه الأمة وأفضلها وأشرفها، ولم يكن ذلك مانعاً من وجود النفاق فيه، فيتنبه الداعية إلى ذلك، ويعلم أن المنافقين موجودون في كل عصر وجيل، وأنهم يَتَسَمَّون ويتشكّلون في كل زمان بما يرون أنه يحقق أهدافهم السيئة، وينوّعون في أساليب التشكيك وبث الشبه والأراجيف بحسب ذلك، ولا يكونون ولا يملون من بذر الفتن في صفوف المؤمنين، فيحمله ذلك على أمرين:

الأول: التمسك بالحق المبين اتباعاً ودعوةً، والثبات على ذلك، في نفسه وفي دعوته.

الثاني: الحذر الشديد من كل ما يخالف أمر الله ورسوله وما أجمع عليه أهل العلم -بعمامة- أو في ذلك العصر الذي يعيشه الداعية -بخاصة-، ولزوم أهل العلم والسير في ركايبهم والرجوع إليهم في الملمات والصدور عن أقوالهم.

\* تجلّت في حادثة الإفك خطورة أهل النفاق على أهل الإسلام، حيث دسوا سمومهم فيما لا يمكن لمسلم أن يتصوره، وهو: الخوض في عرض النبي ﷺ، ومع ذلك أحدثوا البلبلة والفرقة في صفوف المسلمين، ووُجد في المسلمين من اغترّ بشبههم في ذلك، بل كادوا يعصفوا بالوحدة الإسلامية في ذلك المجتمع الذي لا يوجد له مثيل، وهذا يورث الداعية أن يكون على درجة عالية من التفطن للأساليب الماكرة التي يسلكها المنافقون في كل عصر وجيل، وعدم الاغترار بظواهر أصحابها وزخرف قولهم والظاهر المحتمل لأقوالهم وأساليبهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦/١) تعليقاً بصيغة الجزم.

\* أولو الأمر من أهل الولاية وأهل العلم الداعين إلى الحق هم الذين ينصر الله بهم دينه ويعلي كلمته، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الْأَبْنَاءَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]؛ ولذا يحرص المنافقون على زعزعة الصف المسلم من خلال الطعن فيهم، فينبغي أن يكونوا على قدر المنزلة التي أنزلهم الله إياها حتى لا يؤتى الإسلام من قبلهم، والداعية إلى الله ينبغي له أن يحرص على أن يحفظ نفسه مما حرم الله عليه، ويكون من أهل الطاعات الظاهرة والباطنة، ويتجنب المشتبهات قدر استطاعته، فإن فعل ذلك لم يجد المنافقون سبيلاً إلى النيل منه، لكنه -مع ذلك- يعلم أنه قد يبتلى في عرضه كما ابتليت عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل رضي الله عنه الطاهران اللذان لم يرتكبا ذنباً ولا قارفاً شبهة، فسلم لقضاء الله وقدره، ويكون فيما حصل في حادثة الإفك نعم التسلية له.

\* مرض القلب من أعظم أدواء النفوس الحاملة لها على ما يحرم وما لا يليق، والقائدة لها إلى المهالك، فيتعاهد الداعية قلبه بكل ما يثبت على الحق ويزيده قوة من أنواع العبادات القلبية والبدنية من حب الله ومراقبته ورجائه والخوف منه وحسن الظن به والذكر والتفكير وغير ذلك، كما يحرص على أن يجنبها نقيض ذلك من الأخلاق القلبية والبدنية، ويكثر من محاسبتها.

\* عدم صفاء القلب تجاه أهل الإسلام بالبغض أو الحسد أو الحقد -فضلاً عن التربص بهم، والتآمر ضدهم، ومعونة الأعداء عليهم- من أعظم ما يدخل به الشيطان على العبد، فتكون له السيطرة عليه وتوجيهه إلى ما يخرج به عن كمال الإيثار أو عن الإسلام بعامه، وهذا مما يوصي الداعية بالنبهة له في كل خطوة من مسيره في الدعوة، فهو داعية إلى دين الله ورضاه وجنته، فينبغي أن يكون قلبه صافياً تجاه أهل الإسلام عموماً: بمحبة الخير لهم والصفح عن زلاتهم والدعاء لهم بالهداية والستر عليهم، كما



ينبغي عليه أن يكون قلبه صافيًا تجاه المدعوين خصوصًا: فيرفق بهم ويتأني، ويحسن معاملتهم، ويتحين الفرص لدعوتهم، ويكون هدفه هو هدايتهم للحصول على محبة الله ورضوانه.

\* الافتتان بالدنيا، والانغماس في ملذاتها، وطلب المنصب والجاه والسعي في ذلك بغير الطرق المشروعة؛ من أعظم الصوارف عن الحق، والموقعات في الموبقات، وهي أيضًا من أعظم أسباب وجود الشطط في نفس الداعية إلى الله تعالى ودعوته، فعليه أن يلزم طريق الدعاة العالمين العاملين الذين أخلصوا نياتهم الله، ولم يطلبوا من الدنيا إلا الحلال الذي يعينهم على الحفاظ على عزتهم ومواصلتهم لدعوتهم.

\* التقليد المذموم أوقع أهله في الشرك والكفر والكبائر والخوض في عرض النبي ﷺ، وذلك مما يدل على عظيم ضرره وبالحظ خطورته، فعلى الداعية أن يتزود من العلم النافع الذي يفيد في نفسه وفي دعوته، وأن يتجنب التقليد المذموم بكل صوره وأشكاله، مع إفادته الدائمة من أهل العلم الراسخين، فيرجع إلى فتاواهم وينهل من علومهم ويعرض عليهم ما يُلِمُّ به من حوادث ووقائع يرى أنه لا يحيط بعلمها، فيكون بذلك ممتثلًا قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَسَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].



## المبحث الثالث

### أهداف المنافقين في قصة الإفك

من المعلوم أن المنافقين في عهد النبي ﷺ - منذ أن رأوا قوة المسلمين وانتصارهم في غزوة بدر الكبرى<sup>(١)</sup> - لم يدخلوا الإسلام عن إيمان ورغبة فيه، بل كان لهم من وراء ذلك أهداف سيئة ومآرب خبيثة، يجمعها: محاربة الإسلام وأهله من داخل صفوفهم، ويتفرع عن هذا الهدف أهداف أخرى يبرز بعضها في موقف، ويبرز بعضها الآخر في مواقف أخرى، إلا أننا من خلال حادثة الإفك يمكن أن نرى أن أهم أهداف المنافقين - إن لم تكن كلها - قد تجلّت في هذا الخطب الجلل الذي عصّف بأهل الإسلام - في ذلك المجتمع - عامة.

ومن خلال بيان أهداف المنافقين في الإفك سيُلحَظ أنها واضحة جليّة لا لبس فيها، في عصر النبي ﷺ وفي كل عصر وجيل بعده، وتلك الأهداف هي:

#### 📖 أولاً - إيذاء النبي ﷺ في عرضه الشريف:

بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالإسلام، وجعل على يديه تبليغ الدين ونصره وجهاد الكافرين باللسان والسنان ودحرهم؛ ولذلك كان من الطرق التي ينفس بها أعداء الله عن حقدهم على النبي ﷺ، ومن الأهداف التي يسعون إليها: إيذاؤه ﷺ في نفسه، وهذا الإيذاء قد يقع على الجسد - كما كان يفعله المشركون في مكة -، وقد يقع على النفس بالقدح

(١) بدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء، ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، بين بدر والمدينة سبعة برد. انظر: معجم ما استعجم (١/٢٣١)، معجم البلدان (١/٣٥٧). واليوم هي بلدة كبيرة عامرة بأسفل وادي الصفراء تبعد عن المدينة (١٥٥) كيلاً. معجم العالم الجغرافية ص: (٤١-٤٢)، المعالم الأثرية ص: (٤٤-٤٦).

(٢) سبق بيان ذلك في ص: (٦١).





والطعن في العرض - كما هو الحال هنا في حادثة الإفك، وهو المراد بالحديث هنا -.

وقد بين الله في كتابه أنواعاً من الأذى التي كان يتعرض لها النبي ﷺ في أثناء دعوته، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا كفيناك المستهزئين يا محمد، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك»<sup>(١)</sup>، كما توعد سبحانه من يتعرض لنبيه ﷺ بالإيذاء فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

وحين نتأمل في حادثة الإفك واختلاق قالة السوء من أهل النفاق، نجد أن من أهم أهدافهم فيها: إيذاء النبي ﷺ في نفسه، وذلك من خلال اتهمه في عرضه الشريف، والمتمثل في الفرية والبهتان على زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهذا مما بينه أهل العلم وقرروه ومن ذلك:

١- قول شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٢)</sup>: «ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان: أن يكذب على امرأته رجل ويقول: إنها بغي، ويجعل الزوج زوج قحبة»<sup>(٣)</sup>، فإن هذا من أعظم ما يشتم به الناس بعضهم بعضاً، حتى أنهم يقولون - في المبالغة -: شتمه بالزاي والقاف؛ مبالغة في شتمه هذا»<sup>(٤)</sup>.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤٥/١٤).

(٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحرائي، أبو العباس، المشهور بابن تيمية، تقي الدين، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، الإمام العلم، ناصر السنة، وقامع البدعة، ذاع صيته وعم الآفاق ذكره، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: البداية والنهاية (١٥٦/١٤)، العقود الدرية في مناقب ابن تيمية.

(٣) هي: الفاجرة، وقيل للبغي قحبة لأنها كانت في الجاهلية تؤذن طلابها بقبحها وهو سعالها. انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٢١/٣)، القاموس المحيط ص: (١٥٧)، تاج العروس من جواهر القاموس (٥١٨/٣)، لسان العرب (٦٦١/١).

(٤) منهاج السنة النبوية (٣٤٥/٤).

٢- وقوله أيضًا: «كان المنافقون يقصدون بالكلام فيها: الطعن في الرسول ﷺ، ولو جاز التزوج ببغي لقال: هذا لا حرج علي فيه، كما كان النساء أحيانًا يؤذينه حتى يهجرهن، فليس ذنوب المرأة طعنًا؛ بخلاف بغائها، فإنه طعن فيه عند الناس قاطبة، ليس أحد يدفع الذم عمن تزوج بمن يعلم أنها بغية مقيمة على البغاء، ولهذا توسل المنافقون إلى الطعن حتى أنزل الله براءتها من السماء»<sup>(١)</sup>.

٣- والمنافقون إنما قصدوا بالإفك أذية النبي ﷺ، قال السبكي<sup>(٢)</sup>: «الأذى على قسمين:

أحدهما- يكون فاعله قاصدًا لأذى النبي ﷺ، ولا شك أن هذا يقتضي القتل، وهذا كأذى عبد الله بن أبي في قصة الإفك.

والآخر- أن لا يكون فاعله قاصدًا لأذى النبي ﷺ، مثل كلام مسطح وحننة في الإفك، فهذا لا يقتضي قتلاً»<sup>(٣)</sup>.

«وقد أسقط المجرمون من أعداء الله من نفسياتهم الهابطة في هذا الخبر الكاذب، ومن تصورهم المريض على المؤمنين الأبرار الأطهار؛ ما يستحيل أن يقع مطلقًا، وغاب عنهم أن عصمة الرسول ﷺ أن يعصم في عرضه وشرفه وأهله؛ لأن هذا من مكملات التبليغ والأهلية للرسالة؛ إذ إن أي طعن أو قدح في هذا الجانب مغل بشخصية الداعية، ومعرض له للجرح الاجتماعي والنبذ. وحاشا الله أن يدور من حول البيت النبوي مثل هذه الرّيب،

(١) الفتاوى الكبرى (٣/ ١٨٢).

(٢) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام، السبكي الأنصاري الحزرجي، أبو الحسن، تقي الدين، شيخ الشافعية في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات، ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر)، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام، وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ، واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها. الأعلام (٤/ ٣٠٢).

(٣) فتاوى السبكي (٢/ ٥٩١).

ولكنها نفوس المنافقين المريضة، المملوءة غيظًا وحنقًا على الدين، وجدت في أسلوب الإشاعة الرخيص وسيلة لتوهين قوة الصف الإسلامي وزعرعته»<sup>(١)</sup>.

### 📖 ثانيا- تشويه سمعة النبي ﷺ في نفوس أتباعه:

دأب أعداء الله من أهل الكفر على مر التاريخ على الوقعة في رسل الله والاستهزاء بهم بهدف تشويه سمعتهم في نفوس أتباعهم المؤمنين بنبوتهم وبما أرسلهم الله به؛ لعلمهم بخطورة ذلك وقوة فتكه؛ فإن من أهم أركان الإيمان بالرسول: الإيمان الجازم المطلق بعلو منزلتهم وشرفهم وديانتهم، وتشويه ذلك في نفوس أتباع الرسل والأنبياء يؤدي إلى انعدام الثقة بهم، وضعف أو اضمحلال الإيمان بما جاءوا به عن الله تعالى، وهذا هو الهدف الأسمى لأهل النفاق والكفر.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك لنبيه محمد ﷺ فقال: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَكَانَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]. ف«هذه تسليية لرسوله محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة، في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>، ويبيّن سبحانه في آيات أخرى كيفية استهزائهم<sup>(٣)</sup>، فمن استهزأ بهم بنوح: ما ذكره الله عنهم فقال: ﴿وَصَنَعَ الْفُلْكَ وَكَلَّمَ مَرْعِيَهُ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]، ومن استهزأ بهم يهود: قولهم فيما ذكر الله عنهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا يَسُوءُ﴾ [هود: ٥٤]، ومن استهزأ بهم بصالح: قولهم فيما ذكر الله عنهم: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آفَتُنَا إِنَّمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

(١) الإشاعة ص: (٤٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٤٢/٣).

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢١٨/٢).

وسار المنافقون في عهده ﷺ على طريق إخوانهم من الكفرة، فعمدوا إلى أساليب مأكرة؛ لتحقيق ذلك الهدف نفسه، ومن ذلك: ما فعلوه في قصة الإفك، فقد كان من أهدافهم الرئيسة في ذلك: تشويه سمعة النبي ﷺ لدى أتباعه من الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنه لا شك في أن «فجور الزوجة وصمة في الزوج تنفر عنه القلوب وتمنع عن اتباعه النفوس»<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم: «فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم، هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها، فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها؟، لا نصيحة منهم ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه، كل ذلك لينفر الناس عنه وعن الانتفاع به»<sup>(٢)</sup>.

### 📖 ثالثاً- ارتياب المؤمنين في عرض النبي ﷺ

مما تبيّن به خطورة أهل النفاق على أهل الإسلام: أنهم قد يسعون -من خلال مكيدة واحدة- إلى تحقيق أكثر من هدف في الوقت نفسه، وقد تكون أهدافهم في ذلك على دركاتٍ بعضها أشدّ من بعض، حيث يسعون إلى أنه إذا لم يتحقق الهدف الأعلى تحقق ما هو دونه -كما هو الحال هنا في قصة الإفك-، وهذا الهدف قد أخبرنا الله في كتابه أنه من أهم أهداف اليهود والنصارى -أيضاً- في حرم للإسلام فقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] فأخبر سبحانه في هذه الآية أن هذا هو تمام ما يأملونه ويرضون عنه، وقال في آية أخرى: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩]، فأخبر سبحانه أنهم يودّون لو يردون أهل الإسلام عن الإيمان إلى أي ملل الكفر.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/ ١٢٠).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٤٨٤).



وبيان ذلك: أن تشويه المنافقين لسمعة النبي ﷺ بين أتباعه هو من أهم أهدافهم في قصة الإفك - كما تقدم -، لكن لأنهم يعلمون أنهم قد لا يصلون إلى هذا الهدف الأعلى جعلوا دونه هدفًا، وهو: أن يوقعوا الريبة والشك في قلوب المؤمنين تجاه عرض النبي ﷺ من خلال زوجه عائشة رضي الله عنها، وذلك ظاهر من خلال العبارات السيئة التي استخدمها عبد الله بن أبي، حيث دس فيها عددًا من الشُّبه التي تعلق في القلب وتؤثر فيه وتوقع فيه الشك والريبة على أقل الأحوال، ومن ذلك: قوله: «امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت»<sup>(١)</sup>، هذا مع أن المتأمل يرى أن «الذي وقع لم يكن ريبة، وذلك أن مجيء أم المؤمنين راقبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهر والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، لو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هكذا جهرة، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان يكون هذا - لو قدر - خفية مستورًا، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت، والقول الزور، والرعونة الفاحشة الفاجرة، والصفقة الخاسرة»<sup>(٢)</sup>، «فأني يمكن صدق ما قيل في حق حرم من اصطفاه الله لرسالته وبعثه إلى كافة الخلق ليرشداهم إلى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرًا!!»<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن فتنة الإفك كانت خطيرة على المجتمع المدني المؤمن، وكان بسببها وقوع بعض من الصحابة رضي الله عنهم في الإفك، مع أن خوضهم كان مجرد كلام بألسنتهم دون ضغينة في القلب، كما بين الله سبحانه وتعالى ذلك فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا أَهْلَهُ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [النور: ١٥]. «فوجه ذكر ﴿يَا أَهْلَهُ﴾ - مع أن القول لا يكون بغير الأفواه - أنه أريد التمهيد لقوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾، أي: هو قول غير موافق

(١) سبق تخريجه ص: (٧٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٧/٦).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/١٢٢).

لما في العلم، ولكنه عن مجرد تصور؛ لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول، فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه»<sup>(١)</sup>.

ومما يستشهد به في هذا المقام -إضافة إلى ما تقدم- ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، ف«هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضي الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيئ، وما ذكر من شأن الإفك فقال تعالى: ﴿لَوْلَا﴾ يعني: هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: ذلك الكلام الذي رميت به أم المؤمنين رضي الله عنها ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى»<sup>(٢)</sup>.

٢- موقف أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه مع زوجه أم أيوب رضي الله عنها، وهو: أن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه قالت له امرأته أم أيوب رضي الله عنها: يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا -والله- ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك.

فتلك الآية الكريمة، وهذا الموقف بين هذين الصحابييين الجليلين؛ يظهران ما أحدثه المنافقون من الريبة في صفوف المسلمين تجاه عرض النبي ﷺ؛ حتى إن الله عاتب أهل الإيمان على عدم مبادرتهم إلى إنكار الإفك، كما فعل أبو أيوب الأنصاري وزوجه رضي الله عنهما.

(١) التحرير والتنوير (١٨/١٧٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٧).



## 📖 رابعاً- صد الناس عن الخير الذي أتى به النبي ﷺ:

عاش النبي ﷺ بين أظهر المشركين أربعين سنة قبل اصطفاء الله إياه بالرسالة، فما رأوا منه إلا الأخلاق الحميدة، فلما أمره الله أن يصدع بالدعوة إلى توحيده ﷻ «صعد الصفا فهتف: يا صباحاه!»<sup>(١)</sup>، فقالوا: من هذا؟، فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكتنم مصدقي؟، قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد...»<sup>(٢)</sup>. فبدأ المشركون بعد إعلان كلمة التوحيد والدعوة إليها يُجْرُونَ على النبي ﷺ سيلاً من التهم فقالوا عنه إنه: ساحر، وكاهن، وكذاب، ويعلمه بشر، كل ذلك لو أد دعوته بصد الناس عنها.

وهذا الهدف كان من أهداف اليهود -أيضاً- في عهده ﷺ، لكنهم استخدموه في الجانب الآخر، وهو ردّ من آمن بالنبي ﷺ عن الإسلام، كما ذكره الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ ۖ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]، «هذه مكيدة أرادوها؛ ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار، ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيضة وعيب في دين المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن من أعظم أهداف ابن أبي -لعنه الله- في الإفك الذي اختلقه: حصول الأمرين السابقين كليهما:

١ - صرف الناس عن الخير العظيم الذي جاء به محمد ﷺ (دين الإسلام).

(١) يا صباحاه: يعني: ينذر قومه. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٥٠٣/٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٩/٦)، رقم: (٤٩٧١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٩/٢).

٢- ردة المؤمنين عن الإسلام.

وهذا -مع ظهوره- يدلّ عليه ويقرّره جميع ما تقدم ذكره في هذا المبحث، فالنيل من عرض النبي ﷺ في أهل بيته، وتشويه سمعته بين أتباعه، وإيقاع الريبة والشك في قلوبهم تجاه عرض نبيهم ﷺ؛ كل ذلك له نتيجتان، وهما:

١- أن من أراد الدخول في الإسلام فإنما يدخل فيه لما يجده من كمال التوحيد والتشريع والأخلاق، وما يتميز به أهله من الشرف والنزاهة والطهر ظاهراً وباطناً، فإذا قيل له: إن زوج نبيهم بغيٌّ -وحاشاها- كان ذلك كافياً في انصرافه عن الإسلام؛ لأنه إذا كان أهل نبي المسلمين كذلك -وحاشاهم- فكيف ببقية المسلمين؟!!

٢- وأن من كان من أهل الإسلام، ولم يتمكن الإسلام في قلبه، فقد يقع في قلبه تصديق ما قاله أهل النفاق من الإفك في عرض النبي ﷺ؛ فيفقد الثقة في عصمة الله لنبيه ﷺ وفيما يبلغه النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى، ويدفعه ذلك إلى الارتداد عن الدين.

### ❏ خامساً- التشكيك في أخلاق الإسلام:

كان المجتمع الجاهلي يزخر بأخلاق سيئة لا ترضاها الفطر المستقيمة ولا العقول السليمة، ومن ذلك: وأد البنات، وأكل أموال الناس بالباطل كالربا والميسر، وشرب الخمر، وقطع الأرحام، واحتقار المرأة، والخيانة، والكذب، والغدر، وغير ذلك، ومما يتعلق بالأعراض: طواف بعض الرجال والنساء بالبيت عراة، وانتشار الفاحشة التي كان لها دور ورواد وكانت مصدرًا من مصادر الاكتساب، وسبب النساء الأحرار بالغزو عدوانًا وظلمًا.

فبعث الله نبيه محمدًا ﷺ بهذا الدين العظيم الذي أزال جميع المظاهر والأخلاق الرديئة، وهدى الناس أفرادًا وجماعاتٍ إلى أحسن الأخلاق وأطيبها وأزكاها، ومنها:



الطهر والعفاف والنقاء، وكان ذلك من أعظم أسباب دخول بعض أهل الشرك والكفر في الإسلام عن قناعة ورغبة.

ولذا؛ كان من الأهداف الهامة لأعداء الإسلام من الكفرة والمشركين والمنافقين: إسقاط محاسنه، ونقد مناقبه، وتشويه مزاياه، وإبرازها على نقيض ما هي عليه من الحُسن والطَّيب، كما قال تعالى عن قوم نوح: ﴿فَقَالَ أَلَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَكُ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَكُ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنَّا بِأَدْنَىٰ الرَّاْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]، فهذا الاعتراض من الكافرين على نوح ﷺ مكابرة وعناد ومكرٌ منهم، بل هو دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم، فإنهم أتوا إلى بعض محاسن دعوة نوح ﷺ فتعرَّضوا لها بالنقد والإساءة، فإنه ليس بعارٍ على الحق ردالة من اتبعه، فإن الحق في نفسه صحيح سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل الحق الذي لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف وأهل العقول ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء، فهم الذين اتبعوا كل شيطان مريد، واتخذوا آلهة من الحجر والشجر، يتقربون إليها ويسجدون لها، فهل ترى أرذل من هؤلاء وأخس؟، وكذلك دعواهم أن أتباع نوح ﷺ إنما اتبعوه من غير تفكر وروية، يعنون بذلك: أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، والحق: أن الحق المبين تدعو إليه بدائه العقول، وبمجرد ما يصل إلى أولي الألباب يعرفونه ويتحققونه، لا كالأمور الخفية التي تحتاج إلى تأمل، وفكر طويل<sup>(١)</sup>.

وهذا هو عين ما أراده المنافقون من إفكهم في النبي ﷺ وزوجه عائشة رضي الله عنهما، فإن من أهدافهم في ذلك: التشكيك في الأخلاق التي جاء بها الإسلام أو أقرها، ومنها:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/٣١٦)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٣٨٠).

١- الصدق: وذلك أن الطعن في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإفك فيه تكذيب لهما من كونهما ما أتيا إلى الجيش في نحر الظهيرة إلا بعدما وجد صفوان أم المؤمنين وحيدة متخلفة عن الجيش.

٢- الأمانة: وذلك من خلال الطعن في أمانة صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واتهامه بخيانة النبي ﷺ في زوجه وأهله.

٣- إعانة المحتاج: فإن الإفك في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه مدعاة إلى عدم إعانة من كان في حاجة إلى المعونة -خاصة في مثل هذا الموقف الذي كانت فيه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ خشية من الطعن في العرض بسبب ذلك- كما وقع من المنافقين تجاه صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤- الوفاء وحفظ الحقوق: فإن الإفك في حق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يتضمن رميها بعدم الوفاء لزوجها وحفظ حقه عليها، وكذلك رمي صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإفك فيه طعن له بعدم الوفاء للنبي ﷺ وحفظ حقه في أهله.

٥- حسن الظن بالمؤمن: فإن المجتمع المدني لم يكن يعرف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا بالإيمان والخير والخلق، ومجيئهما إلى الجيش بتلك الحال لم يكن أحدٌ ليحمله إلا على حسن الظن ما، وأنه ما وقع منهما ذلك إلا لسبب يقتضيه، دون أن يكون في الأمر أي ريبة، لكن المنافقين أرادوا الإخلال بهذا الخلق الرفيع بين المسلمين، من خلال إساءة الظن في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

٦- دفع الغيبة عن المؤمن: فإن من مظاهر الأخوة الإيمانية أن لا يذكر بعضهم بعضاً في غيبتهم بما يكرهون، والمنافقون أرادوا إفساد ذلك بنشر مقالة السوء بين المسلمين، الذين صار بعضهم يتناقلها دون دفاعٍ عن عرض أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



وصفوان بن المعطل رضي الله عنه، ولذلك قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ [النور: ١٥، ١٦].

### 📖 سادسا - إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا:

إنَّ من أهم ما يقوم عليه المجتمع المسلم، ويكون من أسباب شرفه وعلو شأنه وارتقائه بين الأمم: تمسك أفرادها بالأخلاق الحميدة الموافقة للعقل والفطرة والدين. ومن أهم تلك الأخلاق الحميدة: ما يكون منها متعلِّقا بالأعراض كالحياء والشرف والعفة، فبمحافظة المجتمع على هذه الأخلاق يحفظ الله له قوته وتماسكه وترابطه وأمنه ودينه، وقد عُني الإسلام بهذا الجانب أيما عناية، فجاء الأمر بغض البصر، وسؤال المرأة المتاع من وراء حجاب، وعدم خضوع المرأة بالقول للرجال الأجانب، وخروجها من بيتها متحجبة محتشمة، وشرع الله أعظم العقوبات لمتنهيكي الأعراض من أصحاب الزنا واللوواط.

وفي المقابل: نجد أنه ما من أمة من الأمم تخلَّت عن جانب العفة والحياء والشرف إلا انتشرت فيها الأمراض وكرهها الناس من أصحاب الفطر السليمة وكان ذلك من أسباب ذهاب دينها وأمنها وقوتها، يدلّ على ذلك: ما قصه النبي ﷺ من أحوال بني إسرائيل التي كانت من أسباب ذهاب دينهم وأمنهم، ومن ذلك: قوله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن الله تعالى أعطى بني إسرائيل ومكنهم وخولهم، حتى عمدت امرأة قصيرة فاتخذت قالباً من خشب، ثم مشت إلى جنب امرأة طويلة، واتخذت خاتماً وجعلت له غلقاً وطبقاً وحشته مسكاً»، وفي رواية: «كان في بني إسرائيل امرأة قصيرة فصنعت رجلين من خشب فكانت تسير بين امرأتين قصيرتين، واتخذت خاتماً من ذهب

وحشت تحت فسه أطيّب الطيب المسك فكانت إذا مرت بالمجلس حركته فنفتح ريمحه<sup>(١)</sup>، وأصرح منه: الرواية الأخرى: «فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»<sup>(٢)</sup>.

لذلك؛ فقد كان المنافقون في المجتمع المدني حريصين أشد الحرص على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، فقد كان من صفاتهم المتأصلة في نفوسهم «السرور بأذى المسلمين، والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك عنهم، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريماً من الزنا وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة»<sup>(٣)</sup>، «ولقد كان أولئك الأعداء في موقف المتربص المنتظر، يتصيدون المناسبات، ويتحينون الأحياء الملائمة لبث حقدهم الدفين على الإسلام ورسول الإسلام -عليه الصلاة والسلام-، وكلما وقعوا على خبر سيء أذاعوه ونشروه وأشاعوه...، وإذا لم يقعوا على بغيتهم لفقوا خبراً، قلبوا الحقيقة، أو فسروها على هواهم، وكما يحلوا لهم وتملي شياطينهم»<sup>(٤)</sup>.

وكان من أبرز وسائلهم للوصول إلى ذلك الهدف: الإفك الذي اختلقوه في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل رضي الله عنه، ولا أدلّ على ذلك من كتاب الله تعالى، وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]، فتضمنت هذه الآية الكريمة عدة دلائل وفوائد في هدف المنافقين من الإفك وطريقتهم في الوصول إلى ذلك:

- (١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٠/٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٥/١٢)، وابن الجعد في مسنده (١٥٦٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٨٥/١) رقم: (٤٨٦).
- (٢) أخرجه مسلم (٢٠٩٨/٤)، (٢٧٤٢).
- (٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١١٣/١).
- (٤) الإشاعة، ص: (٤٣).

١- أن من أهداف المنافقين من الإفك: انتشار الفاحشة في الذين آمنوا، وليس مجرد الطعن في أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك: أن «معنى الإشاعة: الانتشار، يقال: «في هذا العقار سهم شائع»: إذا كان في الجميع ولم يكن منفصلاً، و«شاع الحديث»: إذا ظهر في العامة»<sup>(١)</sup>.

٢- أن الذين اختلقوا الإفك من المنافقين، وتجروؤوا «على رمي بيت النبوة الكريم، إنما يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المسلمة بالخير والعفة، وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها، وبذلك تشيع الفاحشة في النفوس، ثم تشيع بعد ذلك في الواقع»<sup>(٢)</sup>.

٣- أن «هذا دُئْمٌ لمن يجب ذلك، وذلك يكون بالقلب فقط، ويكون مع ذلك باللسان والجوارح، وهو ذم لمن يتكلم بالفاحشة أو يخبر بها محبة لوقوعها في المؤمنين: إما حسداً أو بغضاً وإما محبة للفاحشة وإرادة لها، وكلاهما محبة للفاحشة وبغضاً للذين آمنوا، فكل من أحب فعلها ذكرها»<sup>(٣)</sup>.

٤- «أن من أحب ذلك فقد شارك في هذا الذم كما شارك فيه من فعله ومن لم ينكره، وليعلم أن أهل الإفك كما عليهم العقوبة فيما أظهروه، فكذلك يستحقون العقاب بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين»<sup>(٤)</sup>، وأن «على الإنسان أن يبغض ما أبغضه الله من فعل الفاحشة والقذف بها وإشاعتها في الذين آمنوا، ومن رضي عمل قوم حشر معهم، كما حشرت امرأة لوط معهم ولم تكن تعمل فاحشة اللواط، فإن ذلك

(١) مفاتيح الغيب (٢٣/٣٤٧).

(٢) أيسر التفاسير (١/٢٦٩٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/٣٣٢).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٣/٣٤٧).

لا يقع من المرأة، لكنها لما رضيت فعلهم عمَّها العذاب معهم»<sup>(١)</sup>.

📖 سابعا- إيغار صدور المؤمنين، وإثارة العداوة بينهم، وإيجاد التنازع في صفوفهم، والتفريق بينهم، وزعزعة أمنهم:

أعظم ما كانت تتميز به الجماعة المؤمنة في عهد النبي ﷺ: الاجتماع على اتباع الكتاب وطاعة الرسول ﷺ، ومن نتائجه، التآلف والترابط والراحم، وكان ذلك أهم سبب في قوتها وعزتها ومنعتها، وبين الله تعالى تلك النتائج التي امتن بها عليهم فقال: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢) ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١٣) [الأنفال: ٦٢، ٦٣]، وكان من حكمة النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة أنه آخى بين المهاجرين والأنصار، فأطفا بتلك الخطوة الرشيدة نار العصبية القبلية والحمية الجاهلية في مهدها.

والإسلام يحرص في تشريعه الحكيم على وحدة الكلمة والصف؛ لما في ذلك من مصلحة عظيمة لأمن المجتمع المؤمن بين أفرادهم أنفسهم ومن فتك أعدائه به، وهذا ما بينه الله ﷻ في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، أي: «وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله»<sup>(٢)</sup>. ويؤكد الأمر الإلهي تبين النبي ﷺ حين قال: «إنه ستكون هنأت وهنأت»<sup>(٣)</sup>، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٣٤٤).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/٦٤٣).

(٣) هنات: الفتن والأمور الحادثة. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٢/٢٤١)،

لسان العرب (١٥/٣٦٥).

وهي جميعٌ فاضربوه بالسيف كائناً من كان»<sup>(١)</sup>. فهذه النصوص تبين بجلاء خطورة الإخلال بالنظام العام والعبث بأمن المجتمع، كما بيّن النص النبوي الحزم في عقوبة العايب بأمن المجتمع المؤمن.

وقد شَرَقَ عدوّ الله عبد الله بن أبي بن سلول بما رأى من ود وحب بين المؤمنين، وكيف أزال الله بنييه تلك الحرب الضروس المتأججة سنين بين قبيلتي الأوس والخزرج، والتي حصدت أرواح كبارهم، وزاد في حقه جمع كلمة الأوس والخزرج تحت راية التوحيد، فسلك عدو الله ومن معه من المنافقين كلّ ما يرون أنه يمكنهم من إزالة تلك الأخوة، وإبدال الاختلاف والضعينة والفرقة بها، ومن ذلك: مسلك إيقاد الحمية القبلية، والنعرات الجاهلية؛ للسعي في التفرقة بين المؤمنين، فلما أثار الفتنة في غزوة بني المصطلق بقوله الأُفْنِ: «والله ما مثّلنا ومثّل محمد إلا كما قال القائل: «سَمَنَ كلبك يأكلك»، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل»<sup>(٢)</sup>. تعامل النبي ﷺ مع فعل عدو الله برويّة وفطنة حتى هدأت الفتنة، وزال شرها.

ولم تطب نفس عدو الله ومن معه من المنافقين حتى ترصّدوا لتفكيك المجتمع المؤمن بالإفك الذي أشاعوه في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل رضي الله عنه، فتتج عن ذلك الشرّ العظيم، والذي كاد يقتل بسببه فضلاء الصحابة رضي الله عنهم، فإننا حين نتأمل في هذا «الحادث الذي أهم المسلمين، وكاد يوقع الفتنة بينهم، والذي أنزل الله فيه قرآنًا؛ نجد أنه حادث مهم يمس أمن الجماعة ونظامها»<sup>(٣)</sup>، «فقد قذف جماعة زوج النبي ﷺ وخاضوا في عرضها؛ وأذوها وأذوا النبي ﷺ بالإفك الذي قالوا؛ حتى اضطرب

(١) أخرجه مسلم (٢٢/٦) رقم: (٤٩٠٢).

(٢) جامع البيان عند تأويل آي القرآن (٢٢/٦٦٤).

(٣) انظر: التشريع الجنائي في الإسلام (١/٢٩٥).

المجتمع الإسلامي اضطراباً شديداً؛ وكاد المسلمون يقتتلون»<sup>(١)</sup>، «ولولا تماسك البنية الاجتماعية -بعد فضل الله- لكان لمكر هؤلاء شأن آخر، ولكنَّ التهذيب الإسلامي الرفيع للمجتمع وتأکید الإسلام على وحدة كلمة المؤمنين وطاعة الرسول ﷺ فوّت على أعداء الله أغراضهم»<sup>(٢)</sup>.

ومما يؤكد أن هذا الهدف كان من أهداف المنافقين في قصة الإفك: أن المنافقين في غزوة بني المصطلق لعبوا «دورين هامين كان لهما أثر كبير وهزة شديدة كادت أن تؤدي إلى فتن مستعرة لولا أن الله عصم المسلمين، ومنَّ عليهم، ورد كيد المنافقين إلى نحورهم وفضح الكاذبين:

أما الدور الأول: فهو بذر الفتنة بين المهاجرين والأنصار حتى كادوا يقتتلون، ومحاولة توسيع شقّة الخلاف بينهم لسبب تافه عارض.

الدور الثاني: اتهام السيدة عائشة المبرأة المطهرة زوج الرسول ﷺ إفكاً وبهتاناً. وكان الدوران كلاهما بعد انتهاء الحرب وانتصار المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

إن هذه الأهداف التي أراد المنافقون الوصول إليها في قصة الإفك لتستوقف الداعية عندها؛ ليتأمل فيها؛ فيستخلص منها الدروس والعبر، ف«قد حرص أعداء الإسلام حديثاً كما حرص أسلافهم قديماً على الكيد للإسلام، فسلكوا في الماضي كل السبل؛ لصد المسلمين عن دينهم وإبعادهم عن معينه الصافي وتشريعه الحكيم، وحاولوا أن يصرفوا المسلمين عن دينهم وكتابهم، ويسلكوا تلك السبل التي تستوجب غضب الله وعقابه، حاولوا ذلك بكل ما أوتوا من قوة وخبث، ولكن الله حفظ دينه

(١) المصدر السابق (١/ ٢٩٤).

(٢) الإشاعة، ص: (٤٣).

(٣) النفاق والمنافقون في عهد النبي ﷺ ص: (١٨٣).





وكتابه ورد كيد أعداء هذا الدين والمتربصين به من الكفار والمنافقين في نحورهم، وبقيت شريعة الله محفوظة لم يؤثر فيها كيد الكائدين ومكر الماكرين.

وقد سلك هؤلاء الأعداء طرقاً أخرى يرون أنها أجدى لبلوغ أهدافهم ونيل مآربهم الخبيثة، واستغلوا كافة الوسائل التي لم تكن موجودة عند أسلافهم، وخططوا ونظموا للدعوة إلى باطلهم وكفرهم وإحادهم، ووجدوا من ضعاف النفوس وقليلي الإيمان ممن يتسبون للإسلام من المنافقين والمأجورين من يدعو إلى باطلهم وينفذ مخططاتهم، واتخذوا منهم معاول هدم للإيمان والأخلاق الفاضلة والمثل العليا التي جاءت بها الشريعة السمحة العادلة الكفيلة بمصالح البشرية في معاشها ومعادها<sup>(١)</sup>.

### 📖 ومن تلك الدروس الدعوية ما يلي:

\* أن من أهداف المنافقين إيذاء الدعاة إلى الكتاب والسنة، وهذا الإيذاء قد يكون في الأجساد، وقد يكون في الأعراض من خلال الطعن في عرض الداعية نفسه بما هو بريء منه، فمما ينبغي للداعية التنبه له في هذا الصدد:

١- أن يحرص على الإخلاص والالتزام بالحق في أقواله وأفعاله ظاهراً وباطناً، ويربي أهل بيته على ذلك؛ حتى لا يكون لأهل النفاق إليه ولا إلى أهله سبيل بالطعن والتجريح.

٢- التأسي برسول الله ﷺ في صبره على إيذاء المنافقين له بالطعن في عرضه الشريف.

٣- أن يعلم ويوقن:

أ- أن ما يؤذى به الداعية إلى الله في عرضه ليس من شرطه أن يكون له وجه أو شبهة، بل قد يكون باطلاً محضاً وكذباً صرفاً.

(١) شريعة الإسلام وواجب العلماء نحوها، مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول، صفحة ١٢.

ب- أنه قد لا يكون للداعية فيما رُمي به من الإفك والزور أي تسبب، بل يكون محض اعتداء من أهل النفاق.

ج- أن أقل ما يريده المنافقون من رمي الداعية بالإفك والزور هو تشكيك الناس في أخلاقه وصدقه ونزاهته وأمانته.

وذلك كله يحدوه إلى:

- ١- الاستمرار في الثبات على الكتاب والسنة والدعوة إليهما دون تراجع.
- ٢- الحذر من أن تضعف ثقته بنفسه أو بالحق الذي أكرمه الله به.
- ٣- الحرص على كسب ثقة الجماعة المؤمنة بالعلم النافع والعمل الصالح والدعوة الصحيحة.
- ٤- تربية المدعويين على عدم الاغترار والانخداع بما يُرمى به الدعاة إلى الكتاب والسنة من الزور والباطل.

✽ إذا كان الداعية إلى الكتاب والسنة ممن كتب الله له القبول بين المدعويين، ووُجد له من يتبعه ويتأثر به؛ فليعلم أنه ربما يصير هدفاً للمنافقين، فقد يتقصّدونه بالإفك والزور والبهتان، لا لقصد الطعن في شخصه، وإنما لصدّ الناس وصرفهم عن الحق الذي معه، فعليه أن يُعِدّ العدة لذلك، فيهيئ نفسه لمثل هذه المواقف بالعلم النافع والإفادة من أهل العلم والخبرة في العلم والدعوة، ثم عليه أن يدافع من أجل رفع راية الحق والذب عنه، فلا يكون كل همه هو الدفاع عن نفسه فحسب.

✽ إذا أدرك الداعية أن من أهم أهداف المنافقين من الإفك: التشكيك في الأخلاق الحميدة التي جاء بها الإسلام، ونشر الفواحش والمنكرات في المجتمع المسلم، وذلك من خلال زعزعة ثقة المؤمنين بأخلاقيات الدين من صدق وأمانة وعفة وغيرها، وإيهام المجتمع المؤمن بأن الفاحشة منتشرة فيه ولا حرج في ارتكابها؛ دعاه ذلك إلى بذل الجهد



في تربية المدعويين على الأخلاق الحسنة والتمسك بها والثبات عليها مهما كانت الصوارف عنها، كما يدعوهم إلى تحذير المجتمع من كل ما هو على خلاف ذلك من الأخلاق السيئة التي تفسد الأفراد والجماعات مهما كانت المغريات فيها، وخاصة تلك التي تمس جانب العرض والشرف والحياء والعفة.

\* إيغار صدور المؤمنين بعضهم على بعض، وتفتيت أو تفكيك المجتمع المسلم والسعي في الإخلال بنظامه العام وأمنه الديني والاجتماعي والاقتصادي، وزرع الفتنة بين أفرادها باستخدام الإعلام والدعاية الكاذبة؛ كل ذلك هو من أهم أهداف المنافقين في الإفك الذين يرمون به الدعاة إلى الكتاب والسنة، وعلم الدعاية بذلك يجعله في بناء مستمر متواصل لجانب التأسيس والوقاية والعلاج، من خلال ما يأتي:

١- أن ينقي قلبه من الضغائن والأحقاد على إخوانه المؤمنين، ويسعى إلى أن يكون ذلك شعار كل مؤمن.

٢- أن يحرص على لزوم جماعة المسلمين وولاء أمرهم علماء وولاء، ويغرس في نفوس المدعويين ذلك بأدلة الكتاب والسنة.

٣- أن يواجه الشائعات الباطلة والدعوات المضللة والأكاذيب المرجفة بالحكمة مع بيان ما فيها من مخالفة الحق والخروج عنه.

٤- أن يدافع عن الذين آمنوا، وبخاصة أهل العلم الدعاة إلى الكتاب والسنة الذين رُموا في أعراضهم بالإفك دون وجه حق.





## الفصل الثاني

### الآثار النفسية على الداعية من خلال حادثة الإفك

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر المواساة على الحالة النفسية للداعية.

المبحث الثاني: أثر ضبط النفس وعدم الغضب والرد  
المنطقي للداعية.

المبحث الثالث: الأثر النفسي على الداعية من شدة البلاء.





## المبحث الأول

### أثر المواساة على الحالة النفسية للداعية

حرص الإسلام من خلال ما تضمنه من أخلاق رفيعة، وآداب عظيمة على تميّز المجتمع المسلم بالترابط والتكاتف والتعاون بين أفراده. يدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه<sup>(١)</sup>.

ومن أظهر معالم إيجاد ذلك الترابط بين أفراد المجتمع المسلم وعلامات وجوده: المواساة بين بعضهم بعضاً وقت الشدائد والمصائب والملمات.

و(المواساة) في اللغة: مَصْدَرُ الْفِعْلِ الثَّلَاثِي الْمَزِيد (آسى)، يقال: (آسى بينهما، يؤاسي ويواسي، مؤاساةً ومواساةً).

وأصل مادته: الهمزة والسين والواو؛ وهو أصل واحد يدل على المداواة والإصلاح، يقال أسوت بين القوم، إذا أصلحت بينهم<sup>(٢)</sup>.

و(آسيته) ببالي، مواساة: أنلته منه، وجعلته إسوتي فيه، وقيل: لا يكون ذلك إلا من كفاف، فإن كان من فضلة فليس بمواساة<sup>(٣)</sup>، و(آسى) فلاناً بمصيبته: عزاه وسلاه<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٨٢/١) رقم: (٤٦٧) وبرقم: (٢٣١٤) (٥٦٨٠)، ومسلم (١٩٩٩/٤) رقم: (٢٥٨٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١٠٦/١، ١٠٥)، مفردات ألفاظ القرآن (٣١/١).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٢٦٩/٦)، المحكم والمحيط الأعظم (٦٣٥/٨).

(٤) المعجم الوسيط (١٨/١).

و(تأسوا): آسى بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>، و(أَسَيْتُهُ)، أَوْسَيْتُهُ، تَأْسِيَةً: عَزَيْتُهُ، و(تَأَسَّى): تَعَزَّى<sup>(٢)</sup>.

و(المواساة) بالمعنى العام هي: «المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق»<sup>(٣)</sup>، أو: «مشاركة نحو الأصدقاء والأقارب فيما بيده - من نحو مال-»<sup>(٤)</sup>، ولعلَّ التعريف المختار هو: «المواساة: أن يُنزل غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه»<sup>(٥)</sup>.

وقد عُني الإسلام بالمواساة أيما عناية، وحرَّص على تحلِّي أفراد المجتمع المسلم بها، حتى جعلها النبي ﷺ من ركائز المجتمع المسلم كما في قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>(٦)</sup>، كما جعل ﷺ هذا الخلق النبيل من أعظم الصفات التي تميَّز بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها، وذلك في قوله ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟»<sup>(٧)</sup>، وبين ﷺ لأمته ذلك الثواب العظيم الذي يحصل عليه من واسى مؤمناً في مُصابه فقال: «من عَزَى أخاه المؤمن في مصيبته كساه الله حلة خضراء يُجَبَّر بها يوم القيامة»، قيل: يا رسول الله، ما يُجَبَّر؟ قال: «يُغَبَّط بها يوم القيامة»<sup>(٨)</sup>.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/٢٢٦٩)، القاموس المحيط ص: (١٦٢٦).

(٢) العين (٧/٣٣٢)، القاموس المحيط ص: (١٦٢٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٥٠).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ص: (٦٨٣).

(٥) التعريفات ص: (٣٠٤).

(٦) أخرجه مسلم (٤/١٩٩٩) رقم: (٢٥٨٦).

(٧) أخرجه البخاري (٣/١٣٣٩) رقم: (٣٤٦١).

(٨) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٧/٣٩٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق

(٥٢/٢١٨)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٣/٢١٧).





وإنما كان للمواساة هذه المنزلة الرفيعة في الإسلام؛ لما تتضمنه من معاني وأخلاق سامية نبيلة، من أبرزها: الرحمة والإحسان والكرم والتواضع والرفق، هذا بالإضافة إلى ما تحدّثه من أثرٍ نفسيٍّ حسنٍ في نفس المواسي والمواسى.

وعند التأمل في أحداث واقعة الإفك نجد أن المواساة قد تجلّت بين أفراد المجتمع المدني في أي الحُلّ وأنصعها، وأجلى الصُّور وأشدّها إشراقاً، وكان لها الأثر الطيّب المبارك العظيم في الحالة النفسية لجميع من أصيب بهذا الإفك المبین، سواء من اختلّق الإفك في حقه أو من كان له تألّمٌ من وقوعه ولو كان مجرد فرد من أفراد المجتمع.

كما سيظهر من خلال وقائع الحادثة أن المواساة وقعت من أطراف عديدة وبوسائل وكيفيّات متعددة، كما أننا سنلاحظ أن بعض الأطراف المعنيّة بالحادثة كانوا مواسين في حالٍ ومواسين في حالٍ أخرى.

ومن ثمّ؛ فسيكون عرض أثر المواساة على الحالة النفسية للداعية في هذا المبحث من خلال جانبين:

📖 الأول- أثر المواساة على الحالة النفسية للداعية من خلال

الأطراف التي وقعت منها المواساة:

إذا تأملنا في هذه الحادثة سنجد أنّ الأطراف التي وقعت منها المواساة هم:

أولاً- الزوج:

كان تعامل النبي ﷺ مع زوجته عائشة رضي الله عنها تعامل المحب مع حبيبه في حال الفرح والألم، فكان معها في حال الألم مواسياً رفيقاً رحيماً، فعندما اشتكت ألماً وقالت: وارسأه!، قال النبي ﷺ: «بل أنا وارسأه»<sup>(١)</sup>، فواساها من جهتين:

(١) أخرجه البخاري (١٢٣/١٠) (٢٠٥/١٣) (٥٦٦٦، ٧٢١٧)، من حديث القاسم بن محمد قال: قالت عائشة... فذكره مطولاً.

الأولى- يقول لها: الوجد القوي بي أنا دونك، فتأسي بي فلا تشتكي. فواساها من جهة أنه أخبرها بأن ما فيه من الألم أقوى مما بها منه؛ وذلك من أدعى ما يُحدث الصبر والرضا في نفس المواسى.

والثانية - أنها كانت حبيبة رسول الله ﷺ، بل كانت أحب النساء إليه على الإطلاق، فلما اشتكت إليه رأسها أخبرها أن يُعجِبها من الألم مثل الذي بها. فواساها من جهة أنه أخبرها بأنه يوافقها في أحوالها كلها، فيتألم بتألمها ويسر بسرورها، حتى إذا ألمها عضو من أعضائها آله ذلك العضو بعينه. وهذا من صدق المحبة وصفاء المودة، ففيه أنه يُعلمها بصدق محبته إياها، أي: انظري قوة محبتي لك كيف واسيتك في ألمك ووجد رأسك، فلم تكوني متوجعة وأنا سليم من الوجد، بل يؤلني ما يؤلمك كما يسرنى ما يسرك<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الإفك المفترى تجسّد معنى المواساة وأثرها النفسي العظيم في رفقه ﷺ ولينه مع زوجه عائشة رضي الله عنها حبيبته وابنة حبيبته، فتروي لنا أم المؤمنين ما وقع لها من مواساة النبي ﷺ لها، لتبين لنا -بعد ذلك- ما أورثته تلك المواساة من أثر حسن على نفسها، فتقول: «وهو يريني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى!، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟»، ثم ينصرف!، فذاك الذي يريني!، ولا أشعر بالشر».

إن المواساة من الزوج في هذا الموقف من أعظم وأنفع ما يكون به الأثر النفسي على الزوجة التي طُعن في عرضها وهي الطاهرة الشريفة، فكان النبي ﷺ -مع ما هو فيه من ألم شديد من جراء ذلك الإفك، وصبر عظيم على البلاء- لا يفوته أن يذكر زوجه عائشة رضي الله عنها فيدخل عليها وهي مريضة فيسأل عن حالها ويقول: «كيف

(١) انظر: الروح ص: (٢٥٨).



تيكم؟»، ولا يتجاوز هذه الكلمة مع شدة الكرب وهول الحدث، مما أثر على نفس أم المؤمنين فلم تشعر بما يُقال فيها من الإفك، فضلاً عن أن تجد من زوجها ما يمكن أن يقع من بعض الرجال تجاه زوجاتهم في مثل هذه الحادثة من الخذلان، أو التقرير، أو المحاسبة على ما لم ترتكبه البتة؛ ولذلك قالت: «ولا أشعر بالشر».

### ثانيا- الوالدان:

عندما أنت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تستيقن الخبر من أهلها أرادت أمها (أم رومان) <sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن تخفف عنها وقع المصيبة، وتواسيها في بلائها العظيم فقالت: «يا بنية، هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قَطُّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها».

وهذه المواساة لها أثرها الكبير في نفس البنت الشريفة التي لا تكاد تصدق أنها قد رُميت بذلك الإفك المبين، فإن البنت في هذا الموقف تجد من والدتها المواساة التي تضم في طياتها مجامع صفات الأمومة الحانية الصادقة، من: تهادتها، والثناء عليها بما فيها من صفات الكمال، وبيان السبب الذي من أجله رُميت بما رُميت به. ولا شك أن ذلك سيكون له الأثر البالغ في طمأنينتها وسكينتها وإحساسها بأن والدتها تقف معها في محنتها وتثق في براءتها.

وكان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتجلد مع هذا الحزن والأسى الذي له نصيب عظيم منه، فينزل من أعلى البيت ويعلم من زوجه أم رومان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن ابنتها قد عرفت الخبر

(١) أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب، امرأة أبي بكر الصديق ووالدة عبد الرحمن وعائشة، اختلف في اسمها، فقيل: زينب، وقيل دعت، واختُلفَ في سنة موتها فقيل: توفيت في عهد النبي ﷺ سنة ٦، وقيل سنة ٤، وقيل ٥ هـ. الإصابة في تمييز الصحابة (٢٠٦/٨).

وتألمت أشدَّ الألم من ذلك، فتدمع عيناه.

وفي هذا الموقف مواساة عظيمة من الوالد لابنته، فهو يعلن أمامها ببيكائه ودمعته أنه يشاركها حزنها ويتألم لألمها، وهذا من أقوى ما تقوى به نفس المواسى.

### ثالثاً- القريب:

دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامه بن زيد -حين استلبث الوحي-؛ يسألها ويستشيرهما في فراق أهله، فقال له ابن عمه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير! وإن تسأل الجارية تصدقك».

ف«هذا الكلام الذي قاله علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حمله عليه ترجيح جانب النبي ﷺ لما رأى عنده من القلق بسبب القول الذي قيل، وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شديد الغيرة، فرأى علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه إذا فارقتها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن تتحقق براءتها فيمكن رجعتها...»

وقال الثوري<sup>(١)</sup>: رأى ذلك هو المصلحة في حق النبي ﷺ واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة لإرادة راحة خاطره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة<sup>(٢)</sup>: لم يجزم علي بالإشارة بفراقها؛ لأنه عَقِبَ ذلك بقوله: «وسل الجارية تصدقك»، ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكأنه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقها، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري، أبو عبد الله، الإمام، العلم، المحدث، الزاهد، أحد الأئمة المجتهدين. توفي سنة ١٦١ هـ. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٣٨٦)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، تهذيب التهذيب (٤/ ٩٩).

(٢) عبد الله بن أبي حمزة، السبتي، المالكي، خطيب غرناطة، أبو محمد، ولي خطابة غرناطة في أواخر عمره، فاتفق أنه صعد المنبر يوم الجمعة فسقط ميتاً وذلك في سنة عشر وسبعمئة. مات في حدود سنة عشر وسبعمئة. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٢/ ٧٠).

الأمر إلى أن تطلع على براءتها؛ لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة»<sup>(١)</sup>.

ويبين ابن القيم أن مراد علي عليه السلام بذلك هو: أن «يَتَخَلَّصَ رسولُ الله ﷺ من الهَمِّ والغمِّ الذي لحقه من كلام الناس، فَأشارَ بِحَسْمِ الدَّاءِ»<sup>(٢)</sup>.

فهذا موقفٌ وقعت فيه المواساة للنبي ﷺ من ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي -كما ذكر أهل العلم- مواساة بليغة جمع فيها علي عليه السلام بين الرغبة في إراحة النبي ﷺ من الغم والهَمِّ الذي لحقه، وبين إثبات براءة عائشة عن طريق رجوع النبي ﷺ إلى بريرة، وقد كان لها الأثر الحسن على نفس النبي ﷺ؛ إذ إنه ﷺ بسماحه هذه المواساة من ابن عمه بادر إلى فعل ما أشار عليه به وهو سؤال بريرة عن عائشة عليها السلام.

#### رابعًا- الصَّدِيق:

بينما كانت أم المؤمنين عائشة عليها السلام في بيت والديها في حالة من البكاء الشديد -وهما جالسان عندها-، استأذنت عليها امرأة من الأنصار؛ فأذِنَتْ لها؛ فجلست تبكي معها. فواست هذه الصحابية الجليلة أُمَّ المؤمنين بزيارتها والجلوس بجانبها ومشاركتها في البكاء، ولا شك أن هذه المواساة كان لها الأثر النفسي على عائشة عليها السلام، فبهذه المواساة تشعر أن المصاب الذي أصابها عليها السلام لا يعينها وحدها، بل يعني المؤمنين والمؤمنات معها.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٨)، وانظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/١١٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٢٦٠).

### خامساً- قَرَابَةُ الْخَائِضِينَ فِي الْإِفْكِ:

مَنْ خَاضَ فِي الْإِفْكِ صَحَابِي جَلِيلٌ شَهِدَ بَدْرًا، هُوَ: مَسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانَتْ أُمُّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَتَأَلَّمُ مِنَ الْإِفْكِ الَّذِي تَسْمَعُهُ فِي أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ جِهَتَيْنِ: مِنْ جِهَةِ الْإِفْكِ فِي حَقِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ غَفْلَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا يُقَالُ فِيهَا مِنْ أَصْحَابِ الْإِفْكِ، وَمِنْ جِهَةِ أَنْ ابْنَهَا مِمَّنْ خَاضَ فِيهِ، وَبَيْنَمَا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ تَسِيرُ مَعَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَثَرَتْ فَدَعَتْ عَلَى وَلَدِهَا فَقَالَتْ: «تَعَسَ مَسْطَحُ!».

فَكَانَتْ هَذِهِ مَوَاسَاةٌ مِنْ أُمِّ مَسْطَحٍ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ جِهَتَيْنِ: مِنْ جِهَةِ أَنْ «تَتَوَصَّلَ إِلَى إِخْبَارِ عَائِشَةَ بِمَا قِيلَ فِيهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ»<sup>(١)</sup>، وَمِنْ جِهَةِ أَنْ «تَهَوَّنَ عَلَيْهَا مَا سَمِعَتْ»<sup>(٢)</sup>. وَهِيَ مَوَاسَاةٌ عَظِيمَةٌ لَهَا أَثَرُهَا فِي نَفْسِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ إِذْ مِنْ أَبْلَغِ الْمَوَاسَاةِ أَنْ يَعْلَمَ الْمَصَابُ أَنْ قَرَابَةً مِنْ تَسَبَّبَ لَهُ فِي وَقُوعِ مَصِيبَتِهِ يَقْفُونَ مَعَهُ وَيَسَانِدُونَهُ وَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَرَاءَةِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ، وَهُمْ -فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ- يَشْهَدُونَ عَلَى قَرِيبِهِمْ بِالْخَطَأِ وَالزَّلَلِ، بَلْ قَدْ يَدْعُونَ عَلَيْهِ.

### سادساً - الْحَاشِيَةُ كَالْمَوْلَى وَالْخَادِمِ:

اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ أَسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هُمْ أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ -وَاللَّهِ- إِلَّا خَيْرًا». فَهَذِهِ مَوَاسَاةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَوْلَاهُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ لَهَا أَثَرٌ حَمِيدٌ فِي نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ، حَيْثُ إِنَّهَا أَكَّدَتْ لَهُ بَرَاءَةَ زَوْجَتِهِ عَنْ طَرِيقِ مَوْلَاهُ الَّذِي هُوَ حَبِيبُهُ وَابْنُ حَبِيبِهِ، وَلَا سِيَّمَا أَنْ أَسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكَّدَ قَوْلَهُ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٦٦).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٧/ ٣٧٠).



وبعد أن قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للنبي ﷺ: «إن تسأل الجارية تصدقك»، توجه النبي ﷺ إلى بريرة رضي الله عنها فقال لها: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريئك؟»، قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً قط أغمصه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله».

فجاءت المواساة من بريرة رضي الله عنها (مولاة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) كالماء البارد والنسيم العليل على نفس النبي ﷺ، فبريرة من ألصق الناس بعائشة رضي الله عنها، وهي أيضاً تعلم عنها ما لا يعلمه غيرها، ومع ذلك جاءت شهادتها مشرقة بالشهادة لعائشة رضي الله عنها بالبراءة.

### سابعا- القرين:

كان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش رضي الله عنها عن أمر عائشة رضي الله عنها؛ فقال: يا زينب، ماذا علمت أو ما رأيت أو ما بلغك؟! فقالت: يا رسول الله؛ أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً.

فزينب بنت جحش رضي الله عنها، وهي التي كانت تسامي عائشة رضي الله عنها عند النبي ﷺ (أي: تطلب من العلو والرفعة والخطوة عند النبي ﷺ ما تطلب عائشة رضي الله عنها، أو تعتقد أن الذي لها عند النبي ﷺ مثل الذي لعائشة رضي الله عنها عنده) <sup>(١)</sup>؛ وأسست قرينتها عائشة رضي الله عنها أعظم المواساة، فقد كانت تحمي سمعها وبصرها من أن تنسب إليهما ما لم تسمع وتبصر، وتشهد لقرينتها بالخير فتقول: «والله ما علمت عليها إلا خيراً»، وهذه المواساة أورثت الأثر الطيب في نفس عائشة رضي الله عنها، فقد كانت تذكر هذا الموقف لزينب رضي الله عنها بالمدح والثناء وتزكيها بالخير والديانة فتقول: «عصمها الله بالورع»: أي: حفظها الله ومنعها بالورع والمحافظة على دينها مما تحشى سوء عاقبته <sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٨/٨). انظر: المصدر السابق (٤٧٨/٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (٣٧٨/٨).

📖 الثاني- أثر المواساة على الحالة النفسية للداعية من خلال الوسائل والكيفيات التي وقعت بها المواساة:

وقعت المواساة في حادثة الإفك بأنواع ووسائل وكيفيات متعددة متنوعة، ولعل من أسباب ذلك: هول الحادثة وشدة وقعها وأليم تأثيرها في النفس، فناسب أن يكون للمواساة عليها من القوة والتأثير ما يمكن أن يخفف من المصاب ويهدئ من الروع، وهذا هو ما كان -والله الحمد-، فإن تنوع وسائل المواساة كان له الأثر القوي الحسن في نفس النبي ﷺ ونفوس زوجه عائشة ووالديها وصفوان بن المعطل رضي الله عنه؛ صبراً وحلماً ورفقاً وثقةً وحسن ظنٍّ بالله وترقباً لفرجه.

ويمكن أن نعرض أنواع المواساة التي وقعت في هذه الحادثة كما يأتي:

### أولاً- المواساة بالكلمة:

#### ١ - التزكية والثناء الحسن:

رمى المنافقون عائشة رضي الله عنها بالإفك في عرضها وشرفها، وهي الطاهرة العفيفة الشريفة؛ فوجدت المواساة من بعض الصحابة رضي الله عنهم عن طريق تزكيتهم لها وثنائهم عليها وشهادتهم لها بالخير وبعدها عن المعائب -فضلاً عما رُميت به من الإفك-:

أ- فقالت بريرة -لما سألها النبي ﷺ: «أي بريرة؛ هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟»- لا -والذي بعثك بالحق-، إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن؛ تنام عن عجين أهلها؛ فتأتي الداجن فتأكله». وفي رواية: «سبحان الله!، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر»<sup>(١)</sup>. وفي

(١) أخرجه البخاري (١٣٥/٦) رقم: (٤٧٥٧) معلقاً بصيغة الجزم، ومسلم (١١٨/٨) رقم: (٧١٩٨)، من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.





رواية: «والله لعائشة أطيب من طيب الذهب، وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها! ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله. قالت: فعجب الناس من فهمها (وفي رواية: فقهها)»<sup>(١)</sup>.

ففي جواب بريرة -على اختلاف ألفاظه- مواساة بالتزكية لعائشة رضي الله عنها والثناء عليها بالخير والبعد عن المعائب:

ففي الرواية الأولى: شهدت بأنها لم ترَ على عائشة أيَّ شيءٍ معيب، ثم استثنت فقالت: «غير أنها جاريةٌ حَدِيثُهُ السَّنُّ تنام عن عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ»، ف«هذا من الاستثناء البديع الذي يراد به المبالغة في نفي العيب، فغفلت عن عجينها أبعد لها من مثل الذي رميت به، وأقرب إلى أن تكون من الغافلات المؤمنات»<sup>(٢)</sup>.

وفي الرواية الثانية: أنها قالت: سبحان الله!، وذلك تأسيًا منها بقول الله تعالى: ﴿سُبْحَنَكَ هَذَا مُبْتَنًى عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، وذلك أنهم صرحوا لها بما رُميت به عائشة من الفحش، فأعظمت ذلك وأنكرته، وسبّحت الله إعظامًا من نسبة السوء إلى عائشة رضي الله عنها وتحقيقًا لبراءتها، فكأنها قالت: التنزيه والبراءة لله من أن يجري ذلك على مثل عائشة وأن يوقعه في الوجود<sup>(٣)(٤)</sup>.

وفي الروایتين الثالثة: ذكرت أنها لا تعلم من عائشة إلا الخلوص من العيب كما أنه لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب.

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١١٣١)، والطبري في تفسيره (٢١١/١٧) -واللفظ له-، من رواية ابن حاطب عن علقمة وغيره عن عائشة رضي الله عنها. وإسناده صحيح. وأخرجه الواقدي في المغازي (٤٣٠/٢)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٠/٨).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٣٧٧/٧).

(٤) انظر: صحيح مسلم مع شرحه المسمى إكمال إكمال المعلم (٢٠٧/٩).

ب- وكذلك الحال مع أسامة بن زيد رضي الله عنه، فحين استشاره النبي ﷺ قال: (يا رسول الله، هم أهلك، ولا نعلم والله إلا خيراً).

فقد زكاهما من الإفك المفترى عليها، وذكر فضائلها وما يعرف عنها من الخير المتحقق فيها، ولهذه المواساة بالتزكية والثناء احتمالان:

الأول: أن تكون مواساة صريحة، بمعنى: أمسيك - يا رسول الله - زوجك عائشة رضي الله عنها ولا تفارقها، فهي العفيفة اللاتقة بك، كما وقع في رواية أخرى: «فأثنى علي خيراً» وقاله، ثم قال: يا رسول الله، أهلك، ولا نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن تكون مواساة على سبيل التلميح والإشارة، فيكون أسامة رضي الله عنه قال ذلك (متبرئاً من المشورة ووكّل الأمر إلى رأى النبي ﷺ)، ثم لم يكتف بذلك حتى أخبر بما عنده فقال: «ولا نعلم إلا خيراً»<sup>(٢)</sup>.

ج- وحين سأل النبي ﷺ أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها فقال: يا زينب، ماذا علمت أو ما رأيت أو ما بلغك؟!، قالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً.

فمع كون زينب رضي الله عنها ضرة عائشة رضي الله عنها، وتطلب الخطوة والمنزلة عند النبي ﷺ؛ إلا أن هذه العلائق الدنيوية بالنسبة للفاضلات أمهات المؤمنين لا يكون لها وجود ولا

(١) أخرجه محمد بن إسحاق في سيرته (٢/ ٣٠١ - ابن هشام) - ومن طريقه: الطبري في تاريخه (٢/ ١١٣) -، والواقدي في المغازي (٢/ ٤٣٠) مختصراً، من حديث عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، ومن حديث غيره. وصحّح إسناده الألباني في تخريج فقهِ السيرة للغزالي (ص: ٢٢٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٦٨).



تأثيرٌ في الحكم والشهادة وقول الحق، فلا تذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها إلا الخير الذي تعرفه عن عائشة رضي الله عنها وتزكيها به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

د- ولقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أيمن، فقالت: «حاشا سَمْعِي وبَصْرِي أن أكون علمتُ أو ظننتُ بها قط إلا خيراً»<sup>(١)</sup>.

فزكّتها بأنها لا تظن بها ولا تعلم عنها إلا الخير، ومن كان كذلك فهو أبعد ما يكون عن حقيقة ذلك الإفك الميين.

هـ- وأثنى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أطيب الثناء، وذلك حين قالت له زوجته أم أيوب: يا أبا أيوب؛ ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ فقال: بلى، وذلك الكذب! أفكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله! قال: فعائشة -والله- خير منك<sup>(٢)</sup>.

و- وهذه أم مسطح رضي الله عنه ثني على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتُشهد الله تعالى على

(١) أخرجه الواقدي في المغازي (٢/ ٤٣٠)، من حديث عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها. وإسناده ضعيف، وهو من رواية الواقدي وهو متروك.

(٢) أخرجه محمد بن إسحاق في سيرته (٢/ ٣٠٢ - ابن هشام) -ومن طريقه: الطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٢)، وفي تاريخه (٢/ ١١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٥٤٦)-، عن أبيه إسحاق بن يسار، عن بعض رجال بني النجار، أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له زوجته هـ... فذكره. وإسناده صحيح، لولا إبهام (بعض رجال بني النجار)، لكنه لا يضر -إن شاء الله-؛ فقد يكونوا من الصحابة -لأن إسحاق بن يسار من الوسطى من التابعين-، وإن كانوا من التابعين فالغالب على مثل هذه الطبقات الصّدق والدَيّانة، خاصة في مثل هذه الأخبار. والله أعلم.

وأخرجه الحاكم في مستدركه -كما في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٠)، ولم أجده في المطبوع منه-، والواقدي في المغازي (٢/ ٤٣٤)، عن أفلح مولى أبي أيوب أن أم أيوب قالت لأبي أيوب... فذكره. وانظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٧).

ذلك، فتروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن أم مسطح حين عثرت قالت: تعس مسطح. قالت: فقلت لها: «أَيُّ أُمٍّ، أتسبين ابنك؟»، فلم تراجعني فعادت فعثرت قالت: تعس مسطح. فقلت: أَيُّ أُمٍّ، أتسبين ابنك صاحب رسول الله ﷺ؟، فلم تراجعني. ثم عثرت ثالثة فقالت: تعس مسطح. فقلت: أَيُّ أُمٍّ، أتسبين ابنك صاحب رسول الله؟، فقالت: والله ما أسبه إلا من أجلك وفيك. فقلت: وفي أَيِّ شأني؟، قالت: وما علمت بها كان؟، فقلت: لا، وما الذي كان؟، قالت: أشهد أنك مُبرّأة مما قيل فيك. ثم بَقَرْتُ <sup>(١)</sup> لي الحديث <sup>(٢)</sup>.

إن اتفاق هؤلاء الصحابة على تركية عائشة رضي الله عنها والثناء عليها بالخير؛ هو من أشدّ ما كانت تحتاجه في هذه الحادثة، ولا شك أن اتفاق أفراد المجتمع المدني على ذلك كان له أثره الطيب على نفس عائشة رضي الله عنها.

## ٢ - تطيب خاطر:

لما أقبلت عائشة رضي الله عنها على أمها أم رومان رضي الله عنها تسألها عما يقول الناس عنها من أمر الإفك؛ بادرت أم رومان إلى مواساتها وتهدئة نفسها عن طريق تهوين الأمر عليها وتطيب خاطرها بما لها من الصفات، فقالت لها: «يا بنية، هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قَطُّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها». «وفي هذا الكلام من فطنة أمها وحسن تأنيها في تربيته ما لا مزيد عليه:

(١) بَقَرْتُ الشيءَ بَقْرًا: فتحتة ووسعته، و(بقرت لها الحديث) أي: فتحتة وكشفتة. انظر: لسان العرب (٧٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٧) معلقًا بصيغة الجزم، والترمذي في الجامع (٣١٨٠) والذهبي في تاريخه (٢٧١/٢) -واللفظ له-، من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. قال الذهبي (٢٧٢/٢): "هذا حديث عالٍ حسن الإسناد" اهـ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨٠).

١ - فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك؛ لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له.

٢ - وأدبجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة في الجمال والخطوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به»<sup>(١)</sup>.

والنفس المظلومة حين تشتكي تكون في بالغ الحزن والأسى، ولذلك تحتاج لخصافة وذكاء في التعامل، وهذا ما حصل، حيث حاولت أم رومان بحنكتها امتصاص الصدمة النفسية التي تمر بها أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وذلك من خلال تطيب خاطرها؛ لتخفف عنها ما فُجِّأتها به أم مسطح من خبر الإفك.

### ٣- دَحْضُ السَّبَبِ:

كان السبب الذي اتخذته المنافقون مطيةً لرمي أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالإفك: أنها أتت على جمل صفوان بن المعطل السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقوده في نحر الظهيرة، فقال عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول كلمة الإفك يتناقلها ويستوشيهها ويذكرها في المجالس، فلما سمع بها صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبح الله تَعَالَى منزهاً ربه أن يقدر هذا الأمر في زوجة نبيه ﷺ لما يعلم من عففتها وطهارتها، ولما رأى من حصانتها وعدم تكلمها طوال الطريق معه، فدهش من الإفك والافتراء العظيم، ثم قال كلمة الحق والإنصاف لنفسه والمتضمنة براءة أم المؤمنين، وكانت أم المؤمنين تذكر قوله فتقول: «والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله!، والذي نفسي بيده ما كشفت كنف أنثى قط»<sup>(٢)</sup>، ففي قوله هذا دَحْضٌ للسبب الذي اتخذته المنافقون وسيلة للإفك، فهو يقسم بالله أنه ما كشف كنف أنثى قط -فضلاً عن أم المؤمنين زوج النبي ﷺ أثناء مسيرها

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٦٧).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٤٧٨).

معه-، وفي ذلك مواساة منه لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتبرئة منه لها أمام الناس بدحض السبب الذي من أجله رُميت بالإفك، فكانت تذكر قوله وتنقله.

#### ٤ - الدعاء على المتسبب:

كان ممن تسبب في حصول ألم الإفك على النبي ﷺ وزوجه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مسطح بن أثاثه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت أمه ممن يسوؤها ما تكلم به ولدها من أمر الإفك، فدعت عليه بقولها: (تعس مسطح).

فواست هذه الصحابية الجليلة أم المؤمنين بالدعاء على مَنْ كان من أسباب نشر الإفك وحصول الأذى به لأم المؤمنين، وهو ولدها مسطح؛ لأنه تسبب في أذية أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما خاض في الإفك، هذا مع كون الأم أعظم حناناً على الابن من أي قريب له، ولكن لما كان ابنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أخطأ في موقفه وتسبب بالأذى لرسول الله وزوجه دعت عليه عند كبوتها؛ «لأن من طريق الإنسان أنه إذا أهمله أمرٌ يتذكره في كل شأنه وينتقل إليه؛ لكونه بمرأى عينيه، فلما كان مسطح أخذ نصيبه من الإفك، وكان ساءها ذلك؛ تذكرت عند كبوتها، لأن العثور لما حصل لشغلها هذا المهم، فكأنه حصَل من جهة مسطح، فدعت عليه»<sup>(١)</sup>.

#### ٥ - التذكير بالماضي الحسن:

رَمَى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإفك من أشنع الأمور وأقبحها وأظهرها بهتاناً؛ فهما اللذان يعرفهما جميع أفراد المجتمع المدني بالخير والعفاف والتقى والشرف، ومن توفرت فيه هذه الخصال فإنه أبعد ما يكون عن الخنا والفحش والخيانة وتدنيس العرض، فكيف بالطيبة (عائشة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج الطيب (رسول الله ﷺ) وبصفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهود له بالخير؟.

(١) فيض الباري شرح البخاري (٦/ ١٦٤).

ولذا؛ وقعت المواسة من عدد من الصحابة لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالتذكير بالماضي الحسن من جهتين:

الأولى: ما لها من السمعة الطيبة الشريفة التي يمتنع معها أن تكون قد وقعت فيما رُميت به، فقال كلُّ من أسامة بن زيد وبريرة وزينب بنت جحش وأم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ: لا نعلم عن أم المؤمنين إلا خيراً. فأكدوا جميعاً على عفتها وطهارتها بما يعلمونه من حالها في الماضي، فهاضها مليء بالطهر والنقاء والصلاح؛ مستشهدين بذلك على صلاحها لاحقاً. بل لأن النبي ﷺ قد شهد بذلك لزوجته فقال: «ما علمت على أهلي إلا خيراً».

الثانية: أنها زوج أطيب الخلق وأشرفهم وأحبهم إلى الله، فحاشا ربنا سبحانه وتعالى أن يقدر هذا الأمر البشع الشنيع على زوجة نبيه ﷺ، فقال أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هم أهلُك»، وقال أبو أيوب الأنصاري لزوجته أم أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فعائشة -والله- خير منك»<sup>(١)</sup>.

وأما صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإن الذي شهد له بالماضي الحسن هو: رسول الله ﷺ الذي رُمي في عرضه الشريف، وهذا من أعظم ما تكون به المواسة، فقال: «ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»، فواساه ﷺ بالتذكير بالماضي الحسن:

\* في كل أحواله، فهاضيه لا يُعرَف عنه إلا الخير، ومثله لا يقع فيما رُمي به.

\* وفي حال دخوله معه إلى بيته، فلم يكن يدخل بيت النبي ﷺ في الماضي إلا على الوجه اللائق الذي يزيّنه كمال الأدب والحشمة والعفاف، فمثله لا يخون ولا يغدر ولا تكون عنده نية لذلك أصلاً.

(١) سبق تخريجه ص: (١٠٨).

## ٦- التذكير بالمنزلة:

وهذا أسلوب رفيع من أساليب المواساة التي لها تأثير بالغ في النفس: تهدئة وطمأنينة وثقة، وقد استخدمته الصحابية الجليلة أم رومان رضي الله عنها في مواساة ابنتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين جاءتها متألماً مما سمعته من الإفك الذي رُميت به، وسائلة عما يقوله الناس فيها؛ فتجيبها جواباً يقع موقع البلمس الشافي على الجرح المؤلم، وتزيده تأكيداً بالقسم فتقول: «هوني عليك الشأن؛ فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها».

استخدمت أم رومان رضي الله عنها في هذا الموقف أمثل أسلوب، وأكمل طريقة وأحسنها، فبدأت بتهدئة ابنتها، ثم واستها بأن ذكرت بما لها من المنزل والمكانة والمحاسن، وفي ذلك مواساة من جهتين:

الأولى: من جهة أنه ما من أحدٍ تكون له منزلة ومكانة ومحاسن يتفرد بها ويفوق بها غيره إلا ويكون حوله من الناس من يُكثر الكلام عنه بما لا يعجبه؛ إما منافسة له وإما حسداً منه، فكأنها تقول لها: إن ما أنت فيه هو بسبب ما تتميزين به من المنزل الرفيعة، فلا تحزني ولا تضطربي؛ فإن ذلك مما جرت العادة بوقوعه.

الثانية: من جهة أنها مدحتها بما لها من المنزل والمكانة، وأنها فائقة الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن تُوصَف به ويطيب به خاطرها<sup>(١)</sup>، فإذا ذكر لها هذا الأمر فقد يهون بسببه كل ألم.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٦٧).





#### ٧- مقارنة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بغيرها:

مقارنة المصائب بغيره ثم تفضيله عليه مما تقع به المواساة على أحسن الوجوه، وقد وقع ذلك في حادثة الإفك في موقفين اثنين:

الأول: موقف أم رومان مع ابنتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حين عقدت لها المقارنة بينها وبين غيرها مع بيان أنها أفضل من غيرها.

الثاني: موقف أبي أيوب الأنصاري مع زوجته أم أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين سأها: أفكنت يا أم أيوب فاعلةً ذلك؟، قالت: لا والله. فعقد المقارنة بينها وبين عائشة مفضلاً عائشة على زوجها أم أيوب فقال: فعائشة -والله- خير منك<sup>(١)</sup>.

والمصائب المكلوم إذا عُدَّت له هذه المقارنة ارتاحت نفسه وهدأت وسكنت، وازدادت ثقته بنفسه، وعلم أن ما أصابه قد يكون من أسباب تميّزه وتقدّمه على غيره، كما أن فيه تسليّةً حسنة له من جهة أنه إذا كان من هو دونه لا يقع منه ذلك فكيف يقع منه هو -وهو أرفع منزلةً ومكانةً-؟

#### ٨- التمهيد قبل الإخبار:

قد يكون المصائب بالأمر الجلل لا يعلم شيئاً عن وقوعه، فيكون من أطيب أنواع المواساة في حقه: أن لا يُذكر له الأمر فجأة، بل يُمهّد له بما يناسبه من المقدمات قبل إخباره.

وعندما رأت أم مسطح غفلة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عما يُقال فيها من أمر الإفك، وأحبت تنبيهها على ذلك؛ مهّدت لإخبارها بذلك بالدعاء على ابنها، فقالت: تَعَسَ مُسْطَحٌ. فكان في ذلك تمهيدٌ حسنٌ لإخبار عائشة بأمر الإفك بالدعاء على من كان له

(١) سبق تخريجه ص: (١٠٨).

نوع مشاركة في نشره، قال أهل العلم: «يحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمداً لتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها وهي غافلة»<sup>(١)</sup>.

ولما ظهر الإفك وانتشر لم يأت النبي ﷺ إلى عائشة ليخبرها بما قيل في حقها، بل كان يدخل عليها وهي مريضة فيقول: كيف تيكمن؟ قال ابن حجر: «وفائدة ذلك: أن تتفطن لتغيير الحال فتعذر أو تعترف، وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤدي باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه»<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً- المواساة بالفعل:

### ١- الحزن والبكاء:

عندما كانت أم المؤمنين ﷺ تُعاني الهم والغم والحزن الذي كاد أن يفلق كبدها، لم تكن تعيش ذلك الأسى والحزن وحدها، بل واساها أبواها فشاركها فيما هي فيه من الحزن والألم، تقول أم المؤمنين عائشة ﷺ: «واستعبرت<sup>(٣)</sup> وبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ، فنزل فقال لأمي: ما شأنها؟، فقالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه»<sup>(٤)</sup>. فهما يحسان بألم الحزن الذي تحسه ﷺ، وهذه المشاكلة من أعظم أنواع التخفيف على المواسى، لأنه يحس بها صدق المشاعر من المواسين، وحينها يعلم أنه ليس وحده من يعاني من الافتراء والكذب، وهذا ما حصل من أبوي أم المؤمنين عائشة ﷺ في بكائهم وحزنهم على ما حصل لها.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٦/٨).

(٢) المصدر السابق (٤٧٩/٨).

(٣) اسْتَعْبَرَتْ: جَرَتْ عَبْرَتُهُ، وحزن. انظر: لسان العرب (٥٣٠/٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٥٧) معلقاً بصيغة الجزم، والترمذي في الجامع (٣١٨٠)، والذهبي في تاريخه

(٢/٢٧١)، من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﷺ. قال الذهبي (٢/٢٧٢): «هذا

حديث عال حسن الإسناد»، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨٠).

## ٢- الملازمة:

حين استوثقت أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من والدتها خبر الإفك؛ بقيت أياماً وليالي لا يرقأ لها دمع، ولا تكتحل بنوم، واساها أبواها أعظم المواساة بملازمتها ليلَ نهار، ولم يفارقاها في هذا الظرف العصيب، يدل على ذلك قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي»، «وأنا في بيت أبوي»<sup>(١)</sup>، «فأصبح أبوي عندي»<sup>(٢)</sup>، فلم يزاالا حتى دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد صلى العصر وقد اكتفني أبوي عن يميني وعن شمالي»<sup>(٣)</sup>.

فدلت هذه الروايات على ما كانت تجده أم المؤمنين من ملازمة والديها لها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لشعورهما بحاجتها إلى ذلك، فملازمتها والمكث معها في مُصَابِهَا الْجَلَل - وإن خلا من الكلام- فيه المواساة لها من شدة ألم الإفك، وتخفيف عنها، وتصبير لها.

## ٣- الزيارة:

تروي أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقفاً نبيلاً وقعت فيه المواساة بالزيارة، فتقصّ أنها لما كانت في بيت والديها استأذنت عليها امرأة من الأنصار؛ فأذنت لها، فجلست تبكي معها.

- 
- (١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٢٩٦) - وهو في تفسيره (٣٨٠)-، والطبري في تفسيره (٢٠٢/١٧)، من رواية محمد بن ثور عن معمر عن الزهري، وإسناده صحيح.
- (٢) قال ابن حجر: «أي أنها جاء إلى المكان الذي هي به من بيتها، لا أنها رجعت من عندهما إلى بيتها». فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٤/٨).
- (٣) أخرجه البخاري (٤٧٥٧) معلقاً بصيغة الجزم، والترمذي في الجامع (٣١٨٠)، والإمام أحمد في مسنده (٥٩/٦)، والذهبي في تاريخه (٢٧١/٢)، من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. قال الذهبي (٢٧٢/٢): «هذا حديث عالٍ حسن الإسناد» اهـ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨٠).

فأرادت هذه الصحابية الجليلة أن تواسي أم المؤمنين بالذي تستطيعه، فقامت بزيارتها؛ لتشاركها ألمها وبكاءها وتواسيها بذلك، فكان فعلها يقول لأُم المؤمنين: أنكِ لست وحدك التي تتألّمن من الإفك، بل أنا معكِ في محتكِ أتألم معكِ، وهذا العمل السامي النبيل فيه لفته من هذه الصحابية الجليلة رضي الله عنها إلى أهمية المواساة بالزيارة وأثرها النفسي البالغ في نفس المواسى الذي أصابه من الحزن والهم والغم ما أصابه، فلا شك أن المصاب حين يجد من يواسيه بالزيارة سيري أن الناس يشاركونه همومه وآلامه، فيكون ذلك مما يخفف على نفسه وقع الألم.

### ثالثاً- المواساة بترك القول والفعل:

#### ١- ترك التشهير بغير حق:

شائعة الإفك وإن انتشرت في أوساط المجتمع المدني بفعل المنافقين، ثم من أخطأ في ذلك من الصحابة؛ إلا أنها لم تجد التشهير بين الفضلاء من الصحابة رضي الله عنهم، بل كانوا سداً منيعاً لتلك الهجمات الشرسة، فما الفائدة من ذكر أمرٍ متحقق كذبه؟، ولذلك تجنبوا الخوض في أمر الإفك، وبرّءوا ساحة أم المؤمنين، فكان تركهم التشهير بأُم المؤمنين مواساة عامة من الصحابة رضي الله عنهم لها أبلغ الأثر في نفس المواسى، إذ إن ذلك يدلها على يقينهم بأن ما رُميت به هو خلاف الحق الذي يعرفونه فيها رضي الله عنها، فكانوا بذلك مواسين لها في محنتها بعدم نشر ما هي بريئة منه.

#### ٢- ترك التعنيف قبل ثبوت الأمر:

المرء مع قالة السوء عموماً لا يملك نفسه، فقد يبتدر إلى فعل شيء قد يضره، وهذه طبيعة البشر، إذ يعترهم الضعف في مثل هذه المواقف المحرجة، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بالعرض؟، لا شك في أن ردة الفعل ستكون أشدّ وأعنف، لكننا نجد هنا من النبي الكريم ﷺ -صاحب الخلق الرفيع والفعل الممتزج بالرحمة والرأفة والحكمة-



تعاملاً حسناً مع زوجه الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع أن الأمر يتعلق بعرض أظھر بيت، والأمر يخص رجلاً شديد الغيرة، ومع ذلك لا يعنف، ولا يجرح المشاعر، بل يتأنى حتى يثبت الأمر، فيدخل على زوجته عائشة رضي الله عنها فيقول لها: كيف تيكمن؟ وفي هذا مواساة عظيمة منه ﷺ لزوجته رضي الله عنها.

### ٣- ترك الإعلام قبل علم المعني بالأمر:

مكثت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شهراً كاملاً وهي مريضة في بيتها لا تعلم بأمر الإفك لا من قريب ولا من بعيد، ولم يخبرها أحدٌ بذلك، فلقد تحفظ الصحابة رضي الله عنهم في إخبار أم المؤمنين بخبر الإفك، وبلغت عنايتهم ذا الأمر مبلغاً عظيماً، فلم يتدر أحدٌ منهم بنقل الخبر إليها، فمكثت بينهم شهراً لا تعلم بأمر الإفك لا من الزوج وهو رسول الله ﷺ، ولا من الأبوين اللذين هما أقرب قريب لها، ولا من الخادمة وهي بريرة، ولا من ضرائرها وهن أزواج النبي ﷺ، ولا من غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وذلك من مواساتهم لها بعدم إخبارها بما يسوؤها.

لقد وقعت المواساة في حادثة الإفك من أطراف عديدة، وبأساليب متنوعة، وكان لها الآثار العظيمة على الحالة النفسية للنبي ﷺ ولزوجته عائشة رضي الله عنها.

وانطلاقاً من ذلك يمكننا القول: إنَّ المواساة حين تقع على المواسى يكون لها آثار وانعكاسات حسنة طيبة مباركة على حالته النفسية، وذلك مما ينبغي للداعية معرفته والعناية به والإفادة منه، ومن ذلك:

١- أول ما يكون المصاب في أمس الحاجة إليه: الهدوء والسكينة والثبات وعدم الاضطراب، فذلك من أهم ما يحفظ له - بإذن الله - دينه وعقله وعافيته، وفي المواساة تحقيقٌ لهذه الأمور النفسية وتقويةٌ لها، فإن المصاب متى وجد المواساة ممن حوله أورثه ذلك راحةً نفسيةً عميقةً ينتج عنها هدوؤه وعدم اضطرابه.

فالداعية إلى الله ينبغي له أن يهتم بذلك ويُعنى به سواءً أكان مواسياً أم مواسياً:  
 \* فإن كان مواسياً لغيره: حرص على انتقاء أحسن أساليب المواساة وأكثرها فائدةً  
 ليُكسب نفسَ المواسي الهدوءَ وعدم الاضطراب.  
 \* وإن كان مواسياً: استفاد من مواساة الناس له أعظم الاستفادة، فاكسب منها  
 الهدوءَ وعدم الاضطراب.

٢- إذا كان الهدوء النفسي وعدم الاضطراب يعني الثبات؛ فإن الثقة بالنفس تعني  
 الانتقال من مرحلة التأثير الشديد والصدمة المفاجئة بالمصيبة إلى مرحلة تجاوز المحنة  
 بأفضل الطرق وأحسنها، ثقة الإنسان بنفسه -بعد توكله على الله- هي القاعدة التي  
 يبنى عليها انطلاقته وتطلّعه لما يأتي، وأما اهتزاز ثقته بنفسه -خاصة في حال المصيبة-  
 فهي من أسباب انحداره وتراجعهِ، ومن أعظم أسباب اكتساب تلك الثقة العظيمة:  
 المواساة.

فحريٌّ بالدعاة أن يتحلوا هذه الخلّة العظيمة في مواساتهم لغيرهم وفي استقبالهم  
 مواساة غيرهم لهم، فيكونوا على ثقة عظيمة بأنهم على الحق، وبأن ما أصابهم هو من  
 ابتلاء الله وامتحانه، وبأن من تناولهم في أعراضهم لن يتمكن من زعزعة ثقتهم في  
 أنفسهم، فيدعوهم ذلك إلى مواصلة الدعوة دون خلل ولا كَلَل ولا ملل.

٣- المواقف النبيلة في المواساة التي وقعت من الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم كان  
 لها أثر عظيم على معنويات بيت النبي ﷺ وتطلّعتهم لفرج الله:

\* فعندما استشار النبي ﷺ أسامة بن زيد في أمر عائشة رضي الله عنها فأشار عليه بالقول  
 الحق الذي يعرفه عن أم المؤمنين فقال: «يا رسول الله، هم أهلُك، ولا نعلم -والله- إلا  
 خيراً»؛ كان ذلك دافعاً قوياً في تبرئة أم المؤمنين عائشة وصفوان رضي الله عنهما، وزاده تأكيداً ما  
 أشار به علي بن أبي طالب رضي الله عنه على النبي ﷺ بسؤال بريرة عن عائشة رضي الله عنها ليطمئن



النبي ﷺ؛ لأنه قد علم في نفسه ﷺ أَنَّ بريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لن تذكر إلا براءة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هذه المواساة التي اجتمع فيها ثلاثة من الصحابة تركت أثراً حسناً في النبي ﷺ، فصعد المنبر وبرأ عائشة وصفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم لما سُري عنه بعد أن أُوجي إليه تبين «السرور في وجهه وهو يمسح جبينه»<sup>(١)</sup>. وتأمل عائشة تقاسيم وجهه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتقول: «فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى إني لأنظر إلى نواجذه سروراً، ثم مسح وجهه»<sup>(٢)</sup>.

\* وأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وجدت مساندة الصحابة والصحابيات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ لها على طهارتها وتأكيد براءتها، فهي تسمع الأخبار تتوالى على مسمعها من الذكر الحسن لها من أقرب الناس لها وهو النبي ﷺ ومن أبويها، وبقية المقربين منها، وجل المجتمع المدني يثني عليها ويزكيها، ويشاطرها في أحزانها، فارتفعت معنوياتها، وكانت متطلعةً لفرج الله فتقول: «ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله ﷻ بها». وكذلك فليكن الداعية إلى الله، يرى مواساة الناس له فيفرح بذلك ويتطلع إلى فرج الله، ويواسي غيره فيوصيه بذلك.

٤- الثقة في الله بالنصر والبراءة من أعظم الآثار النفسية للمواساة، ولقد بلغ الحزن والأسى بأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مبلغاً عظيماً منذ علمها بما قيل فيها من الإفك وحتى سؤال النبي ﷺ لها بقوله: «يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه؛ فإن العبد إذا

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٧) معلقاً بصيغة الجزم، والترمذي في الجامع (٣١٨٠)، من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨٠).  
(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١١٣١)، والطبري في تفسيره (٢١١/١٧) -واللفظ له-، من رواية ابن حاطب عن علقمة وغيره عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وإسناده صحيح.

اعترف بذنبه ثم تاب؛ تاب الله عليه»، لكنها -لحسن ظنّها برّبها ثم بما تعلمه من نفسها وبما كانت تجده من المواساة ممن حولها- كانت واثقة طيلة تلك الأيام في ربّها تبارك وتعالى بأنّه لن يظلمها ولن يخذلها، بل سينصرها على من ظلمها وسيظهر براءتها بما قيل فيها من الإفك، يبين ذلك قولها: «ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا -والله- حينئذٍ أعلم أنّي بريئة وأن الله مبرئي براءتي»، وقولها: «فأما أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيتُ -يعني: عند رؤية أمارات نزول الوحي على رسول الله ﷺ- فوالله ما فزعْتُ ولا باليتُ (وفي رواية الواقدي: فوالله لقد فرحتُ به)، قد عرفتُ أنّي بريئة وأن الله عَزَّوَجَلَّ غير ظالمي»<sup>(١)</sup>، وكانت ثقتها برّبها ظاهرة في وجهها كما في قول أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ فأخشى أن ينزل من السماء ما لا مرد له، وأنظر إلى وجه عائشة فإذا هو مُنْبَقٌ<sup>(٢)</sup>، فيطمعني ذلك منها»<sup>(٣)</sup>.

فالداعية إلى الله يحرص في مواساته لغيره على تذكير المواسى بالثقة بنصر الله له وتبرئته إياه، كما أن عليه هو أيضًا أن يستشعر ذلك في مُصابه ومواساة الناس له.

(١) أخرجه محمد بن إسحاق في سيرته (٢/ ٣٠٢ - ابن هشام) -ومن طريقه: الطبري في تاريخه (٢/ ١١٤) -والواقدي في المغازي (٢/ ٤٣٣)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ومن حديث غيره. وصحح إسناده الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٢٤).

(٢) قال ابن فارس: «كلمة تدل على تسوية وتهذيب. والنخل إذا كان غَرَّاسُهُ على استواءٍ: منبَق. وقد نبقه صاحبه. وكذلك كلُّ شيءٍ مستوٍ مهذَّب». معجم مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٦٦) -وعنده: "مفيق" بدلًا من "منبَق"، وأثبتنا اللفظ من فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٦) -، من حديث ابن جريج قال: قال ابن شهاب -يعني: الزهري- عن عروة وغيره. وابن جريج -مع أنه ثقة فاضل- إلا أنه كان يَدُلُّس، ولم يصرح هنا بالتحديث.





٥- مما ساعد في ثبات أم المؤمنين في المحنة التي مرّت بها: تطييب خاطرها من أمها أم رومان رضي الله عنها بما لها من الجمال الفائق والفضل والحظوة والمنزلة العالية عند رسول الله ﷺ، ومن أم مسطح وهي تقسم لها بالله العظيم على براءتها ونزاهتها مما نسب إليها، ومن بريرة وهي تحلف أيضًا بالله العظيم على طهرها وما تعلمه عنها من الخير، وأسامه يزكيها ويشير على النبي ﷺ بإبقائها، لقد طاب خاطرها رضي الله عنها هذه المواسة العظيمة من أولئك الصحابة، فكان ذلك من أقوى العوامل على ثباتها في محتتها.

فليتذكر الداعية أن يواسي إخوانه المسلمين بذكر ما لهم من المزايا، وبالوقوف إلى جانبهم بتبرئتهم مما نُسب إليهم زورًا وبهتانًا.

٦- من أعظم الآثار النفسية للمواسة: الفرح والسرور بفرج الله وبراءته ونصره، فعندما وجد النبي ﷺ المواسة من الصحابة في تبرئة زوجه عائشة رضي الله عنها والقطع بكذب المنافقين وافترائهم على عرضه الشريف؛ اغتبط بذلك وفرح، وكذلك عائشة امتلأ قلبها من الفرح والسرور بتكاتف المسلمين وترابطهم معها في محتتها، وفرحت بنصر الله لها بعد كربها وألمها، وعلمت أن مع العسر يسرًا.



## المبحث الثاني

### أثر ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي للداعية

هذه الآثار الثلاثة (ضبط النفس) و(عدم الغضب) و(الرد المنطقي) بينها تداخل وتلازم: فالتداخل: من جهة أن (عدم الغضب) من أبرز أنواع وأساليب (ضبط النفس)، فضبط النفس يشتمل على أمور كثيرة، منها: الحلم والصبر والأناة وغير ذلك، ومنها أيضاً: عدم الغضب، وأما (الرد المنطقي) فهو من نتائج (ضبط النفس) و(عدم الغضب). والتلازم: من جهة أن (عدم الغضب) و(الرد المنطقي) لا يمكن أن يقعا من الإنسان إلا إذا كان متحلياً بـ(ضبط النفس)، فهما نتيجتان من نتائجه. ولما لـ(عدم الغضب) و(الرد المنطقي) من أهمية بالغة فقد كان لا بد من إفرادهما بالذكر في هذا المبحث.

ولعل ما تقدم ذكره -من التداخل والتلازم بين هذه الآثار الثلاثة- يكون أكثر ظهوراً بمعرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه التعبيرات الثلاثة:

﴿فَضَبِطَ النَّفْسَ﴾:

مُرَكَّبٌ إضافيٌّ من كلمتي: (ضبط)، و(النفس):

و(الضَّبَطُ) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المجرد (ضَبَطَ)، يقال: (ضبطاً، يَضْبُطُ وَيَضْبُطُ، ضَبْطاً وَضَبَاطَةً)<sup>(١)</sup>.

وأصل مادته: الضاد والباء والطاء؛ وهو أصل صحيح<sup>(٢)</sup> يدلُّ على: لزوم الشيء

(١) المحكم والمحيط الأعظم (١٧٥/٨)، المعجم الوسيط (١٨/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣٨٦/٣).



وَحَبْسِهِ، لَا يَفَارِقُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ<sup>(١)</sup>، يُقَالُ: (ضَبَطَ) الشَّيْءَ: حَفِظَهُ بِالْحَزْمِ حِفْظًا بَلِيغًا، وَأَحْكَمَهُ وَأَتَقَنَهُ، وَمِنْهُ قِيلَ: (ضَبَطْتُ) الْبِلَادَ وَغَيْرَهَا: إِذَا قَمْتُ بِأَمْرِهَا قِيَامًا لَيْسَ فِيهِ نَقْصٌ<sup>(٢)</sup>، وَ(ضَبَطَ) الْكِتَابَ وَنَحْوَهُ: أَصْلَحَ خَلَلَهُ أَوْ صَحَّحَهُ وَشَكَّلَهُ<sup>(٣)</sup>. وَرَجُلٌ (ضَابِطٌ): قَوِيٌّ شَدِيدُ الْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ وَالْجِسْمِ وَالْأَيْدِ<sup>(٤)</sup>، وَفُلَانٌ (لَا) يَضِيطُ عَمَلَهُ: إِذَا عَجَزَ عَنِ وِلَايَةِ مَا وَلِيَهُ<sup>(٥)</sup>.

فِي مَكْنَا - عَلَى هَذَا - تَعْرِيفِ (ضَبَطَ النَّفْسَ) بِأَنَّهُ: «حَفِظَ النَّفْسَ وَحَبَسَهَا، عَلَى الدَّوَامِ - بِاسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ - مِنْ أَنْ تَقَعَ فِي الْخَطَأِ أَوْ مَا يَشِينُهَا، سِوَاءٍ فِي الْمَوَاقِفِ الْيَوْمِيَّةِ أَوْ الْمَفَاجِئَةِ، وَالزَّامِهَا وَالْوَصُولِ إِلَى السُّلُوكِ الصَّحِيحِ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِفِ».

### 📖 وَ(الْغَضَبُ):

فِي اللُّغَةِ: مَصْدَرُ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمَجْرَدِ (غَضِبَ)، يُقَالُ: (غَضِبَ، يَغْضَبُ، غَضَبًا وَمَغْضَبَةً)، وَهُوَ (غَضَبَان، وَغَضُوب، وَغُضْبٌ، وَغُضْبَةٌ، وَغُضْبَةٌ، وَغَضِبَ)، وَهِيَ (غَضَبِي، وَغَضُوب، وَغَضَبَانَةٌ - فِي لُغَةٍ -)، وَهُمْ (غَضَبِي، وَغَضَاب، وَغَضَابِي)<sup>(٦)</sup>.

(١) العين (٢٣/٧)، تهذيب اللغة (٤٩٢/١١)، المحيط في اللغة (٤٥٧/٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٨/١٧٥).

(٢) المصباح المنير (٣٥٧/٢)، المعجم الوسيط (٥٣٣/١).

(٣) المعجم الوسيط (٥٣٣/١).

(٤) العين (٢٣/٧)، تهذيب اللغة (٤٩٢/١١)، جوهرة اللغة (٣٥٢/١)، المحيط في اللغة (٤٥٧/٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٨/١٧٥).

(٥) تهذيب اللغة (٤٩٣/١١).

(٦) العين (٣٦٩/٤)، تهذيب اللغة (١٦/٨)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٩٤/١)، معجم مقاييس اللغة (٤٢٨/٤)، المحكم والمحيط الأعظم (٤١١/٥)، المصباح المنير (٤٤٨/٢).

وأصل مادته: الغين والضاد والباء؛ وهو أصل صحيح يدل على: شِدَّةٌ وَقوَّةٌ. ومنه: الغَضَبَةُ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ. قالوا: ومنه اشتقَّ الغَضَبُ؛ لأنه اشتداد الشُّخْطِ<sup>(١)</sup>.

و(الغَضَبُ): نقيض الرِّضا<sup>(٢)</sup>، و(غَضِبَ له): غَضِبَ على غيره من أجله، وذلك إذا كان حيًّا، فإن كان ميتًا قلتَ: (غضب به)<sup>(٣)</sup>، و(غاضِبٌ) فلانٌ فلانًا: أغضب كلُّ منهما الآخر، يقال: غاضبُ الرجل: أغضبه وأغضبني، و(تغَضَّب) عليه: غَضِبَ، يقال: أغضبه فتغَضَّب<sup>(٤)</sup>، و(غاضِبٌ) فلانًا: هجره وتباعد عنه<sup>(٥)</sup>.

و(الغَضَبُ) بالمعنى العام هو: «تغيُّر يحصل عند غليان دم القلب، بشهوة الانتقام؛ ليحصل عنه الشفاء للصدر، لكن كثيرًا ما يعقبه النَّدَم والخسران»<sup>(٦)</sup>، وبعبارة مختصرة: «إرادة الإضرار بالمغضوب عليه»<sup>(٧)</sup>. وعرّفه مجمع اللغة العربية بمصر بأنه: «استجابة لانفعال، تتميز بالميل إلى الاعتداء»<sup>(٨)</sup>.

### و(الرَّدَّ الْمُنْطِقِيَّ):

مُرْكَبٌ وَصْفِيٌّ من كلمتي: (الرَّدَّ)، و(المنطق):  
(المنطق) في اللغة: مَصْدَرٌ مِمِّيٌّ لِلْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمَجْرَدِ (نَطَقَ) يُقَالُ: (نَطَقَ، يَنْطِقُ،

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٢٨).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٤١١).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ١٩٤)، معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٢٨)، المحيط في

اللغة (٤/ ٥٥٥)، المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٤١١)، مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ١٥٤).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٤١١)، المصباح المنير (٢/ ٤٤٨)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٥٤).

(٥) المعجم الوسيط (٢/ ٦٥٤).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ١٥٤)، التعريفات ص: (٢٠٩)، دستور العلماء (٣/ ٦).

(٧) الكليات ص: (٦٧١).

(٨) المعجم الوسيط (٢/ ٦٥٤).



نُطْقًا، وَمَنْطِقًا): تَكَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

وأصل مادته: النُّون والطاء والقاف؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على: كلامٍ وما أشبهه<sup>(٢)</sup>؛ فالْمَنْطِقُ: الكلام، وناطقٌ كُلُّ واحدٍ منهما صاحبه: قَاوَلَهُ<sup>(٣)</sup>.

و(الْمَنْطِقُ) في اصطلاح المناطقة: «عِلْمُ يَعْصِمُ الذَّهْنَ مِنَ الْخَطَأِ فِي الْفِكْرِ»، يقال: (فلانٌ مَنْطِقِيٌّ): عالمٌ بِالْمَنْطِقِ، أو: يُفَكِّرُ تفكيرًا مستقيمًا<sup>(٤)</sup>.

و(الرَّدّ) هو: رَجْعُ الشَّيْءِ، تقول: (رددتُ) الشَّيْءَ، أَرُدُّهُ، رَدًّا<sup>(٥)</sup>. وتقول: (رددتُ) عليه قوله، و(رددتُ) إليه جوابه: رجعتُ وأرسلتُ<sup>(٦)</sup>.

فيمكننا -على هذا- تعريف (الرَّدّ الْمَنْطِقِيّ) بأنه: «الجواب عن إشكالات السائل أو المُسْتَفْهِم، بطريقة علميّة مُستقيمة يقبلها الْعَقْلُ، تعصمُ ذِهْنَهُ مِنَ الْخَطِئِ وَاللَّبْسِ».

ومن خلال ما سبق: يظهر أن مما يشتمل عليه ضبط النفس:

١- الحلم، وهو: «الأناة وضبط النفس عن هيجان الغضب»<sup>(٧)</sup>.

٢- كظم الغيظ، وهو: ردّه في الجوف إذا كاد أن يخرج من كثرته وامتلاء النفس به، فيضبطه ويمنعه ويسكت عليه ولا يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، ويحفظ نفسه من أن تُمضي ما هي قادرةٌ على إمضائه باستمكانها ممن غاظها

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٤٠)، المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٢٨٥)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٣١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٤٠).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٢٨٥)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٣١).

(٤) المعجم الوسيط (٢/ ٩٣١).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٨٦).

(٦) المصباح المنير (١/ ٢٢٤).

(٧) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٨/ ٢١٢).

وانتصارها ممن ظلمها<sup>(١)</sup>.

٣- كبت جماح النفس ساعة الغضب وردّها عن التصرف الخاطئ المخالف للعقل والمنطق، وضبط اللسان والحفاظ عليه من فلتاته.

٤- الجواب والكلام بروية وتبصر بمآلات الأمور.

كما يشتمل على: رباطة الجأش، والسكينة، والتؤدة، والاتزان، والالتزام التام بالأحكام والآداب الشرعية.

وقد جاءت نصوص القرآن والسنة بالندب إلى التحلي بضبط النفس بما يشتمل عليه من المعاني الآنفة الذكر، ومن ذلك: قوله تعالى: (والكاظمين الغيظ) وقال النبي ﷺ: «من كتم غيظاً وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين يزوجها ما شاء»<sup>(٢)</sup>، ومدح النبي ﷺ أشج عبد القيس حين قدم المدينة مع قومه فقال له: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله؛ الحلم والأناة»<sup>(٣)</sup>، وحين طلب أحد الصحابة من النبي ﷺ أن يوصيه قال له: «لا تغضب» ثم ردد عليه مراراً حين كرر طلب الوصية منه: «لا تغضب»<sup>(٤)</sup>، وقال النبي ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر<sup>(٥)</sup> اللسان فتقول: اتق الله فينا، فإننا نحن بك، فإن استقمت

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٧/٦)، المحرر الوجيز (٣٥٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠٦/٤).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن (٣٩٤/٤) رقم: (٤٧٧٩)، والترمذي في الجامع (٣٧٢/٤) رقم: (٢٠٢١) و(٦٥٦/٤) رقم: (٢٤٩٣)، وابن ماجه في السنن (١٤٠٠/٢) رقم: (٤١٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٥١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣٦/١) رقم: (١٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (٣٥/٨)، (٦١١٦).

(٥) أي: تذلل وتخضع، والتكفير: هو أن ينحني الإنسان ويطأ رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه. النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٨/٤).



استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»<sup>(١)</sup>، وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»<sup>(٢)</sup>. وكان السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- من أعظم الناس تطبيقاً لأمر الله ﷻ في هذا الأمر، ومما يذكر في ذلك: أن عمر بن عبد العزيز غضب يوماً غضباً شديداً على رجل، فأمر به فأحضر وجرد وشُدَّ في الحبال وجيء بالسياط فقال: خلّوا سبيله، ثم قال: أما أني لولا أن أكون غضبان لسؤتُك. ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]<sup>(٣)</sup>.

وفي حادثة الإفك التي افتري بها على عرض النبي ﷺ تجلّت سمات ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي في كافة الأطراف المؤمنة المعنية بالأمر -في أي الصور، وأرفع المثل، وأجمل التطبيقات الواقعية في حال: الألم والأمل، والفرح والحزن، ومع الموافق والمخالف، فتجلّت تلك السمات في: النبي ﷺ وزوجه (أم المؤمنين عائشة) ووالديها (أبي بكر الصديق وأم رومان رضي الله عنهما) والمجتمع المدني المؤمن بعامة من الصحابة والصحابيات رضي الله عنهم -ممن لم يتلقَّ الإفك أو يُشِعه.

فيمكننا -من ثم- بيان ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي -في حادثة الإفك- من خلال جانبين:

الأول- الأطراف المعنية بالأمر، سواء من وقع عليه الإفك أو وقع في عرضه أو على أهله أو وقعت له معاناة نفسية بسببه.

الثاني- الوقائع والأحداث التي مرّت بكل طرف من تلك الأطراف.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع (٦٠٥/٤) رقم: (٢٤٠٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٤٠/٥) رقم: (٥٦٧٢)، ومسلم (٦٨/١) رقم: (٤٧).

(٣) عمر بن عبد العزيز ص: (٨٢).

وبناءً عليه؛ نبين ذلك كما يأتي:

📖 أولاً - النبي ﷺ.

١ - حاله ﷺ حين تحدث المنافقين بالإفك:

أ- تحدث المنافقون في عرض النبي ﷺ فاختلقوا قالة السوء العظيمة الموصوفة في الكتاب العزيز بالإفك، وتناقلوها وأشاعوها، متسترين بمشهد لا يمكن الطعن فيه لأنه خالٍ من التهمة، وإذا كان قول الإفك بالأفواه، وروايته بالألسنة، وتلقي الناس إياه بعضهم عن بعض عظيمًا عند الله تبارك وتعالى؛ لأنهم بذلك يؤذون رسول الله ﷺ وحليلته<sup>(١)</sup>؛ فكيف باختلاق أصل الإفك الذي هو افتراء عظيم وكذب بيّن - كما فعل المنافقون-؟، مع ذلك كله ضبط النبي ﷺ نفسه:

\* تجاه الإفك نفسه، فلم يبادر إلى إنكاره والدفاع عن نفسه وعن زوجته، بل التزم الصمت وتحلّى بالسكينة وتأنى وانتظر أمر الله ووحيه، هذا مع علمه بأن المفترى عليهما (زوجه وصفوان رضي الله عنهما) من أهل التقوى والفضل والخير.

\* تجاه أهل النفاق الذين افتروا عليه في عرضه الشريف، فلم يواجههم بالغضب، ولم يبادرهم بالعقوبة، ولم يبادلهم الطعن والقذف والالتهام، مع ما يعرفه عنهم من الكفر في بواطنهم، بل ما كشفته الأحداث عنهم من ضغينة وحقد وترصّد وبهتان.

\* تجاه زوجته عائشة رضي الله عنها.

ب- وزوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سمع عنها الفرية المختلقة المأفوكة التي اختلقها المنافقون وتداولوها وبثوها في أرجاء المدينة، وعلم أن مجيئها مع صفوان وحدهما هو الذي اتخذته المنافقون حجةً للقذف والإفك، ومع هذا كله ضبط نفسه تجاه زوجته:

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢١٨).





\* فلم يبادر إلى إخبارها بما قيل فيها؛ مراعاة لمرضاها بعد رجوعها من السفر، فضلاً عن أن يوجّه التهمة إليها ثم يطلب منها أن تدافع عن نفسها.

\* ولم يغضب عليها أو يعتقها لقبولها ركوب جهل صفوان، فضلاً عن أن يوبّخها ويحملها مسؤولية ما قيل فيها من الإفك.

\* ولم يقاطعها أو يهجرها، فضلاً عن أن يطلقها، بل كان يزورها بين الفينة والأخرى وهي مريضة، ويطمئن عليها سائلاً: «كيف تيكم؟»، في تصرف ممتلىء بالروية ورباطة الجأش والتأني والكلام الموافق للحدث والمناسبة.

\* تجاه صفوان بن المعطل رضي الله عنه

ج - وصاحبه صفوان بن المعطل رضي الله عنه هو الذي قرّن المنافقون اسمه باسم عائشة رضي الله عنها فرمّوا بالإفك للطعن في عرضه ﷺ، فضبط ﷺ نفسه تجاهه:

\* فلم يغضب عليه ولا استدعاه لتأنيبه.

\* ولم يحمله ذلك على ذكره بالسوء في حضوره أو غيبه.

\* ولم يدفعه الغضب والغيرة على عرضه على التعرّض له بالضرب والاعتداء.

٢ - حاله مع مَنْ تحدّث بالإفك الصحابة رضي الله عنهم.

وقع بعض فضلاء الصحابة في الإفك بالأفواه دون القلوب، وذلك خطيئة عظيمة: لتعلّقها بعرض النبي ﷺ، ولما فيها من إيذائه، ولكونها تُعين أهل النفاق على تحقيق مرادهم في التشفيّ بالنبي ﷺ وبالمسلمين عامة، وكان النبي ﷺ مع ذلك متّزناً ثابت الجنان ضابطاً لنفسه الزكية تجاههم رضي الله عنهم:

\* لم تبدر منه بادرة غضب تجاههم.

\* ولم يتّهمهم بمعونة أهل النفاق على أهل الإسلام.

\* ولم يأمر المسلمين جرهم.

٣- لما استشار النبي ﷺ علياً وأسامة بنهما في فراق زوجته عائشة رضي الله عنها:

أ- انقطع الوحي عن النبي ﷺ شهراً كاملاً، ولم يأتيه من السماء خبر في الإفك الذي تلوكة ألسنة المنافقين، وهو ﷺ على ما هو عليه من ضبط نفسه وتجنبه الغضب وجميع مظاهره ولزومه الصمت - وهو أبلغ ردّ منطقي في مثل هذا الموقف -، ثم انتقل إلى صورة أخرى من صور ضبط النفس وتجنب ما يضاذه من الغضب والاستعجال، وهي استشارته صحابته رضي الله عنهم في فراق زوجته عائشة رضي الله عنها، فاستشار علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما في ذلك، فكانت تلك الاستشارة ضبطاً لنفسه ﷺ في كونه لم يتدر إلى هذا الأمر بقرار منفرد - مع كون ذلك يتعلق بعرضه هو، ومع كونه أكمل الناس عقلاً وأسددهم رأياً -؛ لبيان أهمية «مشاورة الرجل بطانته فيما فيه مصلحته من فراق أهله أو غير ذلك»<sup>(١)</sup>.

ب- وحين سمع ﷺ من أسامة بنهما مشورته بإمساك زوجته رضي الله عنها، وثناؤه عليها بأنه لا يعرف عنها إلا السيرة الحسنة، وتأكيده ذلك بالحلف بالله تعالى؛ علم ﷺ أمته صورة أخرى من صور ضبط النفس:

\* فلم يبادر إلى تصديق أسامة بالقول فيقول: صدقت، مع كونه يعلم أنه صادق.

\* ولم تظهر عليه علامات الفرح والسرور، مع أنه يحب أن يبرئ زوجته الطاهرة.

لأنه لم يسمع بعد رأي علي رضي الله عنه، ولم ينته إلى رأي يجزم به ويخلص إليه من هذه الاستشارة.

ج- وحين أخبره علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن الله لم يضيق عليه، وأن النساء سوى عائشة رضي الله عنها كثير، وطلب منه الرجوع إلى الجارية وسؤالها عن محل الاستشارة

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/١٤٣). وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٣٩٨).



(عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا):

\* لم يردّ عليه بأي كلمة توحى بقبول رأيه أو ردّه؛ لأنه لم يصل بعدُ إلى رأي ينتهي إليه.

\* ولم تظهر عليه علامات الانزعاج والغضب مما تضمنته مشورته من فراق زوجه التي هي أحب النساء إليه؛ لأن المشورة يُستَمع إليها ولا يُحاسب عليها المُشير بها إذا كان ناصحًا يجب الخير لمن طلب رأيه ويسعى في راحته.

\* وأخذ برأيه في سؤال الجارية؛ لأنه رأيٌ يؤدي إلى الوصول إلى اليقين أو غلبة الظن في موضوع الاستشارة، فيعين على اتخاذ القرار.

د- فسأل النبي ﷺ الجارية: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟»: فكان سؤالاً هادئاً لطيفاً يمتلئ بضبط النفس وعدم الغضب والكلام الموافق للمنطق:

\* فنادها باسمها، وفي ذلك من التقريب وطلب حضور الذهن ما فيه.

\* وسألها عما هو أفضل عند الله منها وأحب إلى نفسه ﷺ من جميع النساء، وذلك يوحى للمسئول بالأمان والثقة وعدم التردد في قول الحق.

\* واستعلم استعلاماً منطقيّاً، فقد عيّن المطلوب من السؤال تعييناً دقيقاً؛ فالمسئول عن حاله: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والمسئول عنه: ما يريبها منها، وشرط الجواب: أن تكون قد رأت ذلك فيقوم مقام القطع واليقين.

هـ- فأجابت بريرة بنفي أن تكون رأت من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما يريب، بل زادت ذلك تأكيداً بأنها لم ترَ منها أمراً تغمصه عليها، وذلك مما تكون به الغاية في الشاء: نفي الريبة خاصة، ثم نفي النقص عامةً. فتعامل ﷺ مع هذا الجواب بضبط نفسٍ كما تعامل سابقاً مع شبيهه (رأي أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

٤- حين خطب النبي ﷺ في المسجد واختصم الصحابة ﷺ حول المنبر.

أ- ما إن انتهى النبي ﷺ من استشارة علي وأسامه وسؤال بريرة ﷺ حتى صعد المنبر فخطب في الصحابة يسألهم العذر (إذا عاقب من تكلم في عرضه على سوء ما صدر منه)<sup>(١)</sup>، وأثنى على زوجه أم المؤمنين عائشة ﷺ وصاحبه صفوان بن المعطل ﷺ بما يعلمه عنهما من ماضيها الحسن المشرق، وشهد لصفوان بأنه لم يكن يدخل على أهله ﷺ إلا معه. فتضمنت خطبته ﷺ صوراً من ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي:

\* لم يبدأ كلامه أو يُضمِّنه بما يوحي بالغضب تجاه أولئك الذين تكلموا في أهل بيته، مع كونه يريد المَعذرة إذا عاقبهم.

\* سأل الصحابة ﷺ أن يعذروه فيمن آذاه في أهله، مع أنه ﷺ هو ولي الأمر، وله أن يأمر بعقوبتهم دون أن يمنعه من ذلك أحد من الناس؛ حفاظاً على نفوس أصحابه وإبقاءً على ألفتهم فيما بينهم وطلباً لاجتماعهم على موافقته.

\* ذكر لزوجه أم المؤمنين عائشة ﷺ وصاحبه صفوان بن المعطل ﷺ من الأدلة والقرائن ما ينفي ما قيل عنهما من الإفك، ويدل على بطلانه، ويثبت براءتهما منه.

\* ولم يصرح ببراءة زوجه وصاحبه ﷺ بقاءً على ما كان عليه ﷺ من ضبط النفس حتى ينزل عليه الوحي في ذلك.

ب- ثم وقع بين الصحابين الجليلين سعد بن معاذ وسعد بن عباد ﷺ ترادٌّ في الكلام أدّى إلى وقوع الاختلاف بينهما حتى ثار الأوس والخزرج وكادوا أن يقتلوا، فلم يزل رسول الله ﷺ يفضيهم؛ حتى سكتوا وسكت. وهذا الموقف من أصعب المواقف: يريد النبي ﷺ من صحابته ﷺ أن يتفقوا على معذرتة إذا عاقب أهل

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٠).



الإفك، فإذا بهم يحصل بينهم خلاف آخر لم يكن في الحسبان، حتى يصل بهم الأمر إلى حد الاقتتال، فيواجه ﷺ هذا الموقف العصيب بهدوء وسكينة وضبط نفس:

\* فلم يغضب على الصحابة رضي الله عنهم لخلافهم فيما بينهم وردّ بعضهم على بعض مع كونه قائماً أمامهم على المنبر.

\* لم يؤيد أحد الفريقين أو يشهد له بالصواب في قوله أو فعله.

\* نزل من المنبر وصرف عنايته كلّها لتهدئة الصحابة وتسكينهم ويشير بيده الشريفة أن اهدءوا حتى سكن الصحابة وهدأ الصوت الناجم عن خلافهم فيما بينهم<sup>(١)</sup>.

ترك ما كان يكلم الصحابة فيه وسكت عنه ولم يواصل الحديث فيه.

لم يعنّف الصحابة أو يغضب عليهم بعد سكوتهم وانتهاء الخلاف الذي حصل بينهم.

٥- حين سأل زوجته عائشة رضي الله عنها عما يذكره الناس عنها.

دخل رسول الله ﷺ على عائشة -وعندها أبواها- رضي الله عنهم، فسلم ثم جلس، فتشهد ثم قال: «أما بعد؛ يا عائشة؛ فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب؛ تاب الله عليه». فهذا الموقف النبوي الشريف يدل على ضبط النفس ومظاهر ذلك الضبط من عدة نواح:

\* تأنيّه رضي الله عنه من حيث: سلامه ثم جلوسه ثم تشهده قبل خطابه، وهو الذي كابد معاناة الإفك شهراً كاملاً، فلم يجعله ذلك يحيد عن الأناة إلى العجلة.

\* مناداته زوجته عائشة رضي الله عنها باسمها مع عدم جلوسه قبل ذلك معها مذ قيل ما قيل فيها، ومع كونه جاء يخاطبها بما لم يخاطبها فيه (وهو الإفك) طوال الفترة الماضية،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٤).

فلم يجعله ذلك يمتنع عن مناداتها باسمها.

\* الاتزان في طريقة السؤال، وجميل أدب العبارات، فهو يخبرها ببلوغ كلام يُكني عنه بقوله: «كذا وكذا» ولا يفصح به<sup>(١)</sup> لضبطه لنفسه، وعدم غضبه.

\* ذكره للحالتين المتصورتين في مثل هذه الحال: أن تكون بريئة، وأن تكون قد أَلَّتْ بذنب، فلم يقتصر على البراءة -وهي الحالة المحبوبة إليه- مع كونه لا يعلم عن زوجه إلا الخير، ولم يسمع من صحابته عنها إلا الخير، وطلب من الصحابة أن يعذروه إذا عاقب من آذاه فيها، بل ذكر حالة الإمام بالذنب لأنه جاء ليسألها فتكلم هي عن نفسها لا أن يثبت هو براءتها بقول من عنده.

\* بيّن لها عاقبة كل حالٍ من الحالين: ففي حال براءتها لن يتخلى الله عنها، بل سيرثها بوحى ينزله بذلك قرآناً أو غيره<sup>(٢)</sup>؛ إشارة منه لها بأن تحسن الظن بالله وأن لا تقول على نفسها ما لم تفعله، فتثبت على صدقها، وتثق بنصر الله سبحانه لها. وفي حال الإمام بالذنب أرشدها إلى التوبة والاستغفار، ولم يُيسسها من رحمة الله، فإن الله يتوب على من تاب<sup>(٣)</sup>.

#### ٦ - حاله حين نزل عليه الوحي ببراءة زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

حين فرغت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من ردها على سؤال الرسول ﷺ غشى النبي ﷺ ما يغشاه حين ينزل عليه الوحي، فوضعوا له وسادة من آدم حتى سُري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: «أُبشري -يا عائشة-، أما الله ﻋَزَّ وَجَلَّ فقد برأك». فنرى هنا شدة الانضباط النفسي في هيئة وطريقة لفظة البشارة:

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٥): «ولم يرد في شيء من الطرق التصريح، فلعل الكناية من لفظ النبي ﷺ».

(٢) انظر: المصدر السابق (٨/ ٤٧٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (٨/ ٤٧٥).

\* فالابتسامة تنبئ عن خير.

\* والنفس المنتظرة المشوقة والمتشوقة لذلك الخير تنتظر كلمة حاسمة شافية تروي ظمأ البريء المتهم، فتأتي من الذي أوتي جوامع الكلم بقوله: (أبشري يا عائشة)، فقلوه ﷺ: (أبشري) لفظة ابتداء بها حديثه، وهي بلا شك تدل على انضباط النفس في حسن اختيار الألفاظ ومواطن ذكرها؛ لأنَّ فيها تهئية المخاطب نفسياً للخير الذي يليها من البشارة، ولأن فيه تحفيز النفس المتهمة لذلك الخير المبشر به، فهذه اللفظة فيها «استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام»<sup>(١)</sup>.

📖 ثانيا- أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

١ - حالها لما علمت بتحدث المنافقين بالإفك.

لم تكن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تعلم ما يتناقله المنافقون من الكذب المختلق عليها طيلة شهر كامل؛ لأنها مرضت على إثر قدومها إلى المدينة مع الجيش، ولم تعلم إلا عن طريق أم مسطح التي أخبرتها بذلك في أثناء عودتها إلى بيوتها بعد فراغها من قضاء حاجتهما، ومع شدة وقع الخبر عليها - كما دل عليه قولها: «فازددتُ مرضاً إلى مرضي» - اتصفت بضبط النفس وعدم الغضب:

\* فلم يصدر منها ما لا يليق من الانفعالات النفسية كالجزع والغضب، مع أن الخبر فجأها ولم تكن تتوقعه البتة، بل لم يخطر ببالها أن تُرمى به.

\* ولا تكلمت على من اتهمها، مع يقينها بما أكرمها الله به من إيمان وحياء وعفة ووفاء لزوجها، ومع علمها بأن ما قيل فيها هو محض كذب وتان، وأنه صادر عمّن لا خلاق له من أهل النفاق.

(١) المصدر السابق (٨/ ٤٧٩).

\* وتأتت غاية التآني، فلم تذهب من وقتها إلى بيت أبيها لتسألها وتتثبت منها عن صحة ذلك، بل رجعت -هادئة النفس، رابطة الجأش- إلى بيتها كما خرجت منه، وانتظرت حتى جاءها زوجها النبي ﷺ فاستأذنته في أن تزور أبيها.

\* وكان استئذانها للنبي ﷺ بلباقة الكلمة التي تنم عن أدب وتأنٍ وروية، دون أن يظهر عليها أو على كلامها أي انفعال غضبٍ أو لفظٍ لا يحمّد.

## ٢- لما تحدث بعض الصحابة رضي الله عنهم بالإفك.

وقع بعض فضلاء الصحابة رضي الله عنهم في قول الإفك بالأفواه دون القلوب، ودون أن يقصدوا به أذية النبي ﷺ، وقد علمت عائشة رضي الله عنها بهم وبأقوالهم، ثم لم تكن موافقها معهم تتسم إلا بضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي:

\* فلم يُذكر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها البتة أنها تكلمت فيهم بسوء، مع كونها هي المحقة قطعاً وهم المخطئون، بل ضبطت نفسها، وصانت لسانها عن الخوض في أعراضهم، ولم تزد على أن ذكرت موقف حمّة بنت جحش رضي الله عنها فقالت: «وظفقت أختها حمّة بنت جحش تحارب لها؛ فهلكت فيمّن هلك»، فاقصرت على ذكر سبب خوضها في الإفك دون أن تزيد على ذلك.

\* ثم كان تعاملها مع أولئك الصحابة -بعد ظهور براءتها وانقضاء الحادثة- تعامل المسلم مع أخيه المسلم، فلم تتخذ موقفهم وسيلةً للطعن فيهم، ولا قاطعتهم، بل كانت تكره أن يُسب عندها حسان بن ثابت رضي الله عنه -وهو الذي خاض في الإفك فيمن خاض من أولئك الصحابة-؛ لما له من الماضي المشرق بدفاعه ومنافحته بشعره عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وهذا من أعلى ما يكون من ضبط النفس؛ إذ أنها لم تكتفِ بعدم ذكره بسوء، بل كانت تكره أن يُذكر هو بسوء، ثم زادت على ذلك بأنها كانت تذكر له منقبته مع رسول الله ﷺ.

(١) معالم التنزيل (٦/٢٣).





٣- حين توثقت من والدتها عما يذكره الناس فيها من الإفك.

ذهبت أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى والدتها تريد أن تتيقن من جهتها عما سمعته من أم مسطح من خوض الناس فيها بخبر الإفك، فسألت والدتها، فتأكد لها الخبر. وفي هذا الموقف معالم من ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي:

\* فسؤالها لوالدتها كان بتؤدة وحلم وأدب، فلم تبادر إلى سؤالها بتلهف واستعجال، بل نادتها: «يا أمتاه»، ثم سألت عما تريد أن تسأل عنه: «ماذا يتحدث به الناس؟» فأبهمت ولم تذكره صراحة.

\* ولما تأكدت من الخبر لم يصدر عنها من ردود الأفعال والألفاظ ما يسيء، واكتفت بأن استنكرت أن يتحدث الناس بذلك.

\* و«استغاثت بالله متعجبة من وقوع مثل ذلك في حقها مع براءتها المحققة عندها»<sup>(١)</sup> فقالت: «سبحان الله».

٤- لما علمت باستشارة النبي ﷺ بعض صحابته في أمرها.

قَصَّتْ أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا استشارة النبي ﷺ أسامة وعلياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في فراقها، ثم سؤاله بريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إن كانت رأت ما يريبها منها، وإنه لموقف عصيب جداً أن تسمع أم المؤمنين أن النبي ﷺ قد شاور بعض صحابته في فراقها، لكنها كانت تستصحب ضبط النفس في كل أحوالها وشؤونها:

\* فلم يصدر منها أي جزع أو فعلٍ غاضبٍ من استشارة النبي ﷺ بعض صحابته في ذلك، بل إنها -لما آتاها الله من فهم الدين وكمال العقل- ذكرت أن ذلك كان له سبب وجيه، وهو ما ذكرته في قولها: «ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٦٧).

- حين استلبث الوحي -».

\* ولم تغضب من قول علي عليه السلام: «يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير» مع ما يُفهم منه من أنه يشير على النبي عليه السلام بفرافقتها، بل لم تعقّب على مشورته هذه بأي كلمة.

\* ولم تذكر أنها كانت تأمل من أسامة وبريرة رضي الله عنهما أن يصرحا ببراءتها، ولم تعاتبهما على عدم فعلهما لذلك -مع كون بريرة خادمتها-.

٥- عندما علمت باختصاص الصحابة حول المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيهم.

فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من استشارة بعض صحابته في أمر عائشة رضي الله عنها، فصعد المنبر وطلب المَعذرة في عقوبة من آذاه في أهله، وأثنى بالخير على زوجته وصفوان بن المعطل رضي الله عنه، فقام سعد بن معاذ (وهو أوسي) فقال: «أنا والله أعذرُك منه -يا رسول الله-، فإن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرُك». فقام سعد بن عبادة (وهو خزرجي، وكانت أمُّ حسان بنت عمه) فقال: «كذبت، لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رَهْطِكَ ما أَحْبَبْتَ أن يُقْتَلَ». فالنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يعاقب من آذاه في أهله، وسيد الأوس سعد بن معاذ يوافق على ذلك، بل يجعل العقوبة هي ضرب العنق (القتل)، فيصدر عن سيد الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه ما قد يوحي بأنه لا يوافق على ذلك؛ لكون بعض من آذى النبي صلى الله عليه وسلم هو من قبيلته من الخزرج، وهذا موقف قد تطيش فيه العقول، وتحتدّ الألسن، وتخرج الجوارح عن طورها؛ فإن من رُمي بالإفك يأمل في مثل هذه الحال أن يوافق الصحابة جميعاً على أن يعاقب النبي صلى الله عليه وسلم من آذاه في أهله، فيعاقبه وينتهي الأمر، ولكن موقف سعد بن عبادة حال دون ذلك، ومع ذلك كله لم تتعامل عائشة رضي الله عنها مع هذا الموقف إلا بضبط نفس:



\* فلم تغضب من سعد بن عباد، فضلاً عن أن تحمل عليه في نفسها الغل والحق.

\* ولم تتكلم فيه بسوء، فضلاً عن أن تتهمه في نيته تجاهها أو تجاه الدين بعامة، بل ذكرت السبب الذي حمله على ذلك فقالت: «اجتهلته الحمية»، فوضعت الأمور في نصابها دون شطط.

\* بل كان ضبطها نفسها في هذا الموقف مما يضرب به المثل، إذ أثنت على سعد ابن عباد فقالت: «وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً»، فشهدت له بالصلاح؛ فتعرف الأمة له فضله ومكانته، وأن موقفه لم يكن عن قصدٍ فاسد أو نية خبيثة ولا لنصرة أهل النفاق أو الخائضين في الإفك.

٦ - لما جاءها النبي ﷺ يسألها عما يذكره الناس في أمرها.

حين فرغ النبي ﷺ من صلاة العصر دخل على بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجلس مقابلاً لزوجته عائشة رضي الله عنها وتشهد ثم قال: «أما بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت أَلَمْتَ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب؛ تاب الله عليه». فكان أول موقف تسمع فيه عائشة رضي الله عنها من النبي ﷺ -مواجهةً- شيئاً يتعلق بخبر الإفك، لكنه لم يكن تبرئة ولا تبشيراً، بل كان كلاماً يتضمن طلب جوابها عما يقوله الناس فيها، كما أنه تضمن موعظة وتذكيراً بالله تعالى، وقد كان موقفاً تصعب مواجهته، فصاحب السؤال هو زوجها وحبيبها محمد ﷺ، ولكنها رضي الله عنها واجهته بأجل صور ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي:

\* فلم تغضب من السؤال وما تضمنه من ذكر حالتي البراءة والإمام بالذنب، ولا ذكرت أن ذلك فيه طعنٌ فيها، ولا عاتبت زوجها على ذلك، وما كان منها إلا أن قلص دمعها فتوقفت عن البكاء.

\* وطلبت من أبيها وأمها أن يجيبا عنها - مع أن السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر وهما لا اطلاع لهما على ذلك -؛ إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هما يطلعان عليه، فكأنها قالت لهما: برئائي بما شئتما وأنتما على ثقة من الصدق فيما تقولانه<sup>(١)</sup>، فلم يفعلوا؛ فلم تكن لتغضب منها أو تعد ذلك خذلاناً منها لها.

\* ولما أجابت هي أجابت بردّ منطقيّ دلّ على ما تحلّت به من قوة في ضبط النفس وعدم الغضب فمهّدت لجوابها فقالت: «إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به»، ف«قالت هذا - وإن لم يكن على حقيقته على سبيل المقابلة - لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وهي كانت - لما تحققت من براءة نفسها ومنزلتها - تعتقد أنه كان ينبغي لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه، لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم في ذلك، ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا والسكوت عليه، بل تعيّن التنقيب عليه لقطع شبههم، أو مرادها بمن صدق به أصحاب الإفك لكن ضمّت إليه من لم يكذبهم تغليياً»<sup>(٢)</sup>.

\* ثم أتبعَتْ ذلك بجوابها مُضْمَنَةً إياه إعلاناً ببراءتها مما قيل فيها وعتاباً لطيفاً فقالت: «فإن قلت لكم إني بريئة - والله ﷻ يعلم أنني لبريئة - لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله ﷻ يعلم أنني منه بريئة - لتصدقوني».

\* ثم ختمت ردّها المنطقي المتأني بذكر مثل قرآني تصف به حالها وحالهم، يتضمن: أنها ستبقى متحلّية بالصبر وضبط النفس، لتبرأ نفسها مما يقال فيها من الإفك.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨ / ٤٧٥). وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨ / ٢٢٩)،

وإكمال إكمال المعلم (٩ / ٢١١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨ / ٤٧٥).

## ٧- لما نزل الوحي ببراءتها.

انتهت عائشة رضي الله عنها من جوابها، وما تحرك رسول الله ﷺ من مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد؛ حتى أنزل الله ﻋَزَّوَجَلَّ على نبيه ﷺ الوحي ببراءتها؛ فسُرِّي عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري -يا عائشة-، أما الله ﻋَزَّوَجَلَّ فقد برأك»<sup>(١)</sup>. أنها صورةٌ من أفضل صور الفرج والفرح: فالبراءة ثبتت، والتهمة اضمحلت، والكربة زالت، والله سبحانه هو الذي برأها بقرآن يتلى إلى يوم الدين، والرسول ﷺ هو الذي يبلغها بذلك وقد بلغ الفرح منه ببراءتها مبلغاً عظيماً، والوالدان يسمعان فيفرحان لابتئها أشدَّ الفرح، ولا تزال أم المؤمنين رضي الله عنها على ثباتها ورباطة جأشها وضبطها نفسها: فلم تفرح فرحاً يخرج بها عن الشرع أو العقل، بل أرجعت الفضل إلى الله وحده، وحمدته على أن أنزل براءتها، فقالت: «ولا أحمد إلا الله ﻋَزَّوَجَلَّ؛ هو الذي أنزل براءتي»<sup>(٢)</sup>.

## 📖 ثالثاً- المجتمع المسلم في المدينة:

كان بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعامة الصحابة رضي الله عنهم -ممن لم يتلقَّ الإفك أو يُشِغُه-؛ متجلدين بإيمانهم، ثابتين بيقينهم، ضابطين لأنفسهم طوال أحداث الإفك:

(١) في صحيح البخاري (٢٦٦١): يا عائشة؛ احدي لله فقد برأك الله.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٧/٨): «قال ابن الجوزي: إنما قالت ذلك إدلالاً كما يدل الحبيب على حبيبه. وقيل: أشارت إلى إفراد الله تعالى بقولها: "فهو الذي أنزل براءتي" فناسب إفراده بالحمد في الحال، ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك. ويحتمل أن تمسكت بظاهر قوله ﷺ لها: "احدي الله" ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد، فقالت ذلك».

## ١- لما تحدث المنافقون بالإفك:

\* لم يبادر أحدٌ منهم إلى عائشة رضي الله عنها فيخبرها بخبر الإفك، فضلاً عن أن يتهموها أو يتناولوها في حضورها أو غيابها بكلامٍ لا يسرّ، بل كانوا في أنفسهم يعلمون براءتها من الإفك وكذب المنافقين فيه، بل بلغ بهم ضبط النفس متنهاه في قصة أبي أيوب مع زوجته رضي الله عنها حين عقد مقارنة بين زوجها وعائشة رضي الله عنها مفضلاً عائشة على زوجها، وهذا من أعلى ما يكون في ضبط النفس.

\* كما أنهم لم يتهموا صفوان بن المعطل، ولا تعرّضوا له بسوء من قول أو فعل، بل إنهم يعلمون براءته كما يعلمون براءة عائشة رضي الله عنها.

\* ولا شك أنهم كان يغيظهم هذا الإفك اختلاقاً وإشاعةً من قبل المنافقين، ولكنهم رضي الله عنهم لم يُذكر عنهم أنهم ابتدروا لأذية منافق، أو قاموا بردة فعلٍ معاكسة تجاه أحدٍ منهم، بل كانوا يוכלون الأمر لأهله، ولا يحيدون عن فعل النبي ﷺ الذي هو أشدُّ من تأدّي بالإفك، فهم يرونه متأنياً، يتحقق مما يقال، ويضع الأمور في مواضعها الصحيحة، ولا يظهر عليه الغضب، فتمثّلوا فعله.

٢- لما تكلم بعض الصحابة رضي الله عنهم بالإفك.

\* لم يتكلّم أحدٌ من صحابة رسول ﷺ -ومنهم بيت أبي بكر الصديق- في إخوانهم من أهل الإيمان ممن وقع في تلقّي الإفك أو إشاعته، ولم يتعرّضوا لهم بإيذاء وهجران، بل التزموا تجاههم الصمت وعدم التشهير.

\* وكان ممن تكلم في الإفك -من الصحابة-: مسطح بن أثاثه رضي الله عنه، وهو قريبٌ لأبي بكر رضي الله عنه، وكان أبو بكر ينفق عليه، فلم يقطع عنه النفقة بسبب خوضه في الإفك، ثم لما نزل الوحي ببراءة عائشة رضي الله عنها قال: «والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال»، ف«يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه

موجوداً؛ لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقيق ذنبه فيها وقع منه<sup>(١)</sup>، ثم أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] أعاد أبو بكر النفقة على مسطح وقال: «والله لا أنزعها منه أبداً»، فما أعظم ضبطه نفسه تجاه من تكلم في عرض ابنته قبل ظهور البراءة وبعدها!

### ٣- حين علمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بخبر الإفك.

\* كانت أم رومان رضي الله عنها ترى شدة الأذى والحزن الذي ألمَّ بابنتها وهي تسألها عما يتحدث الناس به في شأنها، والأم أحياناً يبلغ الهم بها أكثر من ولدها المبتلى، فكان فؤادها يعتصر ألماً مما ترى على ابنتها من أثر الغم الذي على محياها مما بلغها من الإفك، ومع ذلك تضبط نفسها، فلا تظهر الجزع فتزيد ألم ابنتها، ولا تغضب، بل تتمثل السكينة وتعامل مع الموقف بتؤدة وحلم وتأن، وترد على سؤال ابنتها ردّاً منطقيّاً يطفئ لهب الإفك الذي أحرق فؤادها، فتقول لها: «يا بنية، هوني عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها».

\* وأبو بكر الصديق رضي الله عنه في أعلى البيت يقرأ القرآن الكريم، ويسمع كلاماً يدور بين اثنتين، فيستفهم من زوجه أم رومان، فتقول له: إنها عائشة، فيقول لها: ما شأنها؟ فتقول: بلغها الذي ذكر من شأنها، فيبكي متألماً من ألمها، ولكنه يضبط نفسه أمام ابنته، ويشير عليها بما هو في صالحها، فيقسم عليها أن ترجع لبيتها، فتفعل رضي الله عنها<sup>(٢)</sup>.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٧) معلقاً بصيغة الجزم، والترمذي في الجامع (٣١٨٠)، والذهبي في تاريخه (٢/٢٧١) - وعنده أمر أبي بكر لها بالرجوع إلى البيت، من غير قسم -، من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. قال الذهبي (٢/٢٧٢): "هذا حديث عال حسن الإسناد" اهـ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨٠).

\* ولم يقم أحد من الصحابة البتة بزيارة عائشة رضي الله عنها أو الكلام معها بما يؤجج نفسها أو يزيد حسرتها، بل زارها إحدى الصحابيات لتؤنسها وتؤازرها، وذلك مما يعينها على ما كانت عليه من ضبط النفس.

#### ٤- لما سأل النبي ﷺ بعض الصحابة رضي الله عنهم في أمر عائشة رضي الله عنها.

\* تجلّت في الصحابين الجليلين علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما جملةً من أكمل معاني ضبط النفس وهما يُستشاران من النبي ﷺ في فراق زوجته عائشة رضي الله عنها، وإنه لموقف عصيب: فالمستشير هو النبي ﷺ الذي يفديانه بالنفس ويكنّان له العاطفة الجياشة المفرطة في الحب والولاء، والمستشار عنه: أحب النساء إليه الطاهرة الشريفة، والمستشار فيه: فراق أحب الخلق إليهم (النبي ﷺ) لأحب النساء إليه (زوجه عائشة رضي الله عنها)، ومع ذلك كله تحلّياً بضبط النفس: فلم تغلبها العاطفة المحضة، بل أخلصا في النصيح، وأبديا الرأي الصادق الذي يريانه صواباً دون مداراة أو مداهنة، وكان ردهما ردّاً منطقياً: فأسامة أشار بإبقاء عائشة رضي الله عنها بما يعلمه من حالها من الخير والصلاح والتقى، وبما لها من الود في نفس النبي ﷺ، وعليّ أشار بما يريح به جانب النبي ﷺ مع إشارته بسؤال الجارية التي يعلم أنها ستذكر للنبي ﷺ من حال عائشة ما يسره. وإنهما لريان يثبتان عمق ضبط النفس، وعدم الغضب، والرد المنطقي.

\* كذلك حين نظر في حال الجارية بريرة رضي الله عنها وهي تُسأل عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ؛ فإنها لم تهيج أو تتردد في بيان الحق الذي تراه، وجاء جواباً رصيناً محكماً بليغاً كافياً شافياً، وهذا يدل على ما كانت تتحلّى به من شدّة ضبطها لنفسها وعدم غضبها وردّها المنطقي، مما نتج عنه معنى سامٍ من معاني ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي.



٥- لما كان أبو بكر وأم رومان يسمعان سؤال النبي ﷺ لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وجوابها له، ويريان نزول الوحي عليه.

\* رأى الأبوان اللذان شاركا ابنتهما أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ألمها الشديد منذ علمها بما قيل فيها من الإفك؛ رأيا الموقف العصيب الذي دهم ابنتهما وهي تُسأل من النبي ﷺ ذلك السؤال الذي اشتمل على احتمالين: الإعلام بالبراءة أو الإقرار بالإمام بالذنب، فلم تأخذهما عاطفة الأبوة تجاه ابنتهما فيعترضان على هذا السؤال، فضلاً عن أن يغضبا من ذلك، بل رَضِيَا بما يُرضي الله ورسوله، كما أنها لم يبادرا إلى إجابة النبي ﷺ عن ابنتهما، بل تركا الجواب لها، فكانت تلك صورة صادقة من صور ضبط النفس في مثل هذا الموقف.

\* وعندما طلبت أم المؤمنين من والديها أن يجيبا عنها رسول الله ﷺ؛ اتفقا على موقف واحد، وهو أن كل واحد منهما قال: «والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ»، فكان ردّهما منطقيّاً ناتجاً عن كمال ضبط النفس وعدم الغضب، فلم تأخذهما عاطفة الأبوة فيزكيا ابنتهما مع أنها يعلمان براءتها علم اليقين، بل إنها لقوة اتّباعها نبي الله ﷺ أجابا بما يطابق السؤال في المعنى، لأنها -وإن كانا يتحققان براءتها- كرها أن يزكيا ابنتهما<sup>(١)</sup>، كما أنها لكمال تأدّبهما بآداب الوحي أقرّا بأن الأمر الذي سألها عنه النبي ﷺ لا يقفان منه على شيء زائد على ما عند رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها وإيكال السرائر إلى الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

\* وسمعا جواب ابنتهما البليغ الحكيم، الممتلئ إشراقاً بإعلان البراءة، وحزناً بما تعانیه من ألم؛ فلم يستعجلا بفعل ولا كلام، ولا بادرا بإعلان فرحتهما بما تضمنه جواب ابنتهما من إعلان البراءة ولا بإظهار حزنهما على ما اشتمل عليه من ألم، بل ثبّتا

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٥)

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ١١١).

على ما كانا عليه من ضبط النفس وترقباً ماذا يكون من النبي ﷺ.

\* وبلغ الكرب أقصاه عند أبي بكر الصديق وأم رومان رضي الله عنهما عندما غشا النبي ﷺ ما يغشاه عند نزول الوحي عليه، فتصف أم المؤمنين حالهما فتقول: «وأما أبو أي فوالذي نفس عائشة بيده ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس»<sup>(١)</sup>، فمع ترقبهما ما ينزل به الوحي لزما الصمت والسكينة، ولم يستعجلا بسؤال رسول الله ﷺ عما نزل به الوحي، بل انتظرا بضبط نفسٍ حتى أخبرهم رسول الله ﷺ بما أنزله الله عليه من الوحي.

٦- لما نزلت البشرى بترثة الله لعائشة رضي الله عنها أمامهم.

\* بَشَّرَ النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها بترثة الله لها، فأشارت عليها أمها بأن تقوم إليه لتحمده، وهذه الإشارة تدل على رشدٍ وعقل، فإن الغضب أو فرط الفرح لا يتأتى معهما غالباً مثل هذه المشورة الموفقة، وهذا يبين ضبط النفس الذي تحلّت به تلك الأم المتزنة الحصيفة.

\* وقَبَّلَ أبو بكر رضي الله عنه رأس ابنته، فقالت له: «ألا عذرتني؟»، فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت ما لا أعلم؟»<sup>(٢)</sup>، فكان رده منطقياً يدل على كمال ضبط

(١) أخرجه محمد بن إسحاق في سيرته (٢/ ٣٠٢ - ابن هشام) - ومن طريقه: الطبري في تاريخه

(٢/ ١١٤) -، والواقدي في المغازي (٢/ ٤٣٣)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة

رضي الله عنها، ومن حديث غيره. وصحح إسناده الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٢٤).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٢٦٦٥ - كشف الأستار)، والطبري وأبو عوانة - كما في فتح الباري

شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٧) -، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢/ ٢٦٠)، من

حديث مجاهد عن عائشة رضي الله عنها أنه لما نزل عذرها قبل أبو بكر رأسها فقالت... فذكره. قال

الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٠): "رجاله رجال الصحيح" اهـ، وصحح إسناده: السيوطي

في الدر المنثور (١٠/ ٦٩٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٢٨).

النفس؛ إذ تضمن: إظهار عذره، وبيان كمال وقوفه عند حكم الله ورسوله وعدم التقدم عليه، ولو كان من أجل البنت الصالحة التي يتيقن براءتها.

لقد كان ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي من أعظم الآثار النفسية التي بلغ فيها الصحابة رضي الله عنهم مبلغاً عظيماً - مع شدة حادثة الإفك على نفوسهم -، فلم يذكر عنهم غضب مفرط أدى إلى مقالة هوجاء، بل كانت تلك النفوس الطيبة متعلقة بأداب القرآن والسنة، فقد تأثروا بما كانوا يرونه من تطبيق عملي من قدوتهم وأسوتهم رسول الله ﷺ الذي كان أضبط البشر نفساً، وأكملهم رداً منطقياً، والمواقف التي مرَّ بها في حادثة الإفك مضيئة ناصعة ناطقة بذلك، وكذلك الشأن في زوجه عائشة رضي الله عنها التي كانت في ضبطها لنفسها وفي ردّها مضرب المثل، ولا غرو!، فهي ربيبة البيت الطاهر، فقد تمثل أبواها مع فتنة الإفك أعظم معاني ضبط النفس.

هكذا كانت صور ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي في حادثة الإفك، وهي صور جليلة القدر، رفيعة الشأن، مملوءة عبراً وفوائد يستضيء الداعية في دعوته، فمنها:

١- تحصيل هذه الصفات (ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي) له أسباب اتضحت من خلال حادثة الإفك، ومنها:

\* الإيمان والعلم.

\* التربية الإيمانية على نصوص القرآن والسنة.

\* الاقتداء بالنبي ﷺ في أحواله كلها، وكذلك الاقتداء بصحابته رضي الله عنهم.

فينبغي على الداعية أن يبذل جهده في تحصيلها؛ ليكتسب تلك الصفات العالية الشريفة.

٢- أبرزت حادثة الإفك أن هذه الصفات مطلب مهم للمسلم على وجه العموم، ومتأكدة في حق الدعاة على وجه الخصوص، لما يأتي:

\* لأن الدعاة إلى الله تعالى يحملون رسالة الأنبياء ﷺ، والأنبياء كانوا على أكمل خصال، فكذلك الدعاة يجب أن يحرصوا على امتثال صفاتهم.

\* ولأن الدعاة إلى الله تعالى قد يجدون من المدعوين منازعةً أو سباً أو شتماً أو قذفاً، وهذا يستدعي منهم ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي.

\* ولأن من لم يتصف بها وقع فيها لا تحمد عقباه، وجنى على الدعوة إلى الله تعالى وعلى من ينتسب إليها، فضلاً عن جنائته على نفسه.

٣- لم تفارق هذه الصفات النبي ﷺ وزوجه عائشة رضي الله عنها وأبوها وكافة الصحابة رضي الله عنهم -ممن لم يتلق الإفك أو يُشعّه- منذ بدء الإفك وحتى نزول براءة عائشة رضي الله عنها، فما من موقف من مواقف الحادثة إلا وتظهر فيه هذه الصفات كلها أو بعضها واضحة جلية، وهذا يجعل الداعية يهذب نفسه ويربّيها على لزوم هذه الصفات في أحواله كلها: في الغضب والرضا، والفرح والحزن، والغم والأمل، والنصر والهزيمة، ومع الموافق والمخالف، والحبيب والعدو، والقريب والبعيد.

٤- صدرت هذه الصفات من كافة الأطراف المؤمنة المعنية في حادثة الإفك (النبي ﷺ وزوجه عائشة رضي الله عنها وأبوها وكافة الصحابة رضي الله عنهم -ممن لم يتلق الإفك أو يُشعّه-)، مما يوجب على الداعية أن يكون متصفاً بها مهما كان دوره في الحياة: أباً وزوجاً وقريباً ومُشيراً وتابِعاً لغيره وجاراً ومعلماً ومسلماً من آحاد المسلمين.

٥- لهذه الصفات دلائل وعلامات تدل عليها، ينبغي على الداعية معرفتها ليزن نفسه ويُقوّم شخصيته، فمتى وُجدت فيه عرف أنه ممن أنعم الله عليه بتلك الصفات فيحمده سبحانه ويثبت عليها، وإن كانت مفقودة لديه استرجع وأدرك ما نقص عنه من الخير واجتهد في تحصيلها والاتصاف بها، ومنها:

\* مشاورة الرجل بطأته فيما فيه مصلحته.



- \* الأخذ بالرأي السديد عند الاستشارة.
- \* عدم المداهنة والمدارة في حال الاستشارة في حق المحبوب وغيره.
- \* السكون والتأني والوقار في طرح السؤال أو عند الاستفسار عن أمر مؤلم للنفس.
- \* الاتزان في طريقة السؤال.
- \* جميل أدب العبارة.
- \* تضمين النصيح والإرشاد في ثنايا السؤال.
- \* اختيار اللفظة المناسبة في الوقت والمكان المناسب.
- \* الاستئذان ممن له الحق أن يلتمس منه الإذن.
- \* التحري في تقصي الحقائق.
- \* حفظ القلب عن الغل والحقد والبغض، وحفظ الجوارح عن الجزع والتسخط والغضب، وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب.
- \* ذكر الماضي الحسن دفاعاً عن المخطئ، والتذكير به عند اتهامه.
- \* حمل الناس على المحمل والظن الحسن.
- \* التسبيح عند نزول المصائب والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى والاعتصام به.
- \* إحالة الجواب للأقارب الكبار عند سؤاله عما ابتلي به.
- \* عدم الخضوع للأراجيف والفتن.
- \* عدم التنازل عن الحق الذي يعرفه في نفسه، بل يثبت عليه، ويضحى من أجله.
- \* عدم التواني عن العفو والصفح متى وجد إليه سبيلاً، بل يكون هو الذي يبادر إليه.
- \* وجود الأدلة والقرائن القويّة التي تثبت سلامة الاستدلال وقوة الحجة.

## المبحث الثالث

### الأثر النفسي على الداعية من شدة البلاء

خلق الله سبحانه الإنسان في هذه الحياة الدنيا في كِبَدٍ وشِدَّةٍ ومشقةٍ وعناء، يكابد مضائقها ومصائبها ومصاعبها وشدائدها، بدءًا من حمله في بطن أمه، ثم خروجه إلى هذه الحياة، وما يتبع ذلك في أمور حياته وشئونها وأطوارها<sup>(١)</sup>، فهو لا يزال في ذلك قضاءً قضاءه الله عليه، وقضاء الله نافذٌ لا يُردُّ، وله سبحانه الحكمة البالغة.

والمؤمن شرفه الله بالإيمان به سبحانه وبما أنزله من الوحي في كتابه وسنة رسوله ﷺ، فيعلم ويوقن بأن هذه الحياة الدنيا ليست دار بقاء ولا مقرّ نعيم، وإنما هي معبرٌ وجسرٌ إلى الآخرة الباقية الخالدة، وأن ما يصيبه فيها من شدة وبلاء فهو من قضاء الله وقدره، وأن الله «إذا أحب قوما ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»<sup>(٢)</sup>، وأنه ما يصيبه «من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»<sup>(٣)</sup>، فيورثه ذلك صبرًا على البلاء مهما كانت شدته: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٤٠٨-٤١٠)، تفسير القرآن العظيم (٨/٤٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع (٤/٦٠١) رقم: (٢٣٩٦)، وابن ماجه في السنن (٢/١٣٣٨) رقم:

(٤٠٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٠٧).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣١٧)، ومسلم (٢٥٧٢).

وإذا كان «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل»<sup>(١)</sup>؛ فإن أفضل الأنبياء والرسل وأشرفهم وأحبّهم إلى الله ﷺ: نبينا محمد ﷺ، وقد ابتلي في الله أشدّ البلاء، فعاداه مَنْ هو من أقرب الناس له (عمه أبو لهب)، ورماه قومه عن قوسٍ واحدة، واتهموه بأبشع الأوصاف من الجنون والسحر والكهانة، وأوذى في جسده، وفقد زوجته خديجة بنت خويلد التي آمنت به وآزرتة، ورأى بعض خيرة صحابته يُقتلون من أجل دينهم؛ مما اضطرهم للهجرة ومفارقة الأهل والأموال والوطن إلى الحبشة أو المدينة (يثرب)، واجتمع قومه على الغدر به وقتله غيلة، فخرج من وطنه مكة مهاجرًا إلى المدينة، إلى غير ذلك من صنوف البلاء في النفس والمال والأهل والولد والقريب والحبيب والصاحب، وكان من أشدّ ما وجد من البلاء: ما افتراه أهل النفاق من الإفك في زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، الذي كان بلاءً عامًّا شمل المجتمع المدني المؤمن بأسره.

وعند النظر في حادثة الإفك نرى:

(١) أن الأثر النفسي فيها كان بارزًا في جميع أحداثها ووقائعها المختلفة مع مختلف الشخصيات التي أُصيبت بهذا البلاء، لكن البلاء كان أشدّ ما يكون على: النبي ﷺ وزوجه عائشة رضي الله عنها.

(٢) كما نرى أن الأثر النفسي كان يختلف من موقفٍ لآخر بحسب ما ينتج عن ذلك الموقف أو يقتضيه.

(٣) وإضافة إلى ذلك: كان الأثر النفسي -غالبًا- على نوعين وهما:

١- الأثر الذي يحدث في النفس نتيجةً لشدة البلاء، كالغم والحزن ونحو ذلك.

(١) أخرجه الترمذي في الجامع (٤/٦٠١) رقم: (٢٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٠٢).

٢- الأثر النفسي الذي يكتسبه أو يتحلّى به من أُصيب بالبلاء، ويجعله في مقابلة ذلك الأثر النفسي الناتج عن البلاء، كالثقة بالله وحسن الظن به ونحو ذلك. وهذا يجعلنا نذكر الأثر النفسي في حادثة الإفك مُراعين في ذلك الجوانب الثلاثة السابقة كلها:

\* جانب من تعرض للبلاء.

\* وجانب الموقف الذي برز فيه الأثر النفسي.

\* وجانب نوع الأثر النفسي الناتج عن شدة البلاء، والأثر النفسي الذي جُعل مقابلًا له.

وذلك كما يأتي:

📖 أولاً- الأثر النفسي على النبي ﷺ من خلال المواقف المختلفة في حادثة الإفك.

١- اختلاق الإفك في زوجه عائشة رضي الله عنها من المنافقين.

النبي ﷺ هو أكمل البشر وأفضلهم وأعلاهم خلقًا، ومن كمال خلقه: شدة غيرته على محارمه وعرضه، فعندما قال له سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه: لو رأيتُ رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، قال ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد؟، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني»<sup>(١)</sup>، وصاحب الغيرة الشديدة المحمود لا يطيق البتة أن يُطعن أو يُتهم في عرضه وشرفه ومحارمه، فضلًا عن أن يكون في محارمه ما يسوء من الفحش، وقد عصم الله أنبياءه ورسله من أن تقع أزواجهم فيما يندس الشرف من البغاء، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما بغت زوجة نبي قط، ولا ابتلي الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- في

(١) متفق عليه.



نسائهم بهذا»<sup>(١)</sup>.

وفي حادثة الإفك ابتلي النبي ﷺ ببلاء شديد لم يُبتَلْ به من قبل، فقد اختلق المنافقون الإفك في عرضه الشريف، واتهموه في زوجه عائشة رضي الله عنها، ومن المعلوم أن «رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى، والتي رُميت زوجته»<sup>(٢)</sup>.

وكان الأثر النفسي على النبي ﷺ من شدة هذا البلاء ظاهرًا، ويبرز ذلك من خلال حادثة لها مدلولها العظيم في هذا الجانب، وهو: ما جاء في:

أ- قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بداية سردها لأحداث قصة الإفك: «وهو يربيني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: "كيف تيكُم؟"، ثم ينصرف».

ب- وفي قولها رضي الله عنها في أواخر سردها لأحداث قصة الإفك: «فبينما نحن على ذلك؛ إذ دخل علينا رسول الله ﷺ؛ فسَلَّمَ، ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل قبلها».

ففي هذين القولين: تحكي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن تعامل النبي ﷺ معها بعد أن اختلق الإفك وأشيع، فتذكر أنه ﷺ لم يكن يجلس عندها، وإنما كان يسَلِّم ويسأل عن حالها بجملة مقتضبة فيقول: «كيف تيكُم؟» ثم ينصرف، وأنها لم تكن تجد منه اللطف الذي كانت تجده في سابق ما تعهده منه عندما تكون مريضة.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان يحب زوجه عائشة رضي الله عنها محبة شديدة، حتى أنها كانت أحب النساء إليه<sup>(٣)</sup>، وفي سيرته العطرة مواقف كثيرة جدًا تجمعها بها رضي الله عنها فيها

(١) المحرر الوجيز (٣٤٨/٨).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٦٣/٣).

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تجود بروحها: «يا أماه؛ أبشري؛ فوالله ما بينك وبين أن تلقي محمدًا ﷺ والأحبة إلا أن تفارق روحك جسدك! كنت أحب نساء

المحبة والمودة والعطف واللفظ والمزاح والدعابة، لكنه ﷺ بعد أن اختلق الإفك لم تكن حاله مع زوجته أحب النساء إليه كما كانت قبل ذلك، حتى أنها قد لحظت ذلك وتنبهت له دون أن تعرف سببه، وهذا يدل على ما أحدثه الإفك في نفس النبي ﷺ من أثر عميق بالغ، فمن يطبق أن يسمع في محارمه العفيفات قالة سيئة شهراً كاملاً؟، فضلاً عن أن تكون تلك القالة قد أفك بها على زوجته التي لا يعلم عنها إلا الخير والعفاف والطهر؟، إن هذا إن قيل في عرض رجل شريف لتقطع قلبه كمداً وألماً من هول ما يسمع، فكيف والمقول فيه هذا الإفك هو عرض رسول الله ﷺ؟.

وهذا الأثر الشديد في نفس النبي ﷺ من شدة ابتلائه بالإفك الذي رُمي به عرضُه -والذي نتجت عنه تلك المعاملة مع أحب أزواجه إليه-؛ قابله ﷺ بآثار نفسية عظيمة هي محض الإيمان وتطبيق شعائر الدين وكمال الثقة بالله والتوكل عليه، واليقين في نصره وفرجه سبحانه، فقد كان صابراً محتسباً راضياً بقضاء الله وقدره، ثابت الجنان، متحلياً بالطمأنينة والهدوء والسكينة وسعة الصدر والحلم والأناة والوقار، يعامل زوجه بعدل فلا يظلمها قبل أن يأتيه علم اليقين.

٢- انقطاع الوحي، واستشارته ﷺ علياً وأسامه رضي الله عنهما، وسؤاله الجارية، والشهادة منه لأم المؤمنين عائشة وصفوان رضي الله عنهما بالخير.

\* مضى شهرٌ كاملٌ والنبي ﷺ لم يوح إليه بشيء في شأن الإفك الذي رُمي به عرضُه الشريف، وهذا من البلاء الشديد الذي ابتلي به أعظم الخلق في هذه الحادثة، فإن

---

رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن يجب رسول الله ﷺ إلا طيبة. أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٢٠، ٢٧٦، ٣٤٩)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤١ - إحسان) -واللفظ له-، والحاكم في مستدركه (٤/ ٨)، وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٥٦)، من حديث ابن أبي مليكة عن ذكوان. وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان (١٦/ ٤٢)، ومسنده الإمام أحمد (٣/ ٣٠٩، ٥/ ٣٨٩).

انقطاع الوحي من البلاء الشديد الذي كان له الأثر النفسي البالغ لدى النبي ﷺ، وذلك «أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة، حيث جعل الوحي متتابعاً عليه، ولم يقطعه عنه؛ ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقاً ليكون ذلك في أبلغ العناية والإكرام»<sup>(١)</sup>، فكيف وانقطاع الوحي جاء في وقت أفك فيه على عرضه ﷺ فكان يترقب الوحي من الله في شأنه؟.

وهذا الأثر الذي أحدثه انقطاع الوحي في نفس النبي ﷺ؛ قابله ﷺ بأمرٍ له الأثر النفسي البالغ الذي قد يذهب شيئاً من حرارة أثر انقطاع الوحي أو يُطفئه، وهو: استشارته ﷺ اثنين من صحابته (علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما)، فإن المشورة لها أثر طيب مبارك في الاستقرار النفسي لدى طالبها، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

\* واستشارته ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما تدل أيضاً على الأثر النفسي من شدة البلاء؛ فإن النبي ﷺ - وإن كان يعلم أو يظن الظن المقارب للعلم ببراءة زوجه عائشة<sup>(٢)</sup>، ولها في قلبه من الود والمحبة الشيء العظيم - إلا أنه شاور صاحبيه في فراقها، وذلك يبين ما كان في نفسه ﷺ من همٍّ يشغله، وتفكيرٍ يلازمه، ف يريد حسمه ولو من خلال طلب المشورة في فراق زوجه الحبيبة إليه.

وهذا الأثر في نفس النبي ﷺ؛ قابله ﷺ بأثرٍ نفسيٍّ عظيم؛ هو: التفكير السديد بأنارة وروية فيما أشار به كل من أسامة وعلي رضي الله عنهما، ثم زاد هذا الأثر عمقاً بقبول مشورة علي رضي الله عنه في سؤال الجارية.

\* وسؤاله ﷺ الجارية فيه دلالة ظاهرة على وجود أثر نفسيٍّ جديد من شدة

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢).

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٦٣).

البلاء؛ وهو: عدمُ اكتفاءِ النفسِ الاكتفاءَ التامَّ بنتيجة المشورة، وطلبُها زيادةَ العلم واليقين من طرفٍ آخر لم يكن موجودًا وقت الاستشارة الأولى.

وهذا الأثر النفسي قابله النبي ﷺ بأثرٍ نفسيٍّ يقضي عليه وعلى ما كان قبله، وهو: الوصول إلى نتيجة مُحْكَمَة لموضوع الاستشارة، وهي: قوة استشعار اليقين ببراءة عائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنهما، فقام على المنبر ليُعلن ذلك.

\* وخطبته ﷺ على المنبر جاء فيها التصريح بخُلَاصَة هذا المبحث ودليله، وهو: تصريح النبي ﷺ بما كان يجده من الأذى النفسي من شدة البلاء بالإفك، فإنه استعذر حينئذ من عبد الله بن أبي بن سلول، وقال -وهو على المنبر-: «يا معشر المسلمين؛ مَنْ يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهل بيتي؟، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي».

\* وطلبه ﷺ العذرَ من صحابته إذ أراد أن يعاقب من تكلم بالإفك؛ فيه دلالة على أثر نفسيٍّ من شدة البلاء؛ فإن النبي ﷺ هو وليُّ الأمر، وصحابته رضي الله عنهم يحبونه أكثر من أنفسهم وأولادهم وأهلهم وأموالهم، ويفقدونه بجميع ذلك، ومع ذلك استعذَّروهم، ففيه استشعار النفسِ خطورة ما أحدثه الإفك في النفوس.

وهذا الأثر النفسي قابله النبي ﷺ بأثرٍ نفسيٍّ آخر يُذهبه ويقضي عليه، وهو: طلب النفسِ استشعارَ السيطرة التامة على الأمر، وكمالِ التمكن من الفعل، وضمانِ ما ينتج عنه في الحال والمستقبل، عن طريق الجهة نفسيها التي تولد عنها الأثر النفسي المراد القضاء عليه، وذلك من خلال: طلبه ﷺ اجتماعَ واتِّفاقَ المجتمع نفسه الذي أشاع المنافقون فيه الإفك مما تسبَّب في شيء من اختلاف النفوس؛ عن طريق اتفاقهم على إعداره ﷺ لو عاقب أحدًا من أهل الإفك.



٣- نزول الوحي عليه ﷺ ببراءة زوجته عائشة رضي الله عنها وتهنئته لها بذلك.

نزل الوحي على رسول الله ﷺ ببراءة زوجته عائشة رضي الله عنها، فكان النصر بعد الصبر، والفرج بعد الشدة، وكان الأثر النفسي في هذا الموقف مختلفاً تمام الاختلاف عن الآثار النفسية التي كانت في المواقف السابقة، ففي هذا الموقف أثر يُهيج النفس، ويشرح الصدر، ويسرُّ الفؤاد، اجتمع فيه الفرح: بنزول الوحي بعد انقطاع دام شهراً كاملاً -وحي الله هو الروح والحياة-، وبانتهاء البلاء الشديد الذي لم يسبق له مثيل في حياته ﷺ، وببراءة زوجه الحبيبة الطاهرة، وباجتماع كلمة المسلمين على تبرئة عائشة وصفوان رضي الله عنهما، وبدخُر المنافقين وانكشاف أمرهم وسقوط مكرهم وكيدهم.

فكان هذا الأثر النفسي الذي يعقب انتهاء البلاء وارتفاعه أجمل خاتمة لهذه الحادثة المؤلمة شديدة البلاء.

وظهر هذا الأثر النفسي جلياً فيما فعله النبي ﷺ بعد أن سُري عنه:

\* فقد كان أول شيء فعله: الضحك الذي له الأثر البالغ في إدخال السرور والبهجة والتفاؤل في نفس الطرف المقابل، ويكون نِعَم التمهيد والتوطئة لها لاستقبال ما بعده مما يسر، ورحمة منه بها لترتاح نفسها من الغم والسهر والبكاء، بل ورد في بعض روايات الحديث: قول عائشة: «فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك حتى إني لأنظر إلى نواجذه سروراً»<sup>(١)</sup>.

\* ثم أتبعه بالتبشير فقال: «أبشري»، والبشارة هي الإعلام بالخير، والخير في هذه الحادثة هو براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك الذي قيل فيها، فكان في هذه الكلمة تأثير نفسي عظيم في نفس عائشة رضي الله عنها التي كانت تنظر وترقب وتريد أن تعرف ما نزل به الوحي.

\* ثم ناداها باسمها فقال: «يا عائشة»، ولهذه الكلمة في هذا الوطن أثرٌ نفسيٌّ في غاية الأهمية، فقد ظلَّ ﷺ شهرًا كاملاً لا يناديها باسمها أمامها -وهي التي يحبُّها محبة شديدة- من شدة البلاء، ثم ها هو هنا يناديها باسمها، وذلك يُدخِلُ السرور إلى نفسها ويُنسيها ما كانت تعانيه من عدم سماع اسمها من فم رسول الله ﷺ يناديها.

\* ثم أبان وأفصح ﷺ عن مضمون البشارة فقال: «أما الله ﷻ فقد برأك»، فجمع في هذه الكلمة الموجزة أثرين نفسيين هما من أعظم المنن:

أما الأول: فهو تقديم اسم الله تبارك وتعالى؛ فهو سبحانه الذي فعل ذلك وأنزله وأوحى به، فله المنة وحده، وهذا له الأثر العظيم في النفس فرحاً بذلك.

وأما الثاني: فهو النص على البراءة المنزلة بالوحي، وهذا هو ما كانت النفس ترقِّبه طوال هذا البلاء الشديد.

فهذه الآثار النفسية العظيمة إنما كانت من نتاج ذلك الأثر الذي كان في نفس النبي ﷺ بعدما انتهى البلاء الشديد وارتفع.

📖 ثانياً- الأثر النفسي على عائشة رضي الله عنها من خلال المواقف المختلفة في حادثة الإفك.

#### ١- قبل حدوث الإفك:

كان أول ما وقع لأَم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من شدة البلاء في هذه الحادثة: ما قصَّته من أنها في أثناء نزول الجيش في إحدى مراحل رجوعه إلى المدينة، خرجت ليلاً من الجيش لقضاء حاجتها بعد أن أُذِن بالرحيل، وفي طريق عودتها إلى الجيش لم تجد عقدها في صدرها، فعادت تبحث عنه، ثم لم ترجع إلا والجيش قد فارق مكانه ولم تجد منهم أحداً، فقصدت مكانها الذي كانت فيه مع الجيش راجية أن يتنبَّهوا لعدم وجودها معهم فيرجعوا إليها في المكان الذي تركوها فيه، فغلبتها عينها فنامت، ثم تستيقظ على



استرجاع صفوان بن المعطل الذي كان متأخرًا عن الجيش فوجدها وهي نائمة فعرفها؛ لأنه كان يراها قبل نزول الحجاب، فما كان من أم المؤمنين إلا أنها بادرت إلى تخمير وجهها بجلبابها، فأناخ صفوان راحلته فركبتها أم المؤمنين، فانطلق يقودها حتى أتى بها الجيش في نحر الظهيرة، وهو منذ وجدها إلى أن وصلا الجيش لم يكلمها كلمة واحدة ولم تسمع منه إلا استرجاعه.

وقد كان هذا الموقف من البلاء الشديد:

فقد تفاجأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بذهاب الجيش، وبقائها وحدها في عراء مُفجع وليل مظلم، ولو كان في مكانها رجلٌ لأصابه الفَرْق والفرع والغم، وخاف من المكروه أن يصيبه في أي وقت، فكيف بامرأة في سن عائشة رضي الله عنها؟ وقد ذكرت ذلك الأثر النفسي في قولها: «فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت»، فالنوم سببه: «شدة الغم الذي حصل لها في تلك الحالة، ومن شأن الغم (وهو وقوع ما يكره) غلبة النوم، بخلاف الهم (وهو توقع ما يكره) فإنه يقتضي السهر»<sup>(١)</sup>.

وهذا الأثر النفسي قابلته عائشة رضي الله عنها بأثرين نفسيين مُضادّين له، وهما:

\* الأمل وترقّب الخير، وذلك من خلال أملها في أن يفقدها أحدٌ من الجيش فيعودوا إليها دون أن يصيبها مكروه أو أذى، ولذلك عادت إلى مكانها الذي تركوها فيه دون أن يشعروا؛ لعلهم يعودون إليه حين يعلمون بفقدها.

\* ثبات الفكر وحُسن التدبير، فكأنها تأملت في موقفها الصعب، ثم قرّرت أن من الأفضل لها أن تعود إلى مكانها بدلًا من أن تسير على غير هدى في هذا الليل المظلم فلا يكاد يعرف مكانها أحد.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٦١). وانظر: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري (٩/ ١٧٩).

## ٢- عندما علمت بأمر الإفك:

علمت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأمر الإفك من أم مسطح، فأصابها من ذلك بلاء شديد، ويدل على ذلك آثاره التي ذكرتها في قولها: «فازددت مرضاً إلى مرضي»، وفي رواية: «فذهب عني الذي خرجت له حتى ما أجد منه شيئاً»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «فأخذتها الحمى»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قليلاً فأطرح نفسي فيه»، وفي رواية: «فلما أخبرتني أخذتني الحمى وتقلص ما كان بي»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: «فأخبرتني قول أصحاب الإفك فقلص ذلك مني، وما قدرت على أن أذهب لحاجتي، وزادني مرضاً على مرضي، فما زلت أبكي ليلي ويومي»<sup>(٥)</sup>.

وفي هذه الروايات يظهر الأثر النفسي الذي أصابها رضي الله عنها من شدة البلاء الذي نزل بها، وهو:

- (١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١١٣١)، والطبري في تفسيره (٢١٠ / ١٧) - واللفظ له - ، من رواية ابن حاطب عن علقمة وغيره عن عائشة رضي الله عنها. وإسناده صحيح.
- (٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، من مرسل أبي صالح - كما في فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٦ / ٨) - .
- (٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٤ / ٢٣)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٠ / ٩): "فيه إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي؛ وهو كذاب" اهـ. ويغني عنه ما قبله وما بعده من الروايات في معناه.
- (٤) أخرجه محمد بن إسحاق في سيرته (٢٩٩ / ٢) - ابن هشام، ومن طريقه: الطبري في تاريخه (١١٣ / ٢)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، ومن حديث غيره. وصحح إسناده الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٢٤).
- (٥) أخرجه الواقدي في المغازي (٤٢٩ / ٢)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها. وإسناده ضعيف، وهو من رواية الواقدي وهو متروك! إلا أن هذه الرواية تؤيدها الروايات الصحيحة التي قبلها في معناها.



\* عمق الألم والحزن والأسى، مما زاد عليها مرضها الذي كانت قد نقهت منه، وأخذتها الحمى، وصارت تبكي ليل نهار.

\* وشدة الاندهاش بأن تُرمى بهذا الإفك وهي التي تعلم براءتها وكذب ما قيل فيها، حتى أنها لا تكاد تصدق أن ذلك قد قيل فيها، حتى أنها لم تتمكن من قضاء حاجتها، بل ذهب عنها ما كانت تجده من ذلك.

وهذا الأثر النفسي قابلته عائشة رضي الله عنها بأثرين نفسيين:

أولهما - الرضا بقضاء الله وقدره.

وثانيهما - التعقل والروية.

٣- عندما توثقت من أمها أم رومان رضي الله عنها عن أمر الإفك:

بعد أن تأكدت أم المؤمنين رضي الله عنها من والدتها أم رومان رضي الله عنها عن صحة خوض الناس فيها بالإفك؛ كان الأثر النفسي عليها أشد من الأثر الذي أصابها بعد أن سمعت الخبر من أم مسطح، وذلك أنه إذا كان خبر أم مسطح محتماً فإن الخبر من والدتها لا يحتمل الشك البتة، بل مما زاد عليها ذلك الأثر النفسي شدة أنها علمت بأن والدها أبا بكر الصديق رضي الله عنه وزوجها رسول الله ﷺ يعلمان عن ذلك.

وقد جاءت الروايات مبيّنة ذلك، فتقول عائشة رضي الله عنها: «بكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت»، وفي رواية: «وبكيت يومي ذلك كله؛ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة؛ لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم!، وأبوأي يظنان أن البكاء فالق كبدي»، وفي رواية: «واستعبرت وبكيت»<sup>(١)</sup>، وفي

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٧) معلقاً بصيغة الجزم، والترمذي في الجامع (٣١٨٠)، من حديث هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨٠).

رواية: «فَأَخَذَتْ أُمِّي كُلَّ ثَوْبٍ فِي الْبَيْتِ فَأَلْقَتْهُ عَلَيَّ»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «فَخَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا فَمَا أَفَاقَتْ إِلَّا وَعَلَيْهَا حُمَى بِنَافِضٍ، فَطَرَحْتُ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا فَنَظَّيْتُهَا»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟»، قالت: نعم»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «فَقُلْتُ: وَقَدْ عَلِمَ بِهِ أَبِي؟»، قالت: نعم، قلت: ورسول الله؟، قالت: نعم، ورسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: «فَقُلْتُ لَأُمِّي: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ!، تَحَدَّثْ بِنَا تَحَدَّثُوا بِهِ وَلَا تَذْكُرِينَ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؟»<sup>(٥)</sup>، وفي رواية: «وَرَجَعْتُ عَلَى أَبِيي -أَبِي بَكْرٍ وَأُمُّ رُومَانَ- فَقُلْتُ: أَمَا اتَّقَيْتُمَا اللَّهَ فِيَّ وَمَا وَصَلْتُمَا رَحْمِي؟! قَالَ النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي قَالَ وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِالَّذِي تَحَدَّثُوا بِهِ وَلَمْ تُعْلِمَانِيهِ فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١٨/٢٣)، من حديث الأسود عن عائشة رضي الله عنها. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٣١): "فيه أبو سعد البقال؛ وهو ضعيف، وقد وثق" اهـ. ويغني عنه رواية البخاري التي بعده في معناه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٨٨، ٤١٤٣)، من حديث أم رومان (وهي أم عائشة رضي الله عنها).  
(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٢٩٦) - وهو في تفسيره (٣٨٠) -، والطبري في تفسيره (١٧/٢٠٠)، من رواية محمد بن ثور عن معمر عن الزهري، وإسناده صحيح.  
(٤) أخرجه البخاري (٤٧٥٧) معلقاً بصيغة الجزم، والترمذي في الجامع (٣١٨٠)، والذهبي في تاريخه (٢/٢٧١)، من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. قال الذهبي (٢/٢٧٢): "هذا حديث عال حسن الإسناد" اهـ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨٠).

(٥) أخرجه محمد بن إسحاق في سيرته (٢/٢٩٩ - ابن هشام) - ومن طريقه: الطبري في تاريخه (٢/١١٣) -، والواقدي في المغازي (٢/٤٢٩)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، ومن حديث غيره. وصحح إسناده الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص ٢٢٤).

(٦) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١١٣١)، والطبري في تفسيره (١٧/٢١٠) - واللفظ له -، من رواية ابن حاطب عن علقمة وغيره عن عائشة رضي الله عنها. وإسناده صحيح.



فأبانت هذه الروايات الأثر النفسي الذي أصاب أم المؤمنين من ذلك، فقد أخذ بمجامع نفسها وفؤادها وفكرها: فأصابتها الحمى الشديدة، وغُشي عليها، وبقيت ليلتين لا يتوقف دمعا ولا تنام عينها حتى خاف عليها والداها من كثرة بكائها وشدته، فاجتمعت في هذا الأثر النفسي معاني الأسى والحزن والألم والغم والدهشة والاستغراب.

وهذا الأثر النفسي لشدته وقوته ووقوعه على عائشة رضي الله عنها موقعا عظيما؛ قابلته رضي الله عنها بأثر نفسيٍّ يُخَفِّف من حدّته وحرارته وقوّته، وهو: التنفيس عن الغم والألم وإخراج ألم النفس الداخلي بأمرٍ خارجي كالبكاء والسهر، دون تسخُّطٍ ولا جزعٍ ولا اعتراضٍ على القضاء والقدر، بل مع صبرٍ واحتسابٍ.

#### ٤ - لما استشار النبي ﷺ أسامة وعليا رضي الله عنهما في فراق زوجه عائشة رضي الله عنها:

يُعَدُّ هذا الموقف من المواقف التي أَحَسَّت فيه عائشة رضي الله عنها بشدة البلاء، وقد كان له أثرٌ شديد في نفسها؛ إذ إن فيه أن زوجها وأحب الناس إليها ومن كانت له وفيّة في حضوره وغيبته (النبي ﷺ) يستشير بعض صحابته في فراقها من شدة البلاء الذي أصابه بسبب الإفك، يبيّن ذلك: أنها لما روت خبر الإفك لمن سألها عنه (وهو عروة ابن الزبير) وبلغت هذا الموقف قالت: «يستشيرهما في فراق أهله»، فَ«عَدَلَتْ عن قولها: «في فراقي» إلى قولها: «فراق أهله» لكرامتها التصريح بإضافة الفراق إليها»<sup>(١)</sup>.

وهذا القول يثبت أن الأثر النفسي الناتج عن هذا الموقف لم يزل تأثيره باقيا في نفسها - مع مضيّ السنين على حادثة الإفك ونزول براءتها -.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٨). وانظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/١١٩).

٥- لما جلس أمامها النبي ﷺ في بيت أبي بكر رَجَعَهُ ثُمَّ نَزَلَ الْوَحْيُ بِبَرَاءَتِهَا:

\* في بداية هذا الموقف عَظُمَ الْبَلَاءُ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَدْ كَانَتْ تَتَأَلَّمُ مِمَّا يُقَالُ فِيهَا مِنَ الْإِفْكِ مِنْ قِبَلِ الْمُنَافِقِينَ وَبَعْضِ آحَادِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَسْبِقْ لَهَا أَنْ يَجْعَلَهَا بِالنَّبِيِّ ﷺ مَوْقِفٌ فِي ذَلِكَ، فَجَاءَ هَذَا الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ لِتَجِدَ نَفْسَهَا أَمَامَ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهَا وَهُوَ يَذْكُرُ لَهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْهَا مَا بَلَغَهُ، ثُمَّ يَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَدَافِعَ عَنْ نَفْسِهَا -إِنْ كَانَتْ بَرِيئَةً-، أَوْ أَنْ تَسْتَغْفِرَ اللَّهَ وَتَتُوبَ إِلَيْهِ -إِنْ كَانَتْ أَلْتْ بِذَنْبٍ-.

وقد كان الأثر النفسي الناتج عن هذا الموقف العظيم يوازيه قوة وشدة، فقد بلغ بها الحزن والغمّ منتهاه حرارة المصيبة وعَظَمُهَا<sup>(١)</sup>، فقلص دمعها -بعد أن كانت تصل الليل بالنهار بكاءً ودمعاً- حتى صارت ما تحس منه قطرة واحدة!.

ثم إنها اشتدّ عليها البلاء وهي ترى وتسمع أباها -الذي لازمها ووقف معها في محنتها- وهو يخاطبها بمقولة النبي ﷺ نَفْسَهَا، فيقول لها: «إِنْ كُنْتَ صَنَعْتَ مَا قَالَ النَّاسُ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ، وَإِنْ لَمْ تَكُونِي صَنَعْتِهِ فَأَخْبِرِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِعُذْرِكَ»<sup>(٢)</sup>. فهي في هذا المواقف تواجه الأسئلة عمّا قيل فيها من الإفك من أحب رجلين إلى قلبها: زوجها وأبيها.

وزاد الموقف شدةً في البلاء: أنها طلبت من والديها أن يجيبا عنها رسول الله ﷺ، فامتنع كلاهما عن ذلك قائلين: «والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ».

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٥)، إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري (٩/ ١٨٢).

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١١٣١)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٠) -واللفظ له-، من رواية ابن حاطب عن علقمة وغيره عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وإسناده صحيح. وعندهما -أعني: ابن راهويه والطبري-: أَنَّ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ لَهَا أَبُوَاهَا مَعًا، خِلَافًا لِمَا فِي فَتْحِ الْبَارِي شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٥)؛ قال: "قالت: فقال أبي... فذكره، وهو المثبت هنا.

فظهرت علامات الأثر النفسي عليها بعد هذه الشدائد المتتالية:

\* فَاسْتَعْبَرَتْ وَبَكَتْ.

\* وقالت: «وَاللَّهِ لَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا ذَكَرْتَ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

\* ثم قالت لهم: «إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في نفوسكم وصدقتم به، فإن قلت لكم: إني بريئة -والله عَزَّوَجَلَّ يعلم أني لبريئة-؛ لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر -والله عَزَّوَجَلَّ يعلم أني منه بريئة-؛ لتصدقوني. وإني -والله- ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] وقد ذكرت -في رواية أخرى- الأثر النفسي الذي أصابها من شدة البلاء في هذا الموقف، فذكرت أنها التمسّت اسم يعقوب فلم تقدّر عليه<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «نسيت اسم يعقوب عَزَّوَجَلَّ لما بي من الحزن والبكاء واحتراق الجوف»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «والله ما يحضرني ذكر يعقوب وما أهتدي من الغيظ الذي أنا فيه»<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) أخرجه محمد بن إسحاق في سيرته (٣٠٢/٢ - ابن هشام) -ومن طريقه: الطبري في تاريخه (١١٤/٢) -، والواقدي في المغازي (٤٣٣/٢)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن حديث غيره. وصحح إسناده الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص: ٢٢٤).
- (٢) أخرجه البخاري (٤٧٥٧) معلقاً بصيغة الجزم، والترمذي في الجامع (٣١٨٠)، من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣١٨٠).
- (٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١١/٢٣)، من حديث أبي أويس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن حديث أبي أويس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٣٦/٩): «رجال رجال الصحيح» اهـ.
- (٤) أخرجه الواقدي في المغازي (٤٣٣/٢)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وإسناده ضعيف، وهو من رواية الواقدي وهو متروك! إلا أن هذه الرواية تؤيدها الروايات الصحيحة التي قبلها في معناها.

\* ثم تحولت فاضطجعت على فراشها وهي تعلم أنها بريئة، وأن الله مبرئها. فهذا الأثر النفسي قابلته عائشة رضي الله عنها بعددٍ من الآثار النفسية التي تخفف شدته أو تقاومها وتدفعها:

\* ففي استعبارها وبكائها: تنفيسٌ عن الكرب الشديد الذي ألمَّ بها، وذلك من الآثار التي تريح النفس وتخفف عنها الألم.

\* وفي مخاطبتها نفسها بأنها لن تتوب مما ذكره: تعزيةٌ للنفس وموانسةٌ لها وشحذٌ لطاقتها وتصبيرٌ لها وتقويةٌ لما فيها من العلم بالبراءة، إذ إن التوبة إنما تكون مما فعله العبد لا مما هو بريء منه، فأنى لها أن تتوب من منكرٍ فاحشٍ لم ترتكبه البتة.

\* وفي مخاطبتها النبي ﷺ والديها ﷺ: كمال الأثر النفسي الذي يدل على ما امتلأت به النفس من: قوةٍ شخصيتها بالحق، وكمال الصدق، والثقة ببراءتها مما أفك عليها. وفي اضطجاعها بعد هذا الموقف العسير: توكلٌ عظيمٌ على الله تعالى، وطمأنينة وسكينة في النفس، ويقينٌ تامٌّ بالبراءة، وإيمانٌ راسخٌ بنصر الله وتبرئته إياها، وتصديقٌ مطلقٌ بوصية نبيها ﷺ حين قال لها: «فإن كنت بريئة فسيبرئك الله»، ورجاءٌ بالله وحسنُ ظنٍّ به.

\* وفي نهاية هذا الموقف انتهى البلاء وارتفع عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد أنزل الله براءتها، ونصرها على من أفك عليها أو أخطأ في حقها، وكان ذلك بواسطة زوجها وأمام والديها، فما أعظمها من براءة!، وأكرم بها من خاتمة لذلك البلاء الشديد الذي أصاب هذه السيِّدة الشريفة الطاهرة العفيفة!.

وإننا لا نشكّ مطلقاً في الأثر النفسي الناتج عن هذا الموقف، وهو: امتلاء نفس أم المؤمنين بالغبطة والسرور، وزيادة الإيمان واليقين بالله، مع أنها لم تذكر في الحديث ما ينص على ذلك، وإن كانت ذكرت أثراً نفسياً عظيماً هو شكر الله وحمده على هذه النعمة العظيمة.



وإذ ذكرنا الآثار النفسية في حادثة الإفك؛ فإننا نختم ذلك بكلامٍ نفيسٍ للإمام ابن القيم، ذكر فيه جملةً كبيرةً من الآثار النفسية في هذه الحادثة، فذكر أننا حين نتأمل أمر الإفك نجد أن «هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها وامتحاناً وابتلاءً لرسوله ﷺ ولجميع الأمة إلى يوم القيامة؛ ليرفع هذه القصة أقواماً ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هُدىً وإيماناً، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً».

واقترضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها لا يوحى إليه في ذلك شيء؛ لتتم حكمته التي قدرها وقضاها وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والافتقار إلى الله والذل له وحسن الظن به والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصر والفرج على يد أحد من الخلق، ولهذا وفّت هذا المقام حقه لما قال لها أبواها: قومي إليه -وقد أنزل الله عليه براءتها-، فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي.

وأيضاً فكان من حكمة حبس الوحي شهراً: أن القضية محصت وتمحضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحى الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته والصديق وأهله وأصحابه والمؤمنون، فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه، فوقع منهم أعظم موقع وألطفه، وسروا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها.

وأيضاً فإن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعييبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك، الثائر لرسوله وأهل بيته<sup>(١)</sup>.

لقد كان في حادثة الإفك من الآثار النفسية ما يُفقد منه الداعية أعظم العبر والفوائد، ومنها:

١- أن كل بلاء ينزل بالداعية في أثناء دعوته لا بد من أن تكون له آثار نفسية، وهذه الآثار:

\* إما أن تكون من طبيعة البشر وعاداتهم وقت نزول البلاء عليهم، كالغم والهم والحزن والفرح والسرور.

\* وإما أن تكون مجاوزةً الحدّ خارجةً عن المألوف، كالجزع والانهيار النفسي والإحباط والانزامية والعُجب.

والداعية إلى الله يعلم:

\* أن ما كان من القسم الأول: فهو مما لا يُؤاخذ عليه الإنسان -إن لم يوقعه في المحرّم أو يمنعه عن الحق-، فلا يلوم نفسه ولا غيره إن أصابه شيء من ذلك؛ فرسول الله ﷺ وزوجه عائشة رضي الله عنهما أصابهما شيء من ذلك، فما كان لينقص قدرهما أو ينزل مرتبتهما.

\* وأن ما كان من القسم الثاني: فهو مما حرّمه الله ورسوله، فيتجنّب ويحذره في نفسه ويحذّر المدعوين من الوقوع فيه.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٦٢).





\* أن لكل أثرٍ نفسيٍّ - مما تكرهه النفس كالغم والحزن - ناتجٌ عن البلاء؛ أثرٌ نفسيٌّ يقابله: تخفيفاً لحَدِّته، أو إضعافاً لقوَّته، أو تغييباً له، أو إذهاباً لأصله أو سببه، أو مُضَادَّةً له.

ولكل أثرٍ نفسيٍّ - مما تحبه النفس كالفرح والسرور - ناتجٌ عن البلاء؛ أثرٌ نفسيٌّ يقابله: تقويةٌ له، وتعبيراً عنه، وإبرازاً وإشهاراً له.

فالداعية إلى الله يكون لديه من الفقه والحِصَافَة ما يُحَسِّن معه اختيار الأثر النفسي الملائم للأثر النفسي الناتج عن البلاء من حيث: نوعه وقوته.

٣- أن من الآثار النفسية التي يقابل بها الداعية الأثر النفسيَّ المكروه الناتج عن البلاء: الصبر والاحتساب والرضا بالقضاء والقدر، واليقين والثقة بالله تعالى، والرجاء فيه، وحسن الظنِّ به، والتوكُّل عليه، والإيمان بوعده ونصره وفرجه، وثبات الجنان، والطمأنينة، والهدوء، والسكينة، وسعة الصدر، والحلم، والأناة، والتؤدَّة، والروية، والوقار، والتأمل والتفكير، والتنفيس عن الكرب بما يظهر على الجوارح كالبكاء، والاتزان في النفس الذي ينتج عنه الاتزان في الأقوال والأفعال، والثقة في النفس.

٤- من الآثار النفسية التي يقابل بها الداعية الأثر النفسيَّ المكروه الناتج عن البلاء: إراحة النفس، وترقُّب الخير، حمد الله وشكره.

٥- على الداعية أن يتأمل في المواقف المختلفة التي وقعت في حادثة الإفك، وفيما نتج عن كل موقفٍ منها من الآثار النفسية، ثم يتأمل فيما قوبلت به تلك الآثار من آثارٍ نفسيةٍ تحلَّى بها أولو الإيمان والنُّهى، فيستحضرها ويستصحبها في أثناء دعوته؛ فإن ذلك مما يعينه - بإذن الله - على التخلُّق بها متى ما ابتلاه الله سبحانه بموقفٍ مماثلٍ أو شبيهٍ لتلك المواقف، ويقيه من الخلَل والزَلَل والنقص والخطأ.



## الفصل الثالث

# الآثار الاجتماعية على الداعية من خلال حادثة الإفك

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: بيان خطر تعصب الداعية لأهل الباطل  
من القرابة.

المبحث الثاني: خطورة خوض الداعية في أعراض  
المسلمين.

المبحث الثالث: خطورة مقالة السوء من الداعية في  
المجتمع المسلم.





## المبحث الأول

### بيان خطر تعصب الداعية لأهل الباطل من القرابة

«دين أوجب الله تعالى أن يكون الرسول رسوله محمد ﷺ هو المطاع أمره ونهيه، المتبوع في محبته ومعصيته، ورضاه وسخطه، وعطائه ومنعه، وموالاته ومعاداته، ونصرته وخذلانه، ويعطى كل شخص أو نوع من أنواع العالم من الحقوق ما أعطاهم إياه الرسول: فالمقرب من قربه، والمقصى من أقصاه، والمتوسط من وسطه، ويجب من هذه الأمور أعيانها وصفاتها ما يحبه الله ورسوله منها، ويكرهه الله ورسوله منها، ويترك منها لا محبوباً ولا مكروهاً ما تركه الله ورسوله كذلك لا محبوباً ولا مكروهاً، ويؤمر منها بما أمر الله به ورسوله، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله، ويباح منها ما أباحه الله ورسوله، ويعفى عما عفا الله عنه ورسوله، ويفضل منها ما فضله الله ورسوله، ويقدم ما قدمه الله ورسوله، ويؤخر ما أخره الله ورسوله ويرد ما تنوزع منها إلى الله ورسوله»<sup>(١)</sup>.

«فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة، وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة»<sup>(٢)</sup>.

وأما أن يجعل المرء شخصاً ما أو ما يصدر عنه من الرأي هو المعيار الذي يزن به الحق والباطل، أو يبني على مقتضاه الاتباع والإعراض، أو المحبة والبغض والموالاتة

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٣).

(٢) المصدر السابق (٢٠/١٦٤).

والمعاداة، فيحاكم الناس جميعًا - وكذا آراءهم - إلى المعيار الذي اتخذه لنفسه: فما وافقه قَبِلَهُ ورضي به واتبعه ووالاه، وما خالفه رده وأعرض عنه وعاداه - فذلك هو التعصب المقيت الذي نهى الله عنه ورسوله.

و(التَّعَصَّب) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المَزِيد (تَعَصَّب).

وأصل مادته: العين والصاد والباء؛ وهو أصل صحيح واحدٌ يدلُّ على: رَبَطُ شيءٍ بشيءٍ، مستطيلاً أو مستديراً، ثم يُفَرَّعُ ذلك فروعاً، وكلُّه راجعٌ إلى قياس واحد<sup>(١)</sup>.

فمن ذلك: (العُصبة) و(العِصابة)؛ وهم: الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين، وقيل: العشرة من الرجال، وهي في كلام العرب: الجماعة<sup>(٢)</sup>، و(العَصْبَة): «الْأَقَارِبُ مِنْ جِهَةِ الْأَبِ»؛ سُمُّوا بذلك لأنهم عَصَبُوا بَنَسَبِ المِيتِ - أي: أحاطوا به واستداروا - وهو يعتصِبُ بهم<sup>(٣)</sup> و(عَصَبَ القوم بفلان)، عَصَبًا: التفوا وأحاطوا به لِقَتَالٍ أو حَمَاةٍ<sup>(٤)</sup>، واستكفُّوا به، وكلُّ شيءٍ استدار حول شيءٍ واستكفَّ به؛ فقد (عصب) به، ومنه قيل للعمامة: (عصابة)؛ لأنها استكفَّت برأس المعتم<sup>(٥)</sup>، و(تعصَّب): أتى بالعصبية، و(تعصَّب) بالشيء، و(اعتصب) به: تقنَّع به ورضي<sup>(٦)</sup>، و(العصبية)،

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٣٦).

(٢) العين (١/٣٠٩)، تهذيب اللغة (٢/٤٦)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) (١/١٨٣)، معجم مقاييس اللغة (٤/٣٣٩)، المحيط في اللغة (١/٣٤٤)، المحكم والمحيط الأعظم (١/٤٥٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٢٤٥)، تهذيب اللغة (٢/٤٨)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص: (٢٦٨)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) (١/١٨٣).

(٤) المحيط في اللغة (١/٣٤٣)، المصباح المنير (٢/٤١٢).

(٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص: (٢٦٨)، تهذيب اللغة (٢/٤٨)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) (١/١٨٣)، المصباح المنير (٢/٤١٢).

(٦) المحكم والمحيط الأعظم (١/٤٥١)، المعجم الوسيط (٢/٦٠٤).



و(التعصُّب): المحاماة والمدافعة عَمَّن يُلْزَمُك أَمْرُهُ أو تُلْزِمُهُ، لَغَرَضٍ<sup>(١)</sup>.

و(التعصُّب) اصطلاحًا لا يخرج عن المعنى اللُّغوي العام؛ فقد عَرَّفَهُ بَعْضُهُمْ بأنه: «عدم قبول الحق عند ظهور دليله»<sup>(٢)</sup>، وفي هذا قصور؛ لاقتصاره على بعض أنواع التعصُّب (وهو: التعصُّب المذهبيُّ أو الطائفيُّ أو الفكري).

ولعل التعريف المختار هو: نُصرة المذهب أو العَصْبة أو القرابة أو المتبوعين، حَقًّا كان ذلك أو باطلاً، ظالمين كانوا أو مظلومين، وجَعُلَ ذلك هو الميزان الذي يوزَن به الحقُّ والباطل، والموالاتة على ذلك والمعاداة عليه<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك يظهر: أن التعصب له صُور وأنواع، منها:

١- التعصب للذوات والأشخاص - كإمام معين، أو ملك، أو داعية إلى بدعة، أو الآباء-.

٢- التعصب للآراء والمقالات.

٣- التعصب للأنساب والقبائل والأجناس.

٤- التعصب للأمصار والبلاد.

٥- التعصب لجنس معين من أجناس بعض شرائع الدين - كتعصُّب العلماء بعضهم لبعض لا اشتراكهم في الفقه، وتعصب الجنود بعضهم لبعض لا اشتراكهم في التجند-.

٦- التعصب لشعار تتميز به طائفة من الطوائف كفعل معين، أو لباس من عمام وغيرها - كتعصب الفقهاء بعضهم لبعض لا اشتراكهم في لباس معين

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٢٤٦)، المعجم الوسيط (٢/٦٠٤).

(٢) دستور العلماء (١/٢١٨).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٢/٤٩)، مجموع الفتاوى (١١/٩٢) (٨/٢٠)، أدب الطلب ص: (٣٦).

كالعالم، وتعصب الجنود بعضهم لبعض لا شراكهم في لباس الجند-<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بإبطال كل صورة تدل على التعصب، وتحريمه، وذم فاعله، ومن ذلك:

١- ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه اشتراك بني آدم في أصل الخلق، مُبْطِلًا بذلك التفاخر بالأحساب والأنساب وغيرها وما ينشأ عن ذلك من تعصب، ومُبيِّنًا أنهم إنما يتفاضلون بالتقوى، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: ١٣]. «أي: إن أكرمكم -أيها الناس- عند ربكم: أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتًا ولا أكثركم عشيرة»<sup>(٢)</sup>.

٢- ولما أثار عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول الحمية القبلية بين معاصر الأوس والخزرج في غزوة بني المصطلق حتى كاد المهاجرون والأنصار أن يقتتلوا؛ نهى النبي ﷺ حينها عن هذه العصبية الجاهلية فقال: «ما بال دَعْوَى الجاهلية؟، دَعْوَاهَا؛ فَإِنِهَا مُتَنَّةٌ»<sup>(٣)</sup>.

٣- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «يا أيها الناس، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ<sup>(٤)</sup> الجاهلية<sup>(٥)</sup> وتعاضمها بأبائها، فالناس رجلان: بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب، قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/١) (٣/٣٤٢)، زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/٤٧١).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١/٣٨٦).

(٣) أخرجه مسلم (٨/١٩) رقم: (٦٧٤٨).

(٤) عُبْيَةُ: أي: الكِبَر. لسان العرب (١/٥٧٤).

(٥) أي: فخرها وتكبرها ونخوتها. عون المعبود (١٤/١٦).





أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣].<sup>(١)</sup>

وبيّنت الشريعة أيضاً ضرر التعصب وخطورته على الفرد والمجتمع:

﴿ فَمَنْ أَثَارَ ضَرَرَهُ وَخَطُورَتَهُ عَلَى الْفَرْدِ: ﴾

١ - الانصرافُ عن الحق وعن القول به، والزهدُ فيه وفي أهله:

المتعصّب لا يحدّث نفسه بفهم الحق وتدبره والعمل به وتنفيذه، ولا يتلقاه بإنصافٍ وتجرّد وطلبٍ لمعرفة الصواب، بل يكتفي بما وجد عليه من يتعصّب لهم من المتبوعين والآباء والآراء، فيأنس إلى دين العادة وما ألف عليه الآباء والأمهات، ويُجلّد إلى القرابة وما استمرت عليه عادة أهله وأصحابه وجيرانه وأهل بلده، ويرضى لنفسه أن يكون دينه دين العادة، فإذا رآه الشيطان على هذه الحال، ورأى أن ذلك هو مبلغ همته وعزيمته؛ رماه بالعصبيّة والحمية للآباء ولسلفه، وزين له أن هذا هو الحق، وما خالفه باطل، ومثّل له الهدى في صورة الضلال، والضلال في صورة الهدى، بتلك العصبيّة والحمية التي أسست على غير علم، فَرَضاه أن يكون مع عشيرته وقومه، له ما لهم وعليه ما عليهم، فيُخذَل عن الهدى، فلو جاءه كل الهدى ورآه يخالف قومه وعشيرته لم يره إلا ضلالة<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقد أمر الله ﷺ بالعدل في الفعل والمقال، على القريب والبعيد، لكل أحد، في كل وقت، وفي كل حال<sup>(٣)</sup>، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٤٩٢) رقم: (٥١١٨)، والترمذي (٥/ ٧٣٤، ٧٣٥) رقم: (٣٩٥٥)، (٣٩٥٦)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣١٢).

(٢) انظر: الفوائد ص: (١٦٥).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٦٥).

وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴿النساء: ١٣٥﴾، والمتعصب يُعرض عن ذلك كله؛ إذ إنه لا يقول الحق إلا إذا كان موافقاً لمن يتعصب له، وأما إذا لم يكن كذلك فإنه يكتمه ويُعرض عنه، وقد يقول الباطل والزور لينصر من يتعصب له.

## ٢- عمى البصيرة:

«المتعصب - وإن كان بصره صحيحاً- فبصيرته عمياء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ومحسب أن ما نشأ عليه هو الحق؛ غفلةً منه وجهلاً بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح وتلقي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم»<sup>(١)</sup>؛ فهو «يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع المعترض في عينه، ويذكر من تناقض أقوال غيره ومخالفتها للنصوص والمعقول ما يكون له من الأقوال في ذلك الباب ما هو جنس تلك الأقوال أو أضعف منها أو أقوى منها»<sup>(٢)</sup>.

ومن أعظم آثار ضرر التعصب وخطورته على المجتمع:

إيجاد العداوة والبغضاء بين المسلمين، وما ينتج عن ذلك من فُرقة وضعف في المجتمع المسلم:

ومما يدل على ذلك: ما امتن الله به على الأوس والخزرج من تألف القلوب بعد الفُرقة والقتال بسبب العصبية التي كانت بينهم، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ف«هذا السياق في شأن الأوس والخزرج، فإنه كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة وضغائن وإحن»<sup>(٣)</sup>،

(١) فتح القدير الجامع بين فتي الرواية والدراية في علم التفسير (٢/ ٣٥٤).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٦٣).

(٣) الإحنة: الحقد في الصدر، والجمع إحْنٌ وإحنات. لسان العرب (١٣/ ٨).



وذحول<sup>(١)</sup> طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخواناً متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى<sup>(٢)</sup>.

وكانت هذه العصبية تثار من قبل أعداء الدين بين الأوس والخزرج من وقت لآخر، ومن ذلك: ما قام به شأس بن قيس<sup>(٣)</sup>، حين ذكّر الأوس والخزرج بيوم بعث<sup>(٤)</sup>، إثارة للعصبية بينهم، فقال لهم النبي ﷺ: «يا معشر المسلمين، الله الله!، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!، بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟!»، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيدٌ من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكّوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفا الله عنهم كيدَ عدوِّ الله شأس بن

(١) دُحُول: جمع دَحَل؛ بمعنى: الحقد والعداوة، يقال: طلب بدَحْلِهِ أي: بثأره. الصحاح (٤/١٧٠١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٩٠/٢).

(٣) شأس بن قيس اليهودي: شيخ عَسَا في الجاهلية، عظيم الكفر، شد يد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، أثار بين الأوس والخزرج فتنة عظيمة كادوا بسببها أن يقتلوا، فأطفا الله بنبيه محمد ﷺ تلك الفتنة الهوجاء، فأنزل الله في شأنه قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكَتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكَتَبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا ءَوْجًا وَانْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١١) [آل عمران: ٩٨، ٩٩] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/٦٢٧).

(٤) بُعِثَ: بضم الباء يوم مشهور كان فيه حرب بين الأوس والخزرج. وبعث اسم حصن للأوس وبعضهم يقوله بالغين المعجمة وهو تصحيف. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (١٣٩/١).

قيس وما صنع»<sup>(١)</sup>.

فالتعصب -بجميع أنواعه وصوره- يفرق الجماعة المؤمنة، ويحدث بينها العداوة والبغضاء، وذلك أن الواجب «على كل مؤمن أن يحب ما أحب الله ورسوله، وأن يبغض ما أبغضه الله ورسوله مما دل عليه في كتابه، فلا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين لشخص إلا لرسول الله ﷺ، ولا لقول إلا لكتاب الله ﷻ، ومن نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]»<sup>(٢)</sup>، والفرقة من أعظم أسباب ضعف المسلمين وذهاب قوتهم وطمع أعدائهم فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُشْرِكُوا بِمَا لِلَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَلَا لِلْإِنْسَانِ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم بعيدين كل البعد عن الاتصاف بالتعصب، بل على النقيض من ذلك كانوا شديدي الموالاة لكلمة التوحيد وأهلها، فمن أجلها يوالون، وعليها يعادون، واضمحلت وانعدمت فيما بينهم معاني التعصب المقيت التي كانوا يتفاخرون بها ويتعصبون لها في جاهليتهم، وحادثة الإفك من أكبر الأدلة على ذلك، ومن أظهر ما يدل من أحداثها على ذلك: ما حدث من الصحابية الجليلة أم مسطح رضي الله عنها حين دعت على ولدها وفلذة كبدها فقالت: «تعس مسطح»، فإنها لم تنظر إلى قرب ولدها منها -وذلك من أعظم ما يكون عليه التعصب-، وإنما قدمت نصره المظلوم ولو كان الظالم أقرب قريب، فكان في موقفها هذا فضيلة عظيمة لها؛ «لأنها لم تُحاب ولدها في وقوعه في حق عائشة، بل تعمدت سبه على ذلك»<sup>(٣)</sup>.

كما أنه من الملاحظ على المجتمع المدني من الصحابة رضي الله عنهم في حادثة الإفك:

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦٢٨/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٢٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٨٠).



انصرافهم التام عن المحاباة والمجاملة لأجل التعصب لقبيلة أو رأي أو شخص، بل كان نظرهم كله قاصراً على اتباع الحق وردّ الإفك الباطل المفترى به على النبي ﷺ، والمتمثل في تهمة زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ولم يقع في المجتمع المدني في حادثة الإفك مظهر من مظاهر التعصب إلا من جهتين:

### الأولى- من جهة المنافقين:

ولا عجب!، فللنافقون جمعوا أخبث الصفات وأسوأها، وهم الذين اختلقوا الإفك وأشاعوه، وكان منهم من أنشأه واختلقه، ومنهم من قلّد فيه رؤساءه وتعصّب لهم، وليس الحديث هنا عن هؤلاء، فليس بعد الكفر ذنب!.

### الثانية- موقف الصحابي الجليل سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه سيد الخزرج:

فبعد أن فرغ النبي ﷺ من استشارة علي وأسامَةَ رضي الله عنهما صعد المنبر وخطب في الناس فقال: «يا معشر المسلمين، مَنْ يعذّرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهل بيتي؟، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»، فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه سيد الأوس فقال: أنا والله أعذرك منه -يا رسول الله-، فإن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ: كذبت، لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رَهْطِكَ ما أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ، فقام أسيد بن حضير رضي الله عنه -وهو ابن عم سعد بن معاذ- فقال لسعد بن عبادَةَ: كذبت -لعمر الله-، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت!.

ولعل من الأولى والأليق قبل أن أتعرض لما وقع من الصحابي الجليل سعد بن عبادة رضي الله عنه أن أذكر القارئ الكريم بمعتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم، فمن «أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وطاعة النبي في قوله: «لا تسبوا أصحابي، فالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»<sup>(١)</sup>، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم...، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر - : «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»<sup>(٢)</sup>، وبأنه لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ، بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه...، ويشهدون بالجنة لمن شهد له ﷺ بالجنة»، وأنهم «لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم - إن صدر -، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأنَّ لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم...، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب: فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه. فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئوا فلهم أجر واحد - والخطأ مغفور -؟، ثم القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب

(١) أخرجه البخاري (١٠/٥) رقم: (٣٦٧٣)، وصحيح مسلم (١٨٨/٧) رقم: (٦٦٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣/٤) رقم: (٣٠٠٧)، وصحيح مسلم (١٦٧/٧) رقم: (٦٥٥٧).



فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما مَنَّ الله عليهم به من الفضائل؛ عَلِمَ يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله»<sup>(١)</sup>.

ثم أعود بعد ذلك إلى ما أنا بصدد الحديث عنه فأقول:

إننا حين نتأمل فيما وقع من الصحابي الجليل سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نجد أنه في تلك الواقعة ظهر موقفان متقابلان:

الأول- موقف سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، الذي تميَّز بالوقوف عند مراد رسول الله ﷺ مهما اقتضاه ذلك من أمور، ولو كان بقتل من كان من الأهل والعشيرة، وهذا الموقف متوافق مع المواقف العامة للصحابة في هذه الحادثة، مما يدل على ما ذكرناه آنفاً من بعد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم عن التعصب بجميع صوره.

الثاني- موقف سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي هو من خيار الصحابة وصالحيه، وأحد السابقين الأولين إلى الإسلام من الأنصار، لكنَّ موقفه كان فيه حمية -كما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن اجتعلته الحمية-.

وإننا لا نشك البتة في أن سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يُرِدْ من موقفه هذا تأييد عبد الله بن أبي على باطله وإفكه، ولا الدفاع بالباطل عمَّن خاض في الإفك من الصحابة من الخزرج، ونقطع بأنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يُرِدْ التأخر عن طاعة رسول الله ﷺ وإعذاره في عقوبة من آذاه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أهله، ولكن حملته على ما قال شيء من الحمية وما كان بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، وذلك أن سعد بن معاذ -وهو أوسي- لما قال: «وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك» رأى سعد بن عبادَةَ -وهو خزرجي- أنه إنما أشار بقتل

الخرزجي زعمًا منه أنه ليس له حامٍ، فأخذته الحمية، فقال: لَعَمْرُ اللَّهِ لا تقتله، فكأنه نَظَرَ إلى أن الأوسِّي يرى أن الخرزجيَّ ضعيفٌ لا حامي له، فَلَحِقَ به وبأهل قبيلته هوانٌ وذلٌّ فأخذته الحمية فقال ما قال<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام -بعد أن ذكر قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وكان قبل ذلك رجالًا صالحًا ولكن احتملته الحمية»-: «وقد قلنا غير مرة: إن الرجل الصالح المشهود له بالجنة قد يكون له سيئات يتوب منها، أو تمحوها حسناته، أو تكفر عنه بالمصائب أو بغير ذلك، فإن المؤمن إذا أذنب كان لدفع عقوبة النار عنه عشرة أسباب: ثلاثة منه، وثلاثة من الناس، وأربعة يبتديها الله: التوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين له وإهداؤهم العمل الصالح له، وشفاعته ﷺ، والمصائب المكفرة في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة، ومغفرة الله له بفضل رحمته»<sup>(٢)</sup>.

وقد أبرز الموقف الذي كان بين سعد بن معاذ وسعد بن عباد خطر الحمية في عدة أمور، منها:

١- أن الحمية سببٌ لوجود السبِّ بين أفراد المجتمع المسلم بعضهم بعضًا، وذلك لأن المتعصب يُعرِّض نفسه للسبِّ ممن حوله من المجتمع، فقد ذكر أهل العلم أن من فوائده هذه الواقعة: «جواز سب المتعصب في الباطل، والعاصي، والمتكلم بمنكر القول، والإغلاظ في سبه يشبه صفته، فإن لم يكن فيه حقيقة كقول أسيد: «كذبت، إنك منافقٌ تجادل عن المنافقين»، وحاشا لسعد من صفة النفاق، لكن لما كان منه من ظاهر التعصب لابن أبي المنافق استحق التعرض له والسب والتأديب كمثل هذا القول

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٣٧٢)، فيض الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ١٦٤)،

حاشية السندي على صحيح البخاري (٣/ ١٦).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٢٥).





الغليظ»<sup>(١)</sup>، فمعنى قول أسيد ابن حضير رحمته الله: «إنك منافق تجادل عن المنافقين»: «أنك تفعل فعل المنافقين، ولم يُرد النفاق الحقيقي»<sup>(٢)</sup>، وهذا السبُّ - وإن كان له وجهٌ صحيح - إلا أن الأصل في المجتمع المسلم هو عدم وجوده وتجنبه بتجنب سببه (وهو التعصب).

٢- أن وجود شيء من الحمية في فردٍ أو جماعة في المجتمع المسلم ينقلهم عن اسم الصلاح، كما نقل سعد بن عباد رحمته الله<sup>(٣)</sup>، وهذا من أخطر الآثار الاجتماعية؛ إذ إنه يعني وجود أناس في المجتمع غير صالحين، وهذا يؤثر على المجتمع بعامه.

٣- وظهر جلياً أن وجود شيء من الحمية في الإنسان يؤدي إلى فُرقة شديدة بين المسلمين، فإن هذه الواقعة وقعت بين اثنين من الصحابة الأجلاء، وأمام رسول الله صلوات الله عليه، ثم تثار على إثرها الأوس والخزرج، فكيف بمن بعدهم وقد بُعد العهد عن زمن النبوة؟ إن ذلك ليدل على الضرر الاجتماعي العظيم الذي يُحدثه التعصب بين المسلمين.

٤- أن التعصب يُشغل المجتمع المسلم عما هو مأمور به من طاعة الله ورسوله، وعما هو مطلوب منه من الرقي إلى المعالي والسعي إلى الكمال، ويجعله يذهل عن ذلك كله، ويصرفه إلى اتباع العصبية المقيتة وما تُمليه من أهواء وآراء خارجة عن الحق وأفعال بعيدة عن الصواب، وقد وقع شيء من الحمية فيما حصل من سعد بن عباد رحمته الله ثم الصحابة بعده، فإنهم ذُهلوا عن إجابة النبي صلوات الله عليه إلى طلبه، وشُغلوا عن طاعته واتباع أمره، وصار انشغالهم في تلك الحال بإجابة بعضهم بعضاً عن شيء من الحمية التي أثّرت بينهم.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ١٤٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ١١٨).

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٤٠).

٥- أن التعصّب سببٌ لوقوع الجهل في المجتمع وارتفاع العلم، وذلك أنه يحمل المرء على فعل ما يضره وترك ما ينفعه، وهذا من الجهل الذي هو عَمَلٌ بخلاف العلم، حتى يُقدِّم المرء على فعل ما يعلم أنه يضره، وترك ما يعلم أنه ينفعه؛ لما في نفسه من البغض والمعاداة لأشخاص وأفعال، وهو في هذه الحال ليس عديم العلم والتصديق بالكلية، لكنّه لما في نفسه من بغض أو حسدٍ غلب على موجب ذلك لموجب العلم، فدلّ على ضعف العلم لعدم موجبه ومقتضاه<sup>(١)</sup>.

إن هذه الآثار الناجمة عن التعصّب للباطل من أجل القراية التي تبين خطورة التعصّب لتستدعي من الداعية عظيم اهتمامه وبالعناية، فيستخرج من ذلك الفوائد التي تفيده في دعوته، ومنها:

١- إن وقوع صحابي جليل بالخطأ في شيء من الحميّة للقراية مما يدلّ على عظيم خطره وشدة تأثيرها، فسعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اختاره الله لصحبة نبيه -وكفاه شرفاً ورفعة- ومع ذلك وقع بالخطأ في شيء من الحميّة للقراية، فعلى الداعية أن يُدرِك هذا الأمر، وأن يعلم أن مجرّد الصلاح ليس بمانعٍ من الوقوع في التعصّب المذموم، وأن اضطلاعاً بالدعوة إلى الله لا يعني أنه معصومٌ عن ذلك، فيُهدَّب نفسه بأداب الوحي، ويكملها بأحسن تلك الآداب ويحنبها سيئها، ويربيها على الوقوف عند أوامر الشرع ونواهيه، فلا تكون له الخيرة في ذلك البتة، بل يقدم أمر الله ورسوله في كل حالٍ وحادثَةٍ على هوى نفسه ونصرة قرايته مهما كان أثر ذلك عليه.

٢- الاتصاف بالتعصّب من علامات الجهل واتباع الهوى، وذلك صفة ذميمة في آحاد المسلمين وعامتهم، فكيف بالداعية الذي يُؤمّل فيه أن يكون قدوةً حسنةً للمدعوين بقوله وفعله وخلقه؟.

(١) انظر: الإيمان الأوسط ص: (٤٢٦).



٣- التعصب له صور وأنواع وطرائق شتى، ومعرفة الداعية بذلك من الأهمية بمكان، حيث يقوده ذلك إلى تجنب التعصب مطلقاً، وأما جهله بذلك فإنه يوصله إلى المهالك، ويجعله يقع في نوع من التعصب وهو لا يشعر.

٤- ينبغي على الداعية أن يحرص ابتداءً على أن يُنمِّي في المدعوين صدق الانتماء للإسلام، وقوة الاعتزاز بالأخوة الإيمانية، وأن يذكرهم بنصوص الأمر بالاجتماع والوحدة والنهي عن الخلاف والفرقة، وأن يبين لهم الآثار الاجتماعية السيئة التي تترتب على التعصب ويحذّرهم منها.

ثم إن رأى أن التعصب قد ظهر في أفرادٍ من المجتمع أو فئات منه بادر إلى تنبيه الناس، وبذل جهده في توعيتهم في خطبته ومحاضراته وندواته. كما أن عليه أن يكون له دورٌ فاعلٌ في تهدئة من حوله من المسلمين إذا وقعت بينهم عداوة وبغضاء أو ما هو فوق ذلك بسبب التعصب.



## المبحث الثاني

### خطورة خوض الداعية في أعراض المسلمين

حقوق المسلم محفوظة في شريعة الله، وعرضه من الضروريات الخمس التي جاء الدين بالاهتمام العظيم بها برعايتها وصيانتها عن الاعتداء والانتقاص بغير حق، ومما جاء في تقرير ذلك وبيانه: قول النبي ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»<sup>(١)</sup>، وقوله: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»<sup>(٢)</sup>.

وجعلت الشريعة الإسلامية القويمة من معايير التفاضل والخيرية بين المسلمين عند الله ﷻ وفيما بينهم: السلامة من أذية بعضهم بعضاً باللسان، فقد سئل النبي ﷺ: يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟، فقال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»<sup>(٣)</sup>، وفي حديث آخر أنه سئل: أي المسلمين خير؟ فقال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»<sup>(٤)</sup>، «وهذا من جامع كلامه وفصيحته ومحاسنه، ولا يفهم من هذا أن من ليس ذه الصفة ليس بمسلم»<sup>(٥)</sup>، وإنما «المراد هذا الحديث: الحض على ترك أذى المسلمين باللسان واليد والأذى كله»<sup>(٦)</sup>، ف«من كانت هذه حاله كان أحقَّ ذا الاسم وأمكنهم

(١) أخرجه البخاري (٣٧/١) رقم: (٦٧)، ومسلم (١٣٠٥/٣) رقم: (١٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٠/٨) رقم: (٦٧٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/١) رقم: (١١).

(٤) أخرجه مسلم (٤٧/١) رقم: (١٧٠).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٠٢/١).

(٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦٢/١).



فيه. وبيّن ذلك: أنّه لا ينتهي الإنسان إلى هذا حتى يتمكّن خوف عقاب الله ﷻ من قلبه، ورجاء ثوابه فيكسبه ذلك ورعاً يحمله على ضبط لسانه ويده، فلا يتكلم إلا بما يعنيه، ولا يفعل إلا ما يسلم فيه، ومن كان كذلك فهو المسلم الكامل والمتقي الفاضل<sup>(١)</sup>، الذي «جمع إلى أداء حقوق الله تعالى أداء حقوق المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

وبيّن الله ﷻ في القرآن الكريم مسؤولية العبد عما يتلفظ به من الأقوال، وأنه قد أوكل به ملكان يحصيان عليه جميع أقواله، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، كما بيّن النبي ﷺ خطورة اللسان وشؤم إطلاقه دون تبين وتريث ونظر إلى ما يؤول إليه من نتائج حيث قال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»<sup>(٣)</sup>، وجعل ضبط اللسان من كمال الإيمان الواجب فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»<sup>(٤)</sup>، وجعل ملاك أمر الدين في حفظ العبد لسانه، وجعل هلاك العبد في تهاونه بذلك فقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟... كُفَّ عليك هذا -وأشار إلى لسانه-» ثم قال: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم -أو قال: على مناخرهم- إلا حصائد ألسنتهم؟!»<sup>(٥)</sup>.

كما جاء في الكتاب والسنة تحريم الغيبة والنميمة والبهتان والاستهزاء والقذف وغير ذلك مما يكون فيه طعن في العرض بغير وجه حق أو ذريعة موصلة إلى ذلك، وورد في ذلك الوعيد الشديد الذي «يردع العاقل عن الاشتغال بغيره، ويوجب له

(١) المفهوم لما أشكل من تلخيص مسلم (١/ ٢٢٤).

(٢) هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري (ص: ٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٨/ ٢٢٤) رقم: (٧٦٧٣).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٤٩) رقم: (١٨٢).

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤) رقم: (٣٩٧٣)، وصححه

لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٦٦).

الاهتمام بإصلاح نفسه قبل هجوم منيته»<sup>(١)</sup>، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢] وقوله ﷺ: «من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة»<sup>(٢)</sup> الخبال<sup>(٣)</sup>، حتى يخرج مما قال»<sup>(٤)</sup>.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أعلم الناس بذلك، وأشدّهم التزاماً به؛ طاعةً لله ورسوله، وعرفاناً بحقوق إخوانهم المسلمين، وأداءً لها.

وكانت مواقفهم في حادثة الإفك من أعظم الأدلة على ذلك، فإن الناظر في النصوص الواردة في حادثة الإفك يعلم أن المجتمع المدني المؤمن لم يكن هو الذي ابتدأ الإفك لا اختلاقاً ولا إشاعة، وإنما كان الذي فعل ذلك وتولّى كبره هو رأس النفاق عبد الله بن أبي ابن سلول<sup>(٥)</sup> والمنافقون من بعده.

وأما من خاض في الإفك من الصحابة فلم يذكر لنا منهم إلا ثلاثة، وهذا يدل على أن الخائضين في الإفك من الصحابة الفضلاء قلة، وأن خوضهم فيه لا يعدو أن

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/١١٣).

(٢) الرّدغ: الماء والطين والوحل الكثير الشديد. لسان العرب (٨/٤٢٦).

(٣) الخبال: يقال إنه صديد أهل النار، وقيل عصارة أهل النار. انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٢٤٣)، ولسان العرب (١١/١٩٧).

(٤) أخرجه أبو داود في السنن (٣/٣٣٤) رقم: (٣٥٩٩). وهو في صحيح الجامع (٦١٩٦).

(٥) انظر: صحيح البخاري (٥/٩٦) (٦/٨٤)، صحيح مسلم (٨/١١٢)، جامع البيان (١٧/١٩٥). وقال الحافظ ابن كثير: «وقيل: بل المراد به [يعني: الذي تولى كبر الإفك] حسان بن ثابت، وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن محاسنه أنه كان يذب عن رسول الله ﷺ بشعره، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «هاجهم وجبريل معك». تفسير القرآن العظيم (٦/٢٥).



يكون أثرًا من آثار الكيد الذي أراده المنافقون من هذا الإفك.

وقد دلت النصوص على أن ما وقع فيه أولئك الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم شديد الضرر وعظيم الخطر على الفرد المسلم، وبما أن المسلم كِبَنَةٌ من كِبَنَاتِ المجتمع فإن ما يقع فيه من أمور مخالفة للشريعة ستكون له تبعاته الاجتماعية الخطيرة.

ومن مظاهر خطورة الخوض في عرض المسلم التي يبتتها النصوص الواردة في حادثة الإفك ما يأتي:

### أولاً- اتباع خطوات الشيطان.

في ثنايا آيات حادثة الإفك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١]، ففي هذه الآية تنفيرٌ وتحذيرٌ عن الخوض في عرض المسلم بأفصح عبارة وأجزأها وأبلغها وأحسنها، ففيها حذر الله تعالى المؤمنين من سلوك سبيل الشيطان وطرقه، واقتفاء آثاره، فهو لا يأمر إلا بالفحشاء مثل الزنا وقبائح الأفعال والمنكر من القول، فمن اتبعه في خطواته وقع فيما يأمر به من الخطايا، وهذا فيه بيان أن الشيطان كان حريصًا على وقوع المسلمين في الإفك وإذاعتهم وروايتهم إياه عنمن جاء به <sup>(١)</sup>.

فبذلك يتضح أن من اتباع خطوات الشيطان: اختلاق الأخبار الكاذبة، والسعي في نشر الشائعات والأقاويل بمجرد سماعها دون تثبّت، والخوض في أعراض المؤمنين بدون حق، وأن هذا مزلقٌ شيطاني مكر، القصد منه وقوع المجتمع المؤمن في الفحشاء والمنكر، وهذا أثر اجتماعي بالغ الخطورة للخوض في عرض المسلم بدون حق.

(١) انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٢١/١٧)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢٠٣/٣)، زاد المسير في علم التفسير (٢٣/٦)، تفسير القرآن العظيم (٣٠/٦)، أيسر التفاسير (٢٦٩٤/١).

## ثانياً- استحقاق التوبيخ العظيم والعتاب الشديد.

ذكر بعض أهل التفسير أنه لم يقع في القرآن من التغليظ في شيء من المعاصي ما وقع في الإفك في عائشة رضي الله عنها، من الإيجاز في ذلك والإشباع والتفصيل والإجمال والتأكيد والتكرير، والاشتمال على الوعيد الشديد والعتاب البالغ والزجر العنيف، واستعظام القول في ذلك واستشناعه بطرق مختلفة وأساليب متقنة، كل واحد منها كاف في بابه، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup>.

ومما يوضح ذلك الآيات الآتية:

قال الله ﷻ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، «فأعدل ﷺ عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر، ولم يقل: «ظننتم بأنفسكم خيراً وقلتم»؛ ليبالغ في التوبيخ بطريق الالتفات، وليلدل التصريح بلفظ الإيمان على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه، ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن، وهذا من الأدب الحسن الذي قلَّ القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بإخوانه» <sup>(٢)</sup>. والمعنى: «هَلَّا إِذْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي رُمِيَ بِهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَسَمْتُمْ ذَلِكَ الْكَلَامَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِذَا كَانَ لَا يَلِيقُ بِكُمْ فَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ بِالْأُخْرَى وَالْأُولَى. وَقَالَ تَعَالَى: هَلَّا ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ الْخَيْرَ، فَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُهُ وَأَوْلَى بِهِ، وَهَلَّا قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ هَذَا كَذِبٌ ظَاهِرٌ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الَّذِي وَقَعَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يَرِيبُ، وَذَلِكَ أَنَّ عَائِشَةَ جَاءَتْ رَاكِبَةً جَهْرَةً عَلَى رَاكِبَةٍ صَفْوَانَ بْنِ الْمَعْطَلِ السَّلَمِيِّ، فِي وَقْتِ الظُّهْرِ وَالْجَيْشِ بِكَامِلِهِ يَشَاهِدُ

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٢٠٤)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٧- ٤٧٨).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٢٠١).





ذلك، ورسول الله ﷺ معهم، فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْفِي كُلَّ شُبْهَةٍ وَشَكٍّ، وَلَوْ كَانَ فِي الْأَمْرِ مَا يُرْتَابُ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا جَهْرَةً<sup>(١)</sup>، فَعَاتِبَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُ «كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْكُمْ عِنْدَ سَمَاعِ مَا أَشَاعَهُ الْمُنَافِقُونَ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْكِ وَالْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ الطَّاهِرَةِ أَنْ تَنْصَحُوا بِعَدَمِ الْخَوْضِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ لَائِقٍ بِكُمْ، وَأَنْ تَتَعَجَّبُوا مِنْ اخْتِرَاعِ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ، وَأَنْ تَقُولُوا: لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَنْفُوهُ بِهَذَا الْكَلَامِ، وَلَا أَنْ نَذْكُرَهُ لِأَحَدٍ، تَنْزَهُ اللَّهُ رَبَّنَا أَنْ يَقَالَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى ابْنَةِ الصَّدِيقِ زَوْجَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا هُوَ إِلَّا كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ، وَإِنَّا لَنَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ رَبِّنَا مِنْهُ، وَمَنْ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ، سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَكُونَ الْوَسِيلَةَ فِي انْتِشَارِ هَذَا الْقَوْلِ الْكَاذِبِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِذْ نَلَقْنَا قَوْلَهُ بِالْأَسْنَةِ كَمَا يَقُولُونَ إِذْ أَفْوَاهُكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> [النور: ١٥]، فَعَاتِبَهُمُ سَبْحَانَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، وَهِيَ: تَلْقِيهِ بِالْأَلْسِنَةِ (أَي: السُّؤَالِ عَنْهُ وَأَخْذَهُ مِنَ الْمَسْئُولِ)، وَالثَّانِي: قَوْلُهُمْ ذَلِكَ، وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمْ حَسَبُوهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ:

ف«فِيهِ تَعْرِيزٌ بِحَرَصِهِمْ عَلَى تَلْقِي هَذَا الْخَبَرِ، فَهَمَّ حِينَ يَتَلَقُونَهُ يَبَادِرُونَ بِالْإِخْبَارِ بِهِ بَلَا تَرَوْ وَلَا تَرِيثُ. وَهَذَا تَعْرِيزٌ بِالتَّوْبِيخِ»<sup>(٤)</sup>، وَمَعْنَى ﴿نَلَقْنَاهُ﴾: يَأْخُذُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ وَفِي الَّذِي قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ عِتَابٌ لَهُمْ عَلَى خَوْضِهِمْ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَصْدُقُوهُ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ كَانَ الْإِغْضَاءَ عَنْ ذِكْرِهِ وَالتَّرْكَ بِالْكُلِّيَّةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) أيسر التفاسير (١/ ٢٦٨٥).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٦٨٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٨).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٨٥).

وقوله ﷺ: ﴿وَقُولُوا بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ «فهذا بيان لسبب العتاب، وهو تلقي الباطل بالألسنة، والقول بالأفواه، وهما نوعان مُحَرَّمان: القول بالباطل، والقول بلا علم»<sup>(١)</sup>، والمعنى: «وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تَرَوُونَهُ، فتقولون: سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا، ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته، ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا﴾ وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بالستكم وتلقيكموه بعضهم عن بعض هين سهل، لا إثم عليكم فيه ولا حرج، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ يقول: وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بأفواهكم عند الله عظيم من الأمر؛ لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله ﷺ وحليلته»<sup>(٢)</sup>، «وهذا عتاب - من الله تعالى - بليغ في تعاطيهم هذا الحديث وإن لم يكن المخبر والمخبر مصدقين، ولكن نفس التعاطي والتلقي من لسان إلى لسان والإفاضة في الحديث هو الذي وقع العتاب فيه»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] ففيه توبيخ للخائضين في عرض المؤمن؛ لأن المراد بقوله: ﴿قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾ أن يقولوا ذلك للذين أخبروهم ذا الخبر الإفك زجرًا لهم وموعظة. والمعنى: ما يكون لكم أن تتكلموا بهذا. وهذا مسوق للتوبيخ على تناقلهم الخبر الكاذب، وكان الشأن أن يقول القائل في نفسه: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، ويقول ذلك لمن يجالسه ويسمعه منه. فهذا زيادة على التوبيخ على السكوت عليه<sup>(٤)</sup>، فبين لهم سبحانه أن الواجب عليهم أن يقولوا: ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٣١).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢١٨).

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/ ١١٢).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٨/ ١٨٠).



لأحد، سبحانه الله أن يقال هذا الكلام على زوجة نبيه ورسوله وحليلة خليله<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧] أي: «ينهاكم متوعدًا أن يقع منكم ما يشبه هذا أبدًا، أي: فيما يُستقبل، إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه وتعظمون رسوله ﷺ»<sup>(٢)</sup>، «وفي هذا من الأدب الأخلاقي أن المرء لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه ويتحققه وإلا فهو أحد رجلين: أفن الرأي يقول الشيء قبل أن يتبين له الأمر فيوشك أن يقول الكذب فيحسبه الناس كذابًا...، أو رجل مموه وراءه يقول ما يعتقد خلافه»<sup>(٣)</sup>.

### ثالثًا- التعرض للعقاب من الله.

توعد الله سبحانه الخائضين في أعراض المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]، ففي الآية وعيد شديد لمن جاء بالإفك وتولى كبره بالعذاب العظيم، ووعد آخر لمن خاض في الإفك بأنه اكتسب من الإثم بقدر خوضه في الإفك، وقد كانت لهم عقوبتهم في الدنيا ف«قد حدَّ النبي ﷺ منهم جماعة»<sup>(٤)</sup>.

كما بين سبحانه أن فضله ورحمته كانا سببين في منع العذاب العظيم عن المؤمنين الخائضين في الإفك، فقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤].

قال السبكي: «وأما الواقعة في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - والعياذ بالله - فموجبة للقتل لأمرين:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٥٦٣).

أحدهما - أن القرآن يشهد ببراءتها، فتكذيبه كفر، والوقعة فيها تكذيب له.

والثاني - أنها فراش النبي ﷺ، والوقعة فيها تنقيص له، وتنقيصه كفر.

وينبني على المأخذين سائر زوجاته ﷺ: إن عللنا بالأول لم يقتل من وقع في غير عائشة رضي الله عنها، وإن عللنا بالثاني قُتِلَ لأن الكل فراش النبي ﷺ وهو الأصح على ما قاله بعض المالكية.

وإنما لم يقتل النبي ﷺ قَذَفَ عائشة لأن قذفهم كان قبل نزول القرآن، فلم يكن تكذيباً للقرآن، ولأن ذلك حكم ثبت بعد نزول الآية فلم ينعطف حكمه على ما قبلها<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً- وجود الخلل والنقص في الإيمان.

تكرّر ذكر الإيمان في الآيات الواردة في حادثة الإفك في أكثر من موضع، ومنها: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [النور: ١٩]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور: ٢١]؛ مما يدل على أن من موجبات الإيمان ومقتضياته رعاية عرض المؤمن، وأن الخوض فيه بغير حق من علامات نقص الإيمان ووجود الخلل فيه، ويوضح ذلك المعاني الآتية:

١ - أن الآيات دلت على أن «الاشتراك في الإيمان يقتضي أن لا يُصَدَّقَ مؤمن على أخيه وأخته في الدين، ولا مؤمنة على أخيها وأختها في الدين قول عائب ولا طاعن»<sup>(٢)</sup>.

(١) فتاوى السبكي (٢/ ٥٩٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٥).



٢- أن الله أوجب على المسلمين في هذه الآيات أنهم «إذا سمعوا رجلاً يقذف أحداً ويذكره بقبیح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه...، ولأجل هذا قال العلماء: إن الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان، ومنزلة الصلاح التي حلها المؤمن، ولبسة العفاف التي يستتر بها المسلم؛ لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع، إذا كان أصله فاسداً أو مجهولاً»<sup>(١)</sup>.

٣- أن في الآيات الكريهات «التنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قاله في مؤمن أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك، ثم ينظر في قرائن الأحوال وصلاحيّة المقام، فإذا نسب سوء إلى من عرف بالخير ظن أن ذلك إفك وبهتان حتى يتضح البرهان. وفيه تعريض بأن ظن السوء الذي وقع هو من خصال النفاق التي سرت لبعض المؤمنين عن غرور وقلة بصارة، فكفى بذلك تشنيعاً له، وهذا توبيخ على عدم إعمالهم النظر في تكذيب قول ينادي حاله ببهتانه وعلى سكوتهم عليه وعدم إنكاره»<sup>(٢)</sup>.

٤- أن الآيات دلّت على أن المؤمن يتعظ بعظات الله، ويأتمر لأمره، وينتهي عما نهاه الله عنه، فلا يقع في عرض المسلم بغير حق، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٥].

#### خامساً- ارتكاب عدد من المحرمات والكبائر ذا الخوض الباطل.

وصف الله سبحانه الإفك الذي خاض فيه بعض الصحابة بأنه عظيم عنده سبحانه فقال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، «وإنما كان عظيماً؛ لأنه مشتمل على منكرات كثيرة وهي: الكذب، وكون الكذب يطعن في سلامة العرض، وكونه يسبب إحنا عظيمة بين المفترين والمفترى عليهم بدون عذر، وكون المفترى

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٠٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٥).

عليهم من خيرة الناس وانتمائهم لأخير الناس من أزواج وآباء وقربات، وأعظم من ذلك أنه اجتراء على مقام النبي ﷺ ومقام أم المؤمنين رضي الله عنها<sup>(١)</sup>.

### سادساً- الوقوع في الجهل والقول بغير علم.

نهى الله نبيه محمداً ﷺ عن القول بغير علم فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، والخوض في عرض المؤمن بغير حق هو من القول بغير علم الذي يتضمن الاتصاف بالجهل في هذه الحال، قال تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [النور: ١٥]، فمعناه: أنهم كانوا يتكلمون بما لا علم لهم به، وأن قولهم هذا غير موافق لما في العلم، ولكنه عن مجرد تصور؛ لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول، فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه من غير أن تعلموا أنه حق، فهو لم يكن له مصداق ومنشأ في القلوب؛ لأنه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم، وذلك يدل على أنه لا يجوز الإخبار إلا مع العلم، فأما الذي لا يعلم صدقه فالإخبار عنه كالإخبار عما علم كذبه في الحرمة، فذمهم الله ﷻ على الإقدام على القول بما لا علم لهم به<sup>(٢)</sup>.

### سابعاً- منافاة الأخوة الإيمانية:

الأخوة الإيمانية تقتضي احترام الأخ لأخيه المؤمن، وحفظ حقوقه وأداءها له، وعدم التعدي عليه بالظلم بالقول والفعل، والمجتمعات إنما تبنى أو اصرها على حفظ الحقوق، وهذا الأمر بيّنه الشارع الحكيم، فقال تعالى في سياق مدح المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٨١).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢١٨)، أحكام القرآن للجصاص (٥/ ١٦٢)، زاد المسير (٦/ ٢١)، مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٤٣)، تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٨)، التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٨)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٦٢)، تفسير السراج المنير (٢/ ٦٧٢)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٥٦٣).



لَا مَنَنْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ دَعُونَ ﴿٨﴾ [المؤمنون: ٨]، ومن أعظم ما تكون به رعاية الأمانة والعهد: رعاية العقد الذي عقده المؤمن معربه تبارك وتعالى، وهو: عقد الإيمان به سبحانه وطاعته والامتنال لأمره واجتناب نهيهِ، ومن مستلزمات ذلك: رعاية الأخوة الإيمانية التي تقتضي المحبة والمواالة والنصرة والمعاونة، ويُناقضها الخذلان والعدوان والتطاؤل.

وفي الآيات الواردة في حادثة الإفك بيّن ربنا تبارك وتعالى أن مقالة السوء من المسلم في أخيه تنافي الأخوة الإيمانية، فقال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، فبيّنت الآية الكريمة أن واجب الأخوة الإيمانية هو أن يظن المؤمنون بعضهم ببعض خيراً، وهو السلامة مما رموا به، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل<sup>(١)</sup>، ولذلك فسّر بعض السلف قوله تعالى (بأنفسهم): «بأهل دينهم؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة»<sup>(٢)</sup>.

هذه هي خطورة الخوض في أعراض المسلمين بغير حق، وكلّ واحدة منها كافية للعاقل لتجنّبه والبعد عنه؛ ليسلم له دينه ودنياه، فكيف بالداعية إلى الله؟، لا شك في أنه ممن يتأكّد في حقه ذلك، كما يتأكّد في حقه أيضاً أن يتأمّل في النصوص الواردة في حادثة الإفك عن ذلك؛ ليكتسب منها الفوائد والعبر، ومنها:

١ - يتعاهد الداعية نفسه بالتربية، فيتأمّل في الأدلة الداعية إلى رعاية حق المؤمن، والمحذرة من التعرض له بدون حق، ويطلع على أقوال السلف وأهل العلم فيها، فإن ذلك يزيد فيه قوة الإيمان التي تحجزه عن الوقوع في الخوض في عرض أخيه المسلم بدون حق.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٥٦٣).

(٢) معالم التنزيل (٢٣/٦).

٢- ويتعاهدها أيضًا بالإصلاح والتهذيب إذا حادت عن الطريق فخاضت في عرض المسلم بدون حق، ويراقبها ويذكرها بوعيد الله وأليم عقابه، ويستغفر الله ويتوب إليه مما وقع فيه من ذلك.

٣- كما يتعاهدها كذلك بالوقاية، فيتجنب كل سبيلٍ يمكن أن يوقعه في الخوض في أعراض المسلمين بدون حق، ومن ذلك: مصاحبة أهل التقوى الذين سلمت قلوبهم وألستهم من هذا المنكر العظيم، وترك أهل الفساد والإفساد، والبعد عن مصاحبتهم، والحذر من طرقهم الماكرة وأساليبهم الخبيثة التي يروجون بها الطعن في الأعراض.

٤- على الداعية مسؤولية عظيمة جدًا في توعية المسلمين بما أمكنه من وسائل الدعوة الشرعية لبيان خطورة الخوض في عرض المسلم، مهما كانت الوسيلة التي كان بها ذلك الخوض، كالغيبة والنميمة والبهتان والشائعات.

٥- يعي الداعية إلى الله تعالى ويدرك خطورة الخوض في أعراض المسلمين، فهو لذلك:

\* لا يخوض في عرض أخيه المسلم إلا بحق دلت عليه النصوص العامة من الكتاب والسنة.

\* لا يتلقف الشائعة بمجرد سماعها، لعلمه بضررها الفادح، وبأن الأصل في المسلم سلامة الظن فيه.

\* لا تحمله نصرة مذهبه ولا طائفته ولا رأيه ولا عشيرته وقرابته على الخوض في عرض المسلم بدون حق.







### المبحث الثالث

#### خطورة مقالة السوء من الداعية في المجتمع المسلم

يحرص الإسلام في تشريعاته أيما حرصٍ على ترابط المجتمع كالجسد الواحد، وحفظ أمنه واستقراره، فيقرر ما يبني ذلك ويقويه ويحميه، كالسلام والإهداء ونصرة المظلوم والتعاون على الحق والإنفاق، وينهى عن كل ما يؤثر فيه أو يضعفه أو يذهب به كبيع المسلم على بيع أخيه وخطبته على خطبته والبيوع التي فيها جهالة وغرر والنميمة والخروج على الوالي المسلم وارتكاب البدع والمنكرات، ومن ذلك: نهى الإسلام عن الإفك والبهتان ومقالة السوء من المسلم في أخيه المسلم بغير وجه حق.

وفي حادثة الإفك كان ابتداء مقالة السوء من المنافقين المترصدين بالدين وأهله، والساعين بينهم بالفساد والإفساد والتفريق، مريدين بذلك تفتيت لحمة المجتمع المؤمن، وإيغار صدور أبناء المجتمع بعضهم على بعض، حتى تتولد الفتنة، ويحدث الانشقاق، فيحصلوا على أعظم ما يرومونه، وهو الضرر المتعدي وهو دمار المجتمعات الدينية؛ إذ بذلك يحصل انهدام الدين.

ولم يشارك المنافقين في ذلك أحدٌ من أفراد المجتمع المسلم، بل كان المجتمع المسلم بأسره ممتثلًا لأمر الله في عدم اختلاق الإفك والبهتان، وعدم ابتداء مقالة السوء في إخوانهم المسلمين، ومع ذلك بين الله سبحانه في كتابه الكريم خطورة ذلك على المجتمع بما يتضمنه ويتبع عنه من المفسد والأضرار الاجتماعية التي تفتك بروابط المجتمع وأواصر العلاقة الحميمة بين أفرادها، وتقودهم إلى الهلاك وتفرق الصف والكلمة، وتضعف الجانِب الأخلاقي فيهم، وذلك تنفيرًا وتحذيرًا للمسلمين عن الوقوع فيما وقع فيه المنافقون من مقالة السوء، فالاعتبار والاتعاظ من علامات العقل كما قال تعالى:

﴿فَاعْتَبِرُوا يَكُونُوا لِأَنْبَصِرَ﴾ [الحشر: ٢].

وهذه أهم الآثار السيئة والمفاسد العظيمة التي ذكرها الله في آيات حادثة الإفك عن خطورة مقالة السوء في المجتمع المسلم:

أولاً- مقالة السوء من أسباب قطع أواصر المحبة والترابط والتكاتف والعلاقات الاجتماعية بين المسلمين.

يجمع المجتمع البشري روابط تربط بعض أفراد به بعض، فقد تكون تلك الروابط في النسب، وقد تكون في المجاورة في السكن، وقد تكون في المصاهرة، وقد تكون في غير ذلك من الروابط التي تجمع أصناف المجتمع، وهذه العلاقات توجب المحبة والألفة لما بينهم من مصالح مشتركة، ولكن المجتمع المؤمن في عهد النبي ﷺ تربي على إعطاء الحقوق لأهلها بصفة إيمانية، قال الله جل جلاله: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وحين نتأمل في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]؛ ندرك تلك الخطورة التي نتجت عن مقالة السوء؛ فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه -وهو أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ- كان يصل قرابته بالبر، ومنهم مسطح بن أثاثة رضي الله عنه وهو ابن خالته، فكان ينفق عليه لفقره، وكان مسطح ممن تكلم بالإفك، فلما نزلت براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أقسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح لما بدر منه تجاه ابنته، وقال: «والله لا أنفق على مسطح شيئاً بعد الذي قاله في عائشة رضي الله عنها»، فبسبب مقالة السوء كادت تتقطع وشائج المحبة والصلة بين المؤمنين، ويتوقف بعضهم عن معونة بعض وسد حاجته والوقوف معه في ضائقته وفقره، وحدث ذلك هو من أسباب تصدع بناء المجتمع المؤمن أو تهدمه، ولكن الله أزال ذلك بترغيبه لأبي بكر رضي الله عنه بأن يعفو عن مسطح رضي الله عنه، فانقاد أبو بكر لأمر الله ﷻ وردَّ النفقة لمسطح، وأقسم على عدم نزعها منه أبداً.



ثانيًا- الإعانة على نشر الفحشاء بين المسلمين دون أن يشعر.

قوام المجتمعات كلها في بضعة أمور عظيمة يقوم عليها كيائها وبقاؤها وعزتها، ومنها: الدين الصحيح والعدل والأخلاق، والأخلاق لها مكانةٌ عليا ومنزلةٌ كبرى عند جميع العقلاء، فالحفاظ عليها ونشرها مما يحفظ المجتمع، وتضييعها والسعي في نشر ضدها مما يفكك المجتمع ويضعفه.

وقد بينت الآيات أن مقالة السوء في عرض المسلم من أسباب القضاء على الأخلاق الفاضلة وإحلال الأخلاق الذميمة مكانها عن طريق إشاعة الفحشاء في المسلمين، وأن من فعل ذلك كان مُجِبًّا لإشاعتها شعر بذلك أم لم يشعر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وقال رسول الله ﷺ: «أيا رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء يرى أن يشينه بها في الدنيا كان حقًا على الله تعالى أن يرميه بها في النار»<sup>(١)</sup> ثم تلا مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [النور: ١٩]<sup>(٢)</sup>.

وتأمل هذين الأثرين السيئين الواردين في آيات حادثة الإفك، عن خطورة مقالة السوء في المجتمع المسلم يقود الداعية إلى ما يأتي:

١- أن يدرك أن مقالة السوء سبب من أسباب قطع أواصر المحبة والألفة بين المسلمين، وهدم البناء الاجتماعي المؤمن وتفكيكه، فلا يصدر عنه ابتداءً أي قول سوء في أخيه المسلم بدون حق، ويحذر أشد الحذر من فعل أمرٍ قد يهدم بناء مجتمعٍ أقيم على طاعة الله ﷻ، فيتسبب بذلك في قطيعة رحمٍ أو هجرانٍ أخٍ مسلم دون حق.

(١) قال الألباني: ضعيف. صحيح وضعيف الجامع الصغير. (١١/٤٩١) رقم: (٥٠٤٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٠٦).

٢- أن يسعى في إصلاح ذات البين، وإزالة غائلة الصدور من قلوب المؤمنين، لكي تشتدَّ الرابطة الاجتماعية بعظيم أثر الأخوة الإيمانية، فلا يستطيع أعداء الدين النفوذ إلى أوساط المجتمعات الإيمانية، وهذه رسالة مهمّة يجب على الدعاة فهمها والعمل بها، استفادةً من حادثة الإفك.

٣- أن يكون ناشراً وداعيةً للأخلاق الفاضلة والتمسك بها والثبات عليها وانتشارها بين أفراد المجتمع المسلم، ومحدّراً ومنقّراً من الأخلاق الذميمة، وداعياً إلى البعد عنها وتركها ونبذها والتوبة منها.



## الفصل الرابع

### مقومات الداعية إلى الله

### من خلال حادثة الإفك

وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول: الصبر على البلاء.

المبحث الثاني: العفو والصفح.

المبحث الثالث: حسن الظن بالله.

المبحث الرابع: الرجاء بالله.

المبحث الخامس: التواضع لله.

المبحث السادس: الصدق مع الله.

المبحث السابع: التثبت وعدم العجلة.





## المبحث الأول الصبر على البلاء

الصبر على البلاء وعدم الجزع أمرٌ مطلوب شرعاً، والأجر فيه بقدر الصبر والتسليم لله ﷻ. وذلك لأن الابتلاء تمحيص للمؤمن واختبار له.

و(الصَّبْرُ) في اللغة: مَصْدَرُ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمَجْرَدِ (صَبَرَ)، يُقَالُ: (صَبَرَ، يَصْبِرُ، صَبْرًا)<sup>(١)</sup>، وأصل مادته: الصاد والباء والراء؛ وهو أصل صحيح يدلُّ - في أحد أصوله - على الحبْس في ضيق<sup>(٢)</sup>؛ يُقَالُ: (صَبَرْتُ) نفسي على ذلك الأمر: حَبَسْتُهَا<sup>(٣)</sup>. و(الصَّبْرُ): نَقِيضُ (الْجَزَعِ)، أو: حبس النَّفْسِ عن الْجَزَعِ<sup>(٤)</sup>.

وفي الشَّرْع: عَرَّفَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ: «تَرْكُ الشَّكْوَى مِنْ أَلَمِ الْبَلْوَى لِغَيْرِ اللَّهِ، لَا إِلَى اللَّهِ»<sup>(٥)</sup>، وفي هذا قصورٌ؛ لاقْتِصَارِهِ على بعض أنواع الصَّبْرِ (وهو: الصَّبْرُ على الأقدار المؤلمة). وقيل: هو «حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه»<sup>(٦)</sup>.

ولعل التعريف المختار أن: «الصَّبْرُ هو: حبس النفس عن محارم الله، وحَبْسُهَا على

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٣١٣/٨)، القاموس المحيط ص: (٥٤١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٢٩)، مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٦٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٧).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/٧٠٧)، معجم مقاييس اللغة (٣/٣٢٩).

(٤) العين (٧/١١٥)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/٧٠٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٣١٣/٨)، مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٦٥)، المصباح المنير (١/٣٣١).

(٥) التعريفات ص: (١٧٢).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٦٥).

فرائضه، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقداره»<sup>(١)</sup>؛ وهو يتضمن أنواع الصبر الثلاثة: الصبر عن المعصية، والصبر على الطاعة، والصبر على الأقدار المؤلمة. والله أعلم. والمراد بالصبر على البلاء: «أنه يتلقى البلاء بصدر واسع لا يتلقاه بالضيق والسخط والشكوى»<sup>(٢)</sup>.

### ❏ وفي بيان فضله وأهميته:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، «وهذا إخبار من الله تعالى لأتباع الرسول ﷺ، أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور، ليعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه، ثم أمر نبيه ﷺ أن يبشّر الصابرين على امتحانه بما امتحنهم به، والحافظين أنفسهم عن التقدم على نهيه عما نهاهم عنه، والآخذين أنفسهم بأداء ما كلفهم من فرائض، مع ابتلائه إياهم بما ابتلاهم به، القائلين إذا أصابتهم مصيبة: «إنا لله وإنا إليه راجعون». فأمره الله تعالى ذكره بأن يخصّ -بالبشارة على ما يمتحنهم به من الشدائد- أهل الصبر، الذين وصف الله صفتهم»<sup>(٣)</sup>.

٢- أن امرأة أتت إلى النبي ﷺ تسأله أن يدعو لها بالشفاء من الصرع، فندبها النبي ﷺ إلى الصبر على البلاء فقال لها: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»<sup>(٤)</sup>، فإن في الحديث «أن اختيار البلاء والصبر

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ص: (٢٠). وانظر تعاريف أخرى للصبر في: مدارج السالكين (١٥٦/٢)، الوابل الصيب من الكلام الطيب ص: (٦)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص: (١٩).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص: (٢١).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧٠٣/٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٥٠/٧) رقم: (٥٦٥٢)، ومسلم (١٦/٨) رقم: (٦٧٣٦).





عليه يورث الجنة»<sup>(١)</sup>.

٣- والمؤمن بالله ﷻ يعلم أنَّ الاختبار والتمحيص والابتلاء مما ينال به محبة الله إذا هو صبر، قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، أي: «أظنَّ الذين خرجوا -يا محمد- من أصحابك من أذى المشركين إياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان، بأن قالوا: آمنا بك يا محمد فصدقناك فيما جئتنا به من عند الله، كلا لنختبرهم، ليتبين الصادق منهم من الكاذب»<sup>(٢)</sup>.

٤- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فعليه السخط»<sup>(٣)</sup>، «وهذا الحديث يدل على أن البلاء إنما يكون خيرًا، وأن صاحبه يكون محبوبًا عند الله تعالى؛ إذا صبر على بلاء الله تعالى، ورضي بقضاء الله ﷻ»<sup>(٤)</sup>.

٥- كما يدرك المؤمن أيضًا أنَّ معنى الصبر: حبس النفس على المكروه، وعقل اللسان عن الشكوى، ومكابدة الغصص في تحمله، وانتظار الفرج عن عاقبته، وهذا في طريق الخاصة تجلد ومناوأة، وجرأة ومنازعة، فإن حاصله يرجع إلى كتمان الشكوى في تحمل الأذى بالبلوى، وتحقيقه، الخروج عن الشكوى بالتلذذ بالبلوى، والاستبشار باختيار المولى<sup>(٥)</sup>، فلذلك يحرص على أن: «يتلقى البلاء بصدر واسع لا يتلقاه بضيق أو تسخط أو شكوى»<sup>(٦)</sup>، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣٧٦/٩).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٥٥/١٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٦٠١/٤) رقم: (٢٣٩٦)، وابن ماجه (١٣٣٨/٢) رقم: (٤٠٣١)، وحسنه

الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٠٧).

(٤) انظر: كتاب الكبائر ص: (١٠١).

(٥) انظر: طريق المهجرتين وباب السعادتين ص: (٣٩٨).

(٦) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص: (٢١)، بتصرف.

مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢]، و«هذا استفهام إنكاري، أي: لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند توطين النفس لها وتمرينها عليها ومعرفة ما تؤول إليه تنقلب عند أرباب البصائر مِنَحًا يسرون بها، ولا يبالون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»<sup>(١)</sup> فالابتلاء يُظهر معادن البشر وحقيقة نفوسهم في: صبرها من جزعها، وإيائها من نفاقها.

٦- وكلُّ من تقلَّد أمر الدعوة إلى الله تعالى على المنهج القويم، يعلم أنَّ قدوته -في دعوته وجميع شؤونه- رسول الله ﷺ الذي أمره الله بالصبر على البلاء: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مثبتة على المضي لما قلَّده من عبء الرسالة وثقل أحمال النبوة ﷺ، وأمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لقوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد: (فاصبر) يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكدييك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ على القيام بأمر الله، والانتهاه إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره ما نالهم فيه من شدة»<sup>(٢)</sup>.

٧- وتتأكَّد أهمية الصبر على البلاء -باعتباره خلقاً يتحلَّى به الداعية إلى الله- بكون الداعية غالباً ما يتعرض للابتلاء، فإن أشدَّ الناس بلاءً الأنبياء -وهم حملة الدعوة إلى

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (١٥٠).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧٦/٢١).

الله-، قال النبي ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان في دينه صلابةً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»<sup>(١)</sup>، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد». ثم رفع صوته فقال: «ألا لا إيمان لمن لا صبر له»<sup>(٢)</sup>.

٨- و«لا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية، هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية، فالابتلاء كير<sup>(٣)</sup> العبد ومحك إيمانه؛ فإما أن يخرج تبراً<sup>(٤)</sup> أحمر، وإما أن يخرج زغلاً<sup>(٥)</sup> محضاً، وإما أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية، فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه ويبقى ذهباً خالصاً، فلو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية؛ لشغل قلبه بشكره ولسانه: «اللهم أعني على ذكرك وشكر وحسن عبادتك»، وكيف لا يشكر من قيض له ما

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٦٠١/٤) رقم: (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٠٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٧/١١، ٤٨٣/١٣) -دون آخره-، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٤٢/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢٤/٧) -واللفظ له-.

وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٣٥).

(٣) الكير بالكسر: كير الحداد وهو المبني من الطين. وقيل: الزق الذي ينفخ به النار والمبني: الكور. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢١٧/٤).

(٤) التبر هو الذهب والفضة قبل أن يضربا دنانير ودراهم فإذا كانا عيناً وقد يطلق التبر على غيرهما من المعادن كالنحاس والحديد والرصاص وأكثر اختصاصه بالذهب ومنهم من يجعله في الذهب أصلاً وفي غيره فرعاً ومجازاً. المصدر السابق (١٧٩/١).

(٥) أي: صبه دفعاً وجهه. لسان العرب (٣٠٤/١١).

يستخرج خبثه ونحاسه وصيره تبرًا خالصًا يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟، فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر»<sup>(١)</sup>.

ولا شك في أن من أشد أنواع البلاء ألمًا على نفس الإنسان: أن يرمى في شرفه وعرضه، وقد وقع ذلك في حادثة الإفك، حيث كان الابتلاء عامًا وواقعا على المجتمع المدني المؤمن بأسره، فشمّل: النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، الراعي والرعية، القريب والبعيد، الرجل والمرأة، فكان من أشد أنواع البلاء الذي أصاب المؤمنين في المدينة، ومع شدته وعظمه وشناعة مضمونه وخطورة نتائجه ولوازمه، فقد كان ذلك المجتمع المؤمن متحليًا بالصبر بجميع أنواعه وصوره الشرعية:

\* فصبروا عن محارم الله من الاعتداء والظلم والتقدم بين يدي الله ورسوله والمشاركة الآثمة في الإفك.

\* وصبروا على فرائض الله من حسن الظن وكمال اليقين والرجاء في الله وترقب فرجه وقول الحق.

\* وصبروا على البلاء فلم يقع منهم تسخُّط ولا شكاية من أقدار الله ولا جزع ولا صورة من صورته.

فهذه الحادثة التي ابتلي فيها أصفياء الله وأولياؤه في ذلك الزمان تقص علينا من أحسن القصص، والمواعظ والعبر ما يبين صبرهم واحتسام تبعدها الله ﷻ:

\* فالتأمل للمواقف العصيبة التي مرَّ بها النبي ﷺ في هذه الحادثة يدرك خطورتها، ومدى تأثيرها على النفوس البشرية؛ «ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به؛ وفي مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه، حتى جاءه

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتین ص: (٤١٧).



الوحي بما أقر عينه وسر قلبه وعظم قدره»<sup>(١)</sup>، بل لعله من «الحكمة الإلهية في إجراء تلك القصة في بيت النبوة: بيان صبر النبي، وثباته على أحكام الشرع، وعدم مجاوزته عن الحدود»<sup>(٢)</sup>.

\* وكذلك بلغ ألم البلاء بأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مبلغاً عظيماً، «فهي فتاة صغيرة في نحو السادسة عشرة، تلك السن المليئة بالحساسية المرهقة والرفرفة الشفيفة، وهي الطيبة الطاهرة، تجد نفسها رغم براءتها ووضاءة ضميرها ونظافة تصوراتها ترمى في أعز ما تعتز به، ترمى في شرفها، وهي ابنة الصديق الناشئة في العش الطاهر الرفيع، وترمى في أمانتها، وهي زوج محمد بن عبد الله من ذروة بني هاشم، وترمى في وفائها، وهي الحبيبة المدللة القريبة من ذلك القلب الكبير.. ثم ترمى في إيمانها، وهي المسلمة الناشئة في حجر الإسلام، من أول يوم تفتحت عينها فيه على الحياة، وهي زوج رسول الله ﷺ، ترمى وهي بريئة غارة غافلة، لا تحتاط لشيء، ولا تتوقع شيئاً فلا تجد ما يبرئها إلا أن ترجو في جناب الله، وتترقب أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا، تبرئها مما رميت به. ولكن الوحي يتلبث، لحكمة يريد بها الله، شهراً كاملاً وهي في مثل هذا العذاب»<sup>(٣)</sup>، ولك أن تتصور شدة البلاء الذي نزل على أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «وهي تفاجأ بالنبأ من أم مسطح، وهي مهدودة من المرض، فتعاودها الحمى وهي تقول لأُمها في أسى: سبحان الله، وقد تحدث الناس بهذا، فتجيبها أمها: نعم»<sup>(٤)</sup>، إن الألم يلفها من كل جانب، والحزن يعتصر فؤادها أسى وحزناً، ويقطع نياط قلبها، حين ترى «نبيها الذي

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٦٣).

(٢) فيض الباري شرح البخاري (٦/ ١٦٥).

(٣) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٩٨).

(٤) المصدر السابق (٤/ ٢٤٩٨).

تؤمن به، ورجلها الذي تحبه»<sup>(١)</sup> يقول لها: «أما بعد، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيرك الله تعالى، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه»، كلُّ هذه المشاهد التي عصفت بأُم المؤمنين قابلتها جميعاً بالصبر على البلاء، فالتأمل في مواقفها كلها في حادثة الإفك لا يجد إلا دروساً من الصبر والثبات عند الشدائد، ولا أدلَّ على ذلك من قولها: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلًا وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [يوسف: ١٨].

\* و«عاش أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل بيته، وعاش صفوان بن المعطل، وعاش المسلمون جميعاً؛ هذا الشهر كله في مثل هذا الجو الخانق، وفي ظل تلك الآلام الهائلة، بسبب حديث الإفك الذي نزلت فيه تلك الآيات»<sup>(٢)</sup>، فكانوا أهل صبر على ذلك الموقف الصعب، والابتلاء الشديد.

فكان الصبر على الابتلاء في حادثة الإفك لذلك المجتمع المؤمن:

\* من أعظم المقومات التي يتحلَّى بها ويعرف مكانتها ويتقن تطبيقها.

\* كما كان أيضاً من أعظم مقومات ذلك المجتمع على التعامل الشرعي الصحيح مع هذه الحادثة النازلة.

\* وكان كذلك من أعظم مقوماته على التصدي لما فيها من الفتنة.

ولذلك كله كان من العِبَر العظيمة المستفادة من حادثة الإفك:

\* حمد عاقبة الصبر<sup>(٣)</sup>.

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٩٨).

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٩٨).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٤/ ١٤٤).



\* وأن عاقبة الصبر الجميل: الغبطة والعزة في الدارين<sup>(١)</sup>.

وقد تضمن قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١] الإشارة إلى تلك العاقبة الحسنة الحميدة للصبر في حادثة الإفك، ففيها: أن البلاء النازل على الأولياء خير؛ لأن حقيقة الشر: ما زاد ضره على نفعه، والشر الذي في البلاء (وهو ضرره من الألم) قليل في الدنيا، لكن خيره (وهو الثواب) كثير في الآخرة، فبهِ الله تعالى عائشة وأهلها وصفوان في هذه الآية لرجحان النفع والخير على جانب الشر<sup>(٢)</sup>.

وبما كان عليه النبي ﷺ وصحابته رضِيَ اللهُ عَنْهُمْ من الصبر على البلاء الذي اتصفوا به في حادثة الإفك يستنير الداعية، ويستنبط الفوائد، ومنها:

١- الداعية يُدرك أهمية التحلي بالصبر على البلاء من خلال سير الأنبياء ﷺ؛ لأنهم أشدُّ الخلق ابتلاء، وهم أهل الدعوة إلى الله تعالى.

٢- مقوم الصبر على البلاء يحفظ الداعية إلى الله تعالى عن الوقوع في كثير من الأخطاء، والتي قد تشوّه صورته ودعوته وكل من ينتسب إليها لدى المدعويين.

٣- الصبر على البلاء إذا تمثله الداعية إلى الله تعالى فاز في الاختبار الذي يبتلي الله ﷻ به أوليائه وأصفياه، وَمِنْ ثَمَّ يُثَبِّتْ بعمله صدقه في إيمانه بقضاء الله وقدره، وينفي عن نفسه الكذب، وينال البشارة من الله ﷻ بالجنة؛ بسبب صبره.

٤- من أسمى معاني الصبر على البلاء لدى الداعية إلى الله تعالى ألا يرى الله ﷻ منه حال ابتلائه التسخط والتشكي والتضجر.

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٤٠)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٨١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٩٨)، أحكام القرآن (٦/ ٣٢).

٥- الداعية المتأمل يلاحظ أحوال ومواقف النبي ﷺ وأهل بيته في هذه الحادثة مما عانوه من ألم البلاء، وكيف كان صبرهم عليه، فيستنتج أنَّ من الحكمة الإلهية في تقدير البلاء على خير خلقه محمد رسول الله ﷺ وزوجته الطاهرة ﷺ أنَّ الدعاة إلى الله تعالى مُعَرَّضُونَ لوقوع البلاء عليهم، ولذلك يتحلَّى بمَقْوَم الصبر على البلاء، ويهيئ نفسه للاتصاف والتحلي به متى ما حصل له قريب من ذلك البلاء، ويحتسب الأجر في تحمُّل ألم البلاء.







## المبحث الثاني

### العفو والصفح

العفو والصفح عن الناس من أجل ضروب فعل الخير<sup>(١)</sup>، وفيهما «من الحلاوة والطمأنينة والسكينة، وشرف النفس وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام، ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام»<sup>(٢)</sup>.

و(العَفْو) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المجرد (عَفَا)، يقال: (عَفَا، يَعْفُو، عَفْوًا، وَعُفُوءًا، وَعَفَاءً)، فهو (عَافٍ، وَعَفُوٌّ)<sup>(٣)</sup>، وأصل مادته: العين والفاء والواو المعتل؛ وهما أصلان صحيحان يدلُّ أحدهما على: ترك الشيء، والآخر على: طَلَبِهِ<sup>(٤)</sup>، وقيل: بل أصل مادة الباب تدلُّ على: القَصْدُ لتناول الشيء. ومن ذلك: قولهم (عَفَّتْ) الرِّيحُ الدَّارَ: قصدها متناولَةً آثارَهَا، و(عَفُوتُ عنه): قصدتُ إزالةَ ذنبه صارفًا عنه، و(العَفْو): التجافي عن الذَّنْبِ<sup>(٥)</sup>.

وفي الشَّرْع: التجاوز والتجافي عن الذَّنْبِ، وترك العقاب عليه<sup>(٦)</sup>.

و(الصَّفْح) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المجرد (صَفَحَ)، يقال: (صَفَحَ عنه، يَصْفَحُ، صَفْحًا)، فهو (صَفَّاحٌ، وَصَفَّاحٌ)<sup>(٧)</sup>، وأصل مادته: الصاد والفاء والحاء؛ وهو

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٥٨).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/٣١٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٢٦٥)، المصباح المنير (٢/٤١٩).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤/٥٦).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٢/١٠٤).

(٦) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢/١٠٤)، التعريفات ص: (٥١٨).

(٧) المحكم والمحيط الأعظم (٣/١٦٣)، المخصص (٤/٥٤).

أصل صحيح مُطَرِّد يدل على: عَرَضَ وَعَرَضَ. ومن ذلك: (صَفَحَ) عنه: أَعْرَضَ عنه؛ لأنه إذا أَعْرَضَ عنه فكأنه قد ولاه صفحته وُصِفَحه -أي: عُرِضَ وجانبه-<sup>(١)</sup>، وقيل: أوليته مني صفحة جميلة معرضاً عن ذنبه، أو: لقيت صفحته متجافياً عنه<sup>(٢)</sup>.

وفي الشرع: ترك التأنيب والتثريب على الذنب، وهو أبلغ من (العفو)؛ لأنَّ الإنسان قد يعفو ولا يصفح<sup>(٣)</sup>.

١- والعفو والصفح من أزكى الأخلاق وأعلاها وأفضلها، وقد جاء الكتاب والسنة بفضلهما والحث على الاتصاف بهما، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، «دلَّت هذه الآية على أنَّ كظم الغيظ والعفو عن الناس من صفات أهل الجنة، وكفى بذلك حثاً على ذلك، ودلَّت أيضاً على أنَّ ذلك من الإحسان الذي يحبُّ الله المتصفين به»<sup>(٤)</sup>.

٢- وفي بيان عاقبة العفو والصفح، وأنها من أسباب الحصول على عفو الله ومغفرته ورحمته يقول تعالى: ﴿وَإِن تَعَفُّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن: ١٤)، «لأنَّ الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عفا الله عنه، ومن صفح صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم،

(١) تهذيب اللغة (٤/٢٥٦)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/٣٨٣)، معجم مقاييس اللغة (٣/٢٩٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٤).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٨٣).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٨٣)، معجم مقاييس العلوم في الحدود والرسوم ص: (٢٠٣)، الكليات ص: (٥٦٢)، التوقيف على مهمات التعاريف ص: (٤٥٧).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/١٨١).



نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره»<sup>(١)</sup>.

ويقول في الآية الواردة في حادثة الإفك: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢) فذكر الله فيها: «ترغيباً عظيماً لمن عفا وصفح، فقال: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بسبب عفوكم وصفحكم عن الفاعلين للإساءة: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: كثير المغفرة والرحمة لعباده مع كثرة ذنوبهم، فكيف لا يقتدي العباد برم في العفو والصفح عن المسيئين إليهم؟»<sup>(٢)</sup>.

٣- وَيَبَيِّنُ اللَّهُ ﷻ الْمَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ لِلاتِّصَافِ بِالْعَفْوِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء: ١٤٩)، «وإنما يعني بذلك: أَنَّ اللَّهَ لم يزل ذا عفو عن عباده مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إياه، يقول: فاعفوا أنتم أيضًا -أيها الناس- عمن أتى إليكم ظلماً، ولا تجهروا له بالسوء من القول، وإن قدرتم على الإساءة إليه، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره»<sup>(٣)</sup>، «وقد بيّن تعالى في هذه الآية أَنَّ العفو مع القدرة من صفاته تعالى، وكفى بذلك حثاً عليه»<sup>(٤)</sup>.

٤- ولقد ندب النبي ﷺ أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للعفو والصفح ببيان أنها من أسباب الرفعة والعلوِّ وكمال المنزلة والقدر، فقال: «يا أبا بكر ثلاثٌ كلَّهنَّ حق: ما من عبد ظلم بمظلمةٍ فيغضي عنها الله ﷻ إلا أعزَّ الله بها نصره، وما فتح رجلٌ باب عطيةٍ يريد بها صلةً إلا زاده الله بها كثرةً، وما فتح رجلٌ باب مسألةٍ يريد بها كثرةً إلا زاده الله بها قلةً»<sup>(٥)</sup>.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٨٦٨).

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (٤/ ٢٥).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧/ ٦٣٢).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ١٨١).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٣٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٣١).

٥- وَيَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لِأَمَّتِهِ عَظِيمَ فَضْلٍ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ بِأَنْهَذَا مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: «مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَاةَ اللَّهِ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»<sup>(١)</sup>.

٦- بَلْ نَدَّبَ اللَّهُ عِبَادَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ مِنْ سَجَايَاهُمْ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، «أَيُّ: سَجِيَّتِهِمْ وَخَلَقَهُمْ وَطَبَعَهُمْ تَقْتَضِي الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ، لَيْسَ سَجِيَّتَهُمُ الْإِنْتِقَامُ مِنَ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

وَالدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ ﷻ أَوْلَى النَّاسِ بِالتَّحْلِيِّ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ فِي دَعْوَتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَمَرَ بِذَلِكَ نَبِيَهُ ﷺ - وَهُوَ الْقُدْوَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِمْ - فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، «وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا عِتَابَ مَعَهُ»<sup>(٣)</sup>، وَالْمَعْنَى: «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ إِعْرَاضًا جَمِيلًا وَاعْفَ عَنْهُمْ عَفْوًا حَسَنًا»<sup>(٤)</sup>، وَوَصَفَهُ فِي التَّوْرَةِ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحَرًّا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفُظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابَ بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ وَلَكِنْ يَعْفو وَيَصْفَحُ...»<sup>(٥)</sup>.

وَكَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ - وَهُمْ سَلَفُ الدَّعَاةِ - مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ تَطْبِيقًا لِهَذَا الْمَقْوَمِ الْعَظِيمِ لِلدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ، فَذَكَرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ انْجِلَاءِ فَتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ: «كُلٌّ مِنْ ذَكَرْنِي فِي حِلٍّ إِلَّا مُبْتَدِعًا، وَقَدْ جَعَلْتُ أَبَا إِسْحَاقَ - يَعْنِي:

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي السَّنَنِ (٢/ ١٤٠٠) رَقْمٌ: (٤١٨٦)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ لِغَيْرِهِ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (٢٧٥٣).

(٢) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ (٧/ ٢١٠).

(٣) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ بَيْنَ مَنَازِلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٢/ ١٦٠).

(٤) جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ (١٤/ ١٠٦).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦/ ١٦٩، ١٧٠) رَقْمٌ: (٤٨٣٨).



المعتصم - في حل، ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعتفو في قصة مسطح. قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سببك»<sup>(١)</sup>.

وحادثة الإفك - مع ما فيها من الصور المختلفة والمتعددة للعدوان والظلم والافتراء والتجني - امتلأت في ثناياها وآثارها اللاحقة بأعظم صور العفو والصفح في مناسبات عديدة:

١ - فأول ما يُبدأ به من ذلك ويُذكر: ما ذكره الله في كتابه عن نفسه ﷻ بأن عفوهُ سبحانه كان من موانع إنزاله العذاب على من خاض في الإفك؛ فـ«يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الخائضون في أمر عائشة، المشيعون فيها الكذب والاثم، بتركه تعجيل عقوبتكم ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ إياكم لعفوه عنكم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك؛ ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا﴾ خضتم فيه من أمرها عاجلاً في الدنيا ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾»<sup>(٢)</sup>.

ويتكرر ذكر العفو الإلهي مرة أخرى فيقول ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]، «يقول تعالى ذكره: ولولا أن تفضل الله عليكم أيها الناس ورحمكم، وأن الله ذو رأفة، ذو رحمة بخلقه؛ هلكتم فيما أفضتم فيه، وعاجلتكم من الله العقوبة»<sup>(٣)</sup>.

٢ - وعندما مات عبد الله بن أبي بن سلول - وهو الذي تولى كبر الإفك اختلاقاً وإشاعةً -، صلى عليه النبي ﷺ صلاة الجنازة واستغفر له، وقال: إنه قد قيل لي:

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦١).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤/ ١٠٦).

(٣) المصدر السابق (١٧/ ٢٢٠).

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، فأنا استغفر لهم سبعين وسبعين وسبعين، وألبسه قميصه وهو عَرَق<sup>(١)</sup>.

فكان في فعله ﷺ أعظم تطبيقٍ للعفو والصفح عن ذلك الذي كان يتربّص به حتى بلغت به الجرأة أن آذاه في زوجه وعرضه الشريف.

٣- وأمر الله سبحانه أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَغْفِرَ وَيَصْفَحَ عَنْ مَسْطَحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مع كونه ممن خاض في الإفك في حق ابنته - فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] يقول: وليعفوا عما كان منهم إليهم من جُرم، وذلك كجرم مَسْطَحٍ إلى أبي بكر في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك، ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ يقول: وليتركوا عقوبتهم على ذلك بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها (والله غفور) لذنوب من أطاعه واتباع أمره، (رحيم) بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها<sup>(٢)</sup>.

«وكان مسطح يتيماً في حجر أبي بكر ينفق عليه، فحلف لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً. فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولَؤُا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله. ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فقال أبو بكر: بلى والله يا رب، إني أحب أن تغفر لي وفاضت عيناه فبكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/٥٩٩، ٦٠٠)، من حديث الشعبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأصله في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخرجه البخاري (١٢٦٩، ٤٦٧٠، ٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/٢٢٣).

(٣) تاريخ الإسلام (٢/٢٧٢).



ففي الآية بيان عِظَم أهمية هذا المقوم للداعية إلى الله؛ إذ إنها تدل على أن «الجزء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك تغفر لك، وكما تصفح نصفحك عنك»<sup>(١)</sup>، وفيها أيضًا «تمثيلٌ وحجّةٌ، أي: كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم، فكذلك اغفروا لمن دونكم»<sup>(٢)</sup>.

٤- وكما عفا وصفح الصديق عن مسطح؛ عَفَتْ وَصَفَحَتْ ابنته الصديقة عن حسان بن ثابت رضي الله عنه، فبينما: «كانت في الطواف -ومعها أم حكيم بنت خالد بن العاص»<sup>(٣)</sup>، وأم حكيم بنت عبد الله بن أبي ربيعة<sup>(٤)</sup> -، فذكرتا حسان بن ثابت وسبته، فقالت عائشة: إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه... وبرأته من أن يكون افتري عليها، فقالتا: ألم يقل فيك؟ فقالت: لم يقل شيئاً<sup>(٥)</sup>، وقالت رضي الله عنها في مناسبة أخرى: «لعل الله أن يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاباً بصره في الدنيا -رحمةً ورقّةً عليه-»<sup>(٦)</sup>.

٥- ومما يُستأنس به في هذا المقام: ما أعقبته حادثة الإفك من تربية النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم على العفو والصفح، فرُوي أنه بعد أن انتهى أمر الإفك ببراءة أم المؤمنين

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٠٨).

(٣) هي -فيما يظهر والله أعلم-: أم حكيم بنت خالد بن هشام بن العاص بن هشام بن مغيرة المخزومي، زوجة هشام بن يحيى بن هشام بن العاص، ولدت له يحيى وعبد الرحمن وإسماعيل. ولم أقف على ترجمة لها أكثر من هذا. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٧٥).

(٤) هي -فيما يظهر والله أعلم-: أم حكيم بنت عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، والدها صحابي معروف مترجم في الإصابة (٤/ ٧٩)، ولم أقف لها على ترجمة.

(٥) أسد الغابة (٢/ ٦).

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره (٨/ ٥٠٤٤).

عائشة رضي الله عنها، وأطفأ الله نار الفتنة التي أوقدها المنافقون، «مكث رسول الله ﷺ أياماً، ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر فخرج يقود به حتى دخل به على سعد بن عبادة ومن معه، فتحدثا عنده ساعة، وقرب سعد بن عبادة طعاماً، فأصاب منه رسول الله ﷺ وسعد بن معاذ ومن معه، ثم خرج رسول الله ﷺ، فمكث أياماً، ثم أخذ بيد سعد بن عبادة، ونفر معه فانطلق به حتى دخل منزل سعد بن معاذ، فتحدثا ساعة، وقرب سعد بن معاذ طعاماً، فأصاب رسول الله ﷺ وسعد بن عبادة ومن معهم، ثم خرج رسول الله ﷺ. وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ لأن يذهب ما كان في أنفسهم من ذلك القول الذي تقاولوا»<sup>(١)</sup>.

لقد أفادت حادثة الإفك أن العفو والصفح من أعظم مقومات الداعية إلى الله، فقد دلت على أهمية الاتصاف والتحلي بالعفو والصفح عن المسيء، وأن من أحسن إلى من أساء إليه، أو صفح عنه وقعت له المغفرة بذلك من الذنوب<sup>(٢)</sup>.

كما أنه يُستفاد منها الدروس والعبر الآتية:

- ١- يُدرك الداعية إلى الله تعالى أهمية العفو؛ لعلّهم أن الله ﷻ مُتَّصِفٌ به، ويحبّه، ويجازي عليه بالعتاء العظيم.
- ٢- مِنْ أَهَمِّ الصِّفَاتِ الَّتِي تُحِبُّ الْمَدْعُوِينَ فِي الدَّاعِيَةِ: اتِّصَافُهُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ.
- ٣- بما أنه لا نجاح للداعية في دعوته إلا من خلال سلوك نهج النبي ﷺ في

(١) ذكره الواقدي في المغازي (٢/ ٤٣٥) بلا إسناد؛ وإنما صدره بقوله: «قالوا! الواقدي متروك! ولم أقف عليه عند غيره. وإن كان إسناده هو نفسه إسناد قصة الإفك (٢/ ٤٢٦)؛ فالإسناد من فوق الواقدي ضعيف أيضاً.

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ١١٨)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٤٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٨١).





دعوته، فإنه يجب عليه التحلي بالعتفو والصفح.

٤- العفو والصفح عند المقدرة على الاقتصاص من الظالم المتعمد أو المخطئ الجاهل من أعلى مقومات الداعية.

٥- يستشعر الداعية تلك المواقف العظيمة التي تحلّ بها كلُّ من النبي ﷺ، وزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ مع الخائضين في الإفك، والتي تجسدت فيها أعلى معاني العفو والصفح، فحين يواجه الداعية إلى الله تعالى ابتلاءات من المدعوين أو الأعداء أو غيرهم -ومنها ما قد ينال من شرفه وعرضه- فإنه يتحلّى بالعتفو والصفح، ويُقدّم مراد الله عز وجل على مراده، ويحتسب ذلك طاعة لله عز وجل؛ لأنّه يعلم أنّ عفوّه وصفحته عنهم موجبٌ لمغفرة الله عز وجل له منه وتكرماً منه سبحانه.



## المبحث الثالث

### حسن الظن بالله

«حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه، فإن العبد إنها يحمله على حسن العمل ظنه بربه أن يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها، ويتقبلها منه، فالذي حمّله على العمل حسن الظن، فكلما حسن ظنه حسن عمله»<sup>(١)</sup>.

و(الظَّنُّ) في اللغة: مَصْدَرُ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمَضَعَّفِ (ظَنَّ)، وَأَصْلُ مَادَتِهِ: الظَّاءُ وَالنُّونُ؛ وَهُوَ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ: يَقِينٌ وَشَكٌّ<sup>(٢)</sup>، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَيِّقِينَ عِيَانٍ؛ إِنَّمَا هُوَ يَقِينٌ تَدْبِيرٌ، فَأَمَّا يَقِينُ الْعِيَانِ فَلَا يُقَالُ فِيهِ إِلَّا (عَلِمَ)<sup>(٣)</sup>.

فَمِنْ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ: يُقَالُ: (ظَنَنْتُ) ظَنًّا: أَيقَنْتُ، وَ(مَظَنَّةٌ) الشَّيْءُ: مَعْلَمُهُ وَمَكَانُهُ وَمَأْلَفُهُ الَّذِي يُظَنُّ كَوْنُهُ فِيهِ، وَالْجَمْعُ: مَظَانٌّ<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ الْأَصْلِ الثَّانِي: (ظَنَنْتُ) الشَّيْءُ: إِذَا لَمْ تَتَيَقَّنْهُ، وَ(الظَّنَّةُ): التُّهْمَةُ<sup>(٥)</sup>. فَ(الظَّنُّ): اسْمٌ لَمَّا يَحْصُلُ عَنْ أَمَارَةٍ، وَمَتَى قَوِيَتْ أَدَّتْ إِلَى الْعِلْمِ، وَمَتَى ضَعُفَتْ جَدًّا لَمْ يَتَجَاوَزْ حَدَ التَّوَهُّمِ<sup>(٦)</sup>.

(١) الداء والدواء ص: (٤٨).

(٢) تهذيب اللغة (١٤/٣٦٢)، معجم مقاييس اللغة (٣/٤٦٢)، المحكم والمحيط الأعظم (١٠/٨).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (١٠/٨).

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/٢١٦١)، معجم مقاييس اللغة (٣/٤٦٢)، المصباح المنير (٢/٣٨٦).

(٥) العين (٨/١٥١)، تهذيب اللغة (١٤/٣٦٣)، المحيط في اللغة (١٠/١٢)، معجم مقاييس اللغة (٣/٤٦٢)، أساس البلاغة (١/٦٢٨).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٥٤).



ومعنى (حُسْنُ الظَّنِّ بالله تعالى): أن يَظُنَّ أن الله تعالى يرحمه ويعفو عنه، ويكون في حالة الصحة خائفاً راجياً، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح. فإذا دَنَتْ أمارات الموت غلبَ الرجاء أو مُحَضَّه<sup>(١)</sup>.

والأشمل من ذلك: أن معناه: ظنُّ الإجابة عند الدُّعاء، وظنُّ القبول عند التوبة، وظنُّ المغفرة عند الاستغفار، وظنُّ قبول الأعمال عند فعلها على شروطها؛ تَمَسُّكاً بصادق وَعْدِهِ سبحانه وجزيل فضله<sup>(٢)</sup>.

وهذا المعنى العظيم جاءت الآيات والأحاديث في بيان فضله وأهميته، ومن ذلك:

١- أن الله جعله من صفات المؤمنين وأهل الجنة، فقال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، وإنما كان ذلك «لأنهم لم يعاينوا، فكان ظنهم يقيناً، وليس ظناً في شك»<sup>(٣)</sup>، وقال ﷺ في شأن المؤمن: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾<sup>(٤)</sup> [الحاقة: ٢٠]، وهذه نتيجة منطقية؛ لأنَّ «المؤمن أحسنَ الظن بربه فأحسنَ العمل، وإنَّ المنافق أساءَ الظنَّ بربه فأساءَ العمل»<sup>(٥)</sup>.

٢- وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي»<sup>(٥)</sup>، أي: «بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب، وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ٢١٠)، المجموع شرح المذهب (٥/ ١٠٨)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٣٠١)، فيض القدير (٢/ ٤٤٦، ٦/ ٤٥٥)، عون المعبود (٨/ ٢٦٥)، تحفة الأحوذني (٧/ ٥٣) (١٠/ ٥٠).

(٢) المُفْهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٥).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ٦٢٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٧٠).

(٥) أخرجه البخاري (٩/ ١٤٨) رقم: (٧٤٠٥)، ومسلم (٨/ ٦٢) رقم: (٦٩٨١).

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/ ٢).

٣- وعن النبي ﷺ قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله»<sup>(١)</sup>.

كما تظهر أهمية حسن الظن بالله مما يشتمل عليه أو ينتج عنه من المعاني الإيمانية العظيمة، وكذلك مما له من عواقب حميدة في الدارين، ومن ذلك:

١- أن حسن ظن المؤمنين بالله هو «الذي خفف عليهم العبادات، وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفّس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العليات»<sup>(٢)</sup>.

٢- أنه «كلما كان العبد حسن الظن بالله، حسن الرجاء له، صادق التوكل عليه؛ فإن الله لا يخيب أمله فيه ألبتة، فإنه سبحانه لا يخيب أمل آمل، ولا يضع عمل عامل»<sup>(٣)</sup>.

٣- أنه يورث المؤمن عظيم التوكل والرجاء بالله ﷻ، «فعلى قدر حسن ظنه بربه ورجائه له يكون توكله عليه، ولذلك فسّر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه؛ إذ لا يُتصوّر التوكل على من ساء الظنُّ به، ولا توكل على من لا ترجوه»<sup>(٤)</sup>.

٤- أنه «لا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإنَّ المحسِّنَ حَسَنُ الظنِّ برَّبه أن يجازيه على إحسانه ولا يُخلف وعده، ويقبل توبته»<sup>(٥)</sup>.

ومن أعظم مواقف الصحابة التي ظهرت فيها عاقبة حسن الظن بالله: قصة

(١) أخرجه مسلم (١٦٥/٨) رقم: (٧٤١٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٥١).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/٤٧١).

(٤) المصدر السابق (٢/١٢١).

(٥) الداء والدواء ص: (٤٢).



الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فإنهم لما اشتد بهم البلاء، ورأوا ابتعاد المجتمع المؤمن من الصحابة عنهم طاعة لله ﷻ؛ أحسنوا الظنّ برهم سبحانه، فأثنى الله عليهم فقال: ﴿وَطَنُّوْا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، ف«أيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجأون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء بتخلفهم خلاف رسول الله ﷺ، ينجيهم من كربه، ولا مما يحذرون من عذاب الله، إلا الله»<sup>(١)</sup>، فأنزل الله عليهم رحمته فتاب عليهم.

وهذه الفضائل والمزايا الرفيعة لحسن الظن بالله؛ تجعله من أهم المقومات التي يجب أن يتحلى بها الداعية.

وفي حادثة الإفك اشتدّ البلاء بالبيت النبوي على صاحبه أفضل صلاة وأزكى تسليم، وبيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي كلا البيتين الطاهرين عانت الزوجة وال بنت عائشة رضي الله عنها أشدّ الألم والمعاناة في مواقف متعددة متلاحقة متتابعة، وذلك: «لتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتدّ الفاقة والرغبة منها ومن أبويها، والافتقار إلى الله، والذل له، وحسنُ الظنِّ به»<sup>(٢)</sup>، حتى جاء ذلك الموقف العصيب الذي سألها فيه النبي ﷺ عما يتكلمُ الناس به، والأبوان في غاية الحزن؛ لما يريان من الأسى الذي اعترى ابنتهما، حتى إنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقول: «فجعلتُ أنظرُ إلى رسول الله ﷺ فأخشى أن ينزل من السماء ما لا مرد له، وأنظرُ إلى وجه عائشة فإذا هو منبِق فيطمعني ذلك منها»<sup>(٣)</sup>، وأم المؤمنين في ذلك الموقف العصيب لا تجدُ لها ملاذًا ومُلْتَجئًا إلا الله سبحانه، فيتعلّق قلبها وروحها به، ولا تظن به إلا أنه سينصرها

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢/ ٥٤).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٦٢).

(٣) سبق تخريجه ص: (١١٩).

ويظهر براءتها ولا يظلمها، فتقول: «ثمَّ تحولت فاضطجعتُ على فراشي، وأنا والله حينئذٍ أعلم أنَّي بريئة، وأنَّ الله مبرئي براءتي»، وفي رواية: «فأما أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيت -يعني: عند رؤية أمارات نزول الوحي على رسول الله ﷺ- فوالله ما فزعتُ ولا باليتُ (وفي رواية الواقدي: فوالله لقد فرحتُ به)، قد عرفتُ أني بريئة وأن الله ﷻ غير ظالمي»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «فأما أنا حين رأيتُ من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت ولا باليتُ، قد عرفت أني بريئة، وأن الله ﷻ غير ظالمي»<sup>(٢)</sup>.

كما كانت في الحادثة صورة أخرى من صور حسن الظن بالله، وهي حسن ظن الصحابة بأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فمن حسن الظن بالله: أن نَظَنُّ أنه سبحانه وتعالى لا يُقدِّر هذا ولا يرضاه لزوجة نبيه ومصطفاه ﷺ، وفي هذا إحسان ظنٌّ بأُمِّنا رَضِيَ اللهُ عنها أيضًا. فالواجب على كلِّ مسلم: وذلك أنه من حسن الظنِّ بالله ﷻ «حُسْنُ الظنِّ بالمسلمين، لا سيَّما بأهل الفضل، وأنَّه لا يلتفت إلى افتراء مفترٍ عليهم، كما اعتقده جمهور المسلمين في شأن عائشة»<sup>(٣)</sup>، كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

وفي المقابل عاتب الله ﷻ الذين حسبوا الخوض في الإفك أمرًا هينًا؛ لكونكم أيها الخائضون «تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيرًا سهلاً ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هينًا، فكيف وهي زوجة النبي الأمي، خاتم الأنبياء وسيد

(١) أخرجه محمد بن إسحاق في سيرته (٢/٣٠٢ - ابن هشام) -ومن طريقه: الطبري في تاريخه (٢/١١٤-)، والواقدي في المغازي (٢/٤٣٣)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، ومن حديث غيره. وصحح إسناده الألباني في تخريج فقهِ السيرة للغزالي (ص: ٢٢٤).

(٢) سبق تخريجه ص: (١١٨).

(٣) إكمال العلم بفوائد مسلم (٨/٢٨٩).



المرسلين، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة رسوله ما قيل! الله يغار لهذا، وهو سبحانه وتعالى، لا يُقدَّر على زوجة نبي من أنبيائه ذلك، حاشاً وكلاً ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة؟! ولهذا قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] <sup>(١)</sup>.

وثمة صورة ثالثة أيضاً، هي أن جُلَّ الصحابة الأَطهار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يحسنون الظنَّ بالله ﷻ من خلال تنزيهه سبحانه عن أن يُقدَّر على رسوله وخيرته من خلقه وزوجه الطاهرة المعروفة بالخير والشرف ذلك الإفك المبين الذي افتراه المنافقون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

لقد كان في هذه الصور فوائد ودروس وعبر لا يستغني عنها الداعية في دعوته، ومنها:

- ١- ينبغي للداعية أن يجعل حسن الظن بالله رفيقه وأُنيسه، فيصطحبه في كل أحواله وشؤونه في دعوته.
- ٢- إن حسن الظن بالله من أعظم ما ينجي الداعية إلى الله تعالى عند اشتداد البلاء ونزول المصائب عليه.
- ٣- لكي يحصل الداعية إلى الله تعالى على حُسن الظنَّ بالله ﷻ يلزمه إحسان العمل، ومنه: الاهتمام بالأعمال القلبية كالتوكل والإنابة والإخلاص.
- ٤- من إحسان الظنَّ بالله ﷻ إحسان الظنَّ بالمؤمنين، والداعية يُدرك أهمية ذلك في مجاله الدعوي.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٨).

٥- الداعية إلى الله تعالى وهو يقرأ تلك المواقف المؤلمة بأحداثها، والمفيدة بنتائجها، والتي تألم منها البيتان الطاهران (بيتُ الرسول ﷺ وبيتُ أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، ليدرك أهمية حُسن الظنِّ بالله ﷻ وآثاره الحسنة، فإذا قَدَّرَ الله ﷻ عليه موقفاً فيه بلاء فإنه يحسنُ الظنَّ بربه، ويتذكر حينها كل عملٍ صالح قام به الله ﷻ، ويطمئن حينها أنَّ ربَّه لن يخذله، وأنه ناصرُه ومؤيِّده.







## المبحث الرابع

### الرجاء بالله

الرجاء بالله من أجل المنازل وأعلاها وأشرفها، وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله<sup>(١)</sup>.

و(الرَّجَاء) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المجرد (رَجَا)، يقال: (رجا، يرجو، رَجَوْا، وَرَجَاءً)، فهو (راجٍ)، والشيء (مَرْجُوءٌ)<sup>(٢)</sup>، وأصل مادته: الرء والجيم والألف المعتل؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على: الأمل<sup>(٣)</sup>، يقال: (رجوتُ) الأمر، أرجوه، رجاءً، و(الرجاء): التوقُّع والأمل والإرادة<sup>(٤)</sup>، وهو نقيض اليأس<sup>(٥)</sup>، وقد يُستعمل بمعنى: الخوف -ومنه قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: تخافون الله عظمة-<sup>(٦)</sup>؛ فالرَّجاء والخوف متلازمان<sup>(٧)</sup>؛ لأنَّ الراجي يخاف أنه لا يُدرك ما يترجاه<sup>(٨)</sup>.

و(الرَّجَاء) في الاصطلاح: قريبٌ من معناه اللُّغوي؛ فهو: «ظنُّ يقتضي حصول ما

(١) انظر: مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين (٣٥/٢).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٣٥٣/٦)، المخصص (٢٨٢/١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٧/٢)، القاموس المحيط ص: (١٦٦٠)، المعجم الوسيط (٣٣٣/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤٩٤/٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤٩٤/٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٧/٢)، المصباح المنير (٢٢١/١).

(٥) العين (١٧٦/٦)، القاموس المحيط ص: (١٦٦٠).

(٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٣٥٣/٦)، مفردات ألفاظ القرآن (٣٨٩/١)، المصباح المنير (٢٢١/١).

(٧) مفردات ألفاظ القرآن (٣٨٩/١).

(٨) معجم الفروق اللغوية للعسكري ص: (٧٣)، المصباح المنير (٢٢١/١).

فيه مسرة»<sup>(١)</sup>، وقيل: «تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل»<sup>(٢)</sup>، وقيل: «هو الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه، إلا أن ظنه فيه أغلب، وليس هو من قبيل العلم»<sup>(٣)</sup>، وقيل: «الطمع فيما يمكن حصوله»<sup>(٤)</sup>، ومما يجمع هذه التعريفات: تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلاً، بحيث يترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما، فيظن حصول ما فيه مسرة»<sup>(٥)</sup>.

والرجاء بالله من أعظم الأعمال القلبية التي أمر الله بها ومدح من اتصف بها، ومما يبين أهميته وفضله:

١- أن الله جعله من الصفات اللازمة لمن أراد حُسن الاقتداء بالنبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢- وجعله الله من أسباب المغفرة الواسعة منه سبحانه، ففي الحديث القدسي فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه ﷻ: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي»<sup>(٦)</sup>.

(١) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٣٨٩).

(٢) التعريفات ص: (١٤٦).

(٣) معجم الفروق اللغوية ص: (٢٤٨).

(٤) الكلبيات ص: (٤٦٨).

(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (١/ ٣٥٦).

(٦) (٧) قطعة من حديث قدسي، أخرجه الترمذي (٥٤٨/ ٥) رقم: (٣٥٤٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وحسنه لغيره العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١/ ١٢٦) رقم: (١٢٧)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٤) رقم: (١٦١٦) و(٣/ ١٧٥) رقم: (٣٣٨٢).



٣- وأخبر تعالى عن خواص عباده الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقربون بعبادتهم إياهم إلى الله تعالى، فوصفهم بأفضل صفاتهم، وأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم، ومنها الرجاء<sup>(١)</sup>، فقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مُحَذَّرًا ۝٥٧﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

٤- وأثنى الله ﷻ على عباده المؤمنين المصلين المتصدقين بهذه الصفة الجليلة فقال ﷻ: ﴿يَرْجُونَ بُحْرَةً لَنْ تَبْجُرَ ۝٢٩﴾ [فاطر: ٢٩]، «أي: يرجون ثوابًا عند الله لا بد من حصوله»<sup>(٢)</sup>.

٥- وما يؤكد فضله كونه حُلَّةً الصالحين، فقد سأل النبي ﷺ بلالاً عند صلاة الفجر فقال له: «يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام منفعة؛ فإني سمعت الليلة خشف<sup>(٣)</sup> نعليك بين يدي في الجنة». قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي<sup>(٤)</sup>.

٦- أن في الرجاء بالله تعبدًا عظيمًا بأسماء الله، فالرجاء بالله له «تعلق بالله من حيث اسمه: المحسن البر، فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم والمعرفة بالله هو الذي أوجب للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري، فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وغلبة رحمته غضبه»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٤٥).

(٣) الخشفة بالسكون: الحِسُّ والحركة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٤).

(٤) أخرجه مسلم (٧/ ١٤٦) رقم: (٦٤٧٨).

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٢).

٧- أن للرجاء بالله من الآثار العظيمة في العمل والتعبد الشيء العظيم، ف«لولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا، بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات»<sup>(١)</sup>.

٨- أنه لا يمكن للعبد أن يعبد الله العبادة الصحيحة المشروعة الحقة إلا بالرجاء في الله مع محبته سبحانه والخوف منه، ف«الرجاء والخوف جناحان ما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كئود»<sup>(٢)</sup>، «فتأمل هذا الموضع حق التأمل يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة، فكل محبة مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه»<sup>(٣)</sup>.

والرجاء بجوانبه الثلاثة وهي: تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلاً، وترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما، وظن حصول ما فيه مسرة؛ تمثلته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين قالت: «ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يرثني الله ﷻ بها»، وفي رواية أخرى قالت: «فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت ولا باليت، قد عرفت أنني بريئة، وأن الله ﷻ غير ظالمي»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية قالت: «وأنا -والله- حينئذ أعلم أنني بريئة، وأن الله مبرئي براءتي»، ففي هذا الموقف العظيم:

\* كان قلبها متعلقاً بحصول ما تحبه فيما يستقبل ويأتي من الأحداث، وكان هذا المحبوب هو أن ينزل الله براءتها ويظهره على رؤوس الأشهاد وبين كافة الناس.

(١) المصدر السابق (٢/ ٤٢).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ١٤٢).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٣).

(٤) سبق تخريجه (١١٨).



\* وإنما كانت تترقب ذلك وتأمله وترجوه؛ لكونها تعلم من نفسها وجود ما يقتضي ذلك ويكون سبباً له، وهو أنها لم ترتكب جرماً، بل لم يخطر في بالها شيء مما أفك فيها، فقد كانت «بريئة غارة غافلة، لا تحتاط لشيء، ولا تتوقع شيئاً، فلا تجد ما يبرئها إلا أن ترجو في جناب الله، وتترقب أن يرى رسول الله رؤيا، تبرئها مما رميت به»<sup>(١)</sup>. كما أنها تعلم يقيناً وتؤمن بأن الله لا يظلمها وهو العدل سبحانه.

\* فغلب على ظنها حصول ما فيه مسرة وفرج لها من نزول براءتها برؤيا يريها الله نبيه ﷺ.

فتحققت فيها ﷺ هذه العبادة العظيمة التي هي من أعلى مقامات الأولياء والأصفياء، وكان ذلك من الحكيم العظيمة المستفادة من هذه الحادثة، وهي: أن «ينقطع رجاءها من المخلوقين، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق»<sup>(٢)</sup>، فيتمحّص رجاءها بالله تعالى.

«ولهذا وَفَّتْ هذا المقام حقه لما قال لها أبواها: قومي إليه -وقد أنزل الله عليه براءتها-، فقالت: والله لا أقوم إليه ولا أحد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي»<sup>(٣)</sup>؛ فإن من علامات اتصاف العبد بالرجاء حقاً وصدقاً: «أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر، راجياً لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا والآخرة، وتما عفو عنه في الآخرة»<sup>(٤)</sup>، وهذا ما أكدته بقولها ﷺ: «ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي».

وتحققت في الصديق ﷺ صورة عظيمة أخرى من صور الرجاء، وهي الرجاء بالله

(١) في ظلال القرآن (٤/ ٢٤٩٨).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٦٢).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٦٢).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٦).

من خلال رجاء ثوابه ومغفرته ورحمته، فإنه ﷺ لما قال بعد أن أنزل الله براءة ابنته: «والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال»، وعَلِمَ بالآيات التي نَزَلَتْ على النبي ﷺ وما فيها من ترغيب من ربه ﷻ له بمغفرة ذنبه إذا عفا وغفر عن مسطح، وفيها: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]؛ بادر إلى امتثال أمر ربه، وقدم طاعته على رغبة نفسه؛ من باب عظيم رجائه في ربه تبارك وتعالى، وقال: «بلى والله، إنا لنحب أن يغفر الله لنا»<sup>(١)</sup>، ولذا قال بعض العلماء: «هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

لقد كان في موقعي أم المؤمنين الصديقة وموقف أبيها الصديق ما يجب أن يتمعن فيه الداعية إلى الله، فيستفيد منه دروساً وعبراً تكون له نعم المعين في دعوته، ومنها:

١- الرجاء بالله ﷻ من أهم العبادات القلبية التي يجب على الداعية إلى الله ﷻ التحلي بها.

٢- الرجاء بالله له صور، منها: رجاء مغفرة الله وعفوه ورحمته، ورجاء نصره ورجاء تحقيق ما يأمله العبد في أمور حياته كافة، ورجاء الثواب على العمل الصالح، وكل هذه الصور يجب على الداعية أن يتحلى بها.

٣- لا يكون الرجاء بالله صحيحاً إلا إذا اقترن بالخوف منه سبحانه، وذلك مما يجعل الداعية حريصاً أشد الحرص على فعل الطاعات وترك المعاصي، فيعمل العمل وهو يرجو نصر الله ورحمته ومغفرته، ويخاف في الوقت نفسه ألا يقبل عمله أو ألا يحقق الله له رجاءه بسبب منه من فعل معصية أو ترك طاعة.

٤- الرجاء بالله يكون في جميع الأحوال، لكنه عند اشتداد البلوى يعظم ويقوى، وهذا من سمات الداعية المسدد بنور القرآن والسنة.

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/٢٠٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٠٨).



٥- من دلائل وجود صفة الرجاء في الداعية: أنّه إذا أحاط به الإحسان أُلْهِمَ الشكر لله ﷻ، فليتأمل الداعية في نفسه وحاله إذا حقق الله له رجاءه من نصرٍ أو تحقُّق مرغوب أو دخول مدعوٍّ في الدين أو رجوعه إلى الحق؛ هل هو:

\* ممن يشكر الله وحده على ذلك: فيكون ممن حقق الرجاء وأتى به صحيحًا، فيحمد الله على هذه النعمة أيضًا ويرجو مزيد فضله وتتابع توفيقه.

\* أو ينسب الفضل إلى نفسه أو ينسى شكر ربه: فيكون رجاءه ناقصًا أو زائفًا، وهذا من أعظم المصائب والمعائب، فإما أن يتوب إلى الله ويصلح من حاله، أو يكون على خطرٍ في نفسه وفي صدق دعوته وقبول الناس لها.

٦- من الصفات التي يتصف بها أهل الرجاء الصحيح بالله ﷻ، ويمتحن بها الداعية صدقه هو في الرجاء بالله: تقديم مراد الله ومراد رسوله ﷺ على مراد النفس رجاءً ما عنده سبحانه من الثواب.

٧- الداعية إلى الله تعالى قد يتعرّض لأمر يذهمه، إما بافتراءٍ هو منه بريء، أو موقف لم يحسب له حسابًا، ويجد نفسه تحت أصابع الاتهام من المجتمع الذي يحيط به، فليعلم أنه لا ملجأ له من الله إلا إليه، فليتخذ من الرجاء بالله مؤنسًا، فيخلص في رجائه بربه، ويمحضه، ويقطع رجاءه من أحدٍ إلا من الله، ويتقرب منه سبحانه النصر والفرج، ولا ينقطع عن ذلك طرفة عين، فإنه يوشك -بإذن الله- أن يرى من الله ما تقرر به عينه وتطمئن له نفسه.



## المبحث الخامس

### التواضع لله

«في التواضع مصلحة الدين والدنيا؛ فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالَت بينهم الشحناء، ولا استراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة»<sup>(١)</sup>.

و(التَّوَاضُّع) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المزيَد (تَوَاضَعَ)، وأصل مادته: الواو والضاد والعين؛ وهو أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطّه - وهو أعم من الخطّ -، يقال: (وَضَعْتُهُ) بالأرض وضعًا، و(وَضَعْتَ) المرأة ولدَها<sup>(٢)</sup>، و(وَضَعْتُ) عنه دَيْنَه: أسقطته<sup>(٣)</sup>، و(تواضع) الرجل لله: خضع وذَلَّ<sup>(٤)</sup>، و(التواضع): التذلل<sup>(٥)</sup>.

وفي الشَّرْع: «الاستسلام للحق، وترك الاعتراض على الحكم»<sup>(٦)</sup>، وقيل: «تذلل القلوب لعلام الغيوب، بالتسليم لمجاري أحكام الحق»<sup>(٧)</sup>، وقيل: «إظهار التَّنَزُّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه»<sup>(٨)</sup>. فيمكننا - على هذا - تعريف (التواضع لله تعالى) بما يشمل جانبين:

الأول - خشوع القلب لله تعالى، وإظهار التذلل له سبحانه، والاستسلام والانقياد المطلق لأوامره تعالى، وترك الاعتراض على أقداره.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ / ٣٤١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٦ / ١١٧)، مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٥٢٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥ / ١٩٨)، المصباح المنير (٢ / ٦٦٢).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٢ / ٢٩٥)، المصباح المنير (٢ / ٦٦٣).

(٥) العين (٢ / ١٩٦)، تهذيب اللغة (٣ / ٧٤)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣ / ١٣٠١).

(٦) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ص: (٢١٧).

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف ص (٢١٢)، وانظر: معجم مقاليد العلوم ص (٢١٧).

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣ / ٣٧٦).





والثاني- إظهار خفض الجناح ولين الجانب لمن هو مثله أو دونه من الخلق، وإظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وتعظيم من هو فوقه.

والتواضع من أرفع الأخلاق التي يحبها الله، وله في حياة المسلم الدينية والدنيوية والأخروية أهمية بالغة، وما يبين ذلك:

١- «أنَّ الجنة دار المتواضعين الخاشعين، لا دار المتكبرين الجبارين، سواء كانوا أغنياء أو فقراء»<sup>(١)</sup>، قال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٤]، قربنا تبارك وتعالى «ينخبأ أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون علوًّا في الأرض، أي: ترفعًا على خلق الله وتعظيمًا عليهم وتجبرًا بهم، ولا فسادًا فيهم»<sup>(٢)</sup>.

٢- أن التواضع لله ﷻ يُعلي قدر العبد ويزيد من درجته عند ربه وعند الخلق، قال النبي ﷺ: «من تواضع لله رفعه»<sup>(٣)</sup>.

٣- أن التواضع مطلب عظيم من مطالب الدين، ومقصد هام يتعين الوصول إلى تحقيقه بين المسلمين، كما في قول النبي ﷺ: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٢٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/٢٥٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/٤٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٢٨)، وفي صحيح الجامع (٦١٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (٨/١٦٠) رقم: (٧٤٨٩).

٤- وقد أمر الله به إمام الدعاة وقائدهم أفضل خلقه وأكرم رسله محمداً ﷺ في قوله ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨] أي: «أَلِنْ جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم»<sup>(١)</sup>.

٥- وهو من وصايا الأولياء والصالحين وأخلاقهم، فقال تعالى حاكياً وصية لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨]، أي: «لا تتكبر فتحقرَّ الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك»<sup>(٢)</sup>.

٦- وامتدح النبي ﷺ من اتصف به، وجعله من علامات إخلاصه وصدقه، فقال: «طوبى<sup>(٣)</sup> لعبد آخِذٍ بعنان<sup>(٤)</sup> فرسه في سبيل الله، أشعث<sup>(٥)</sup> رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة<sup>(٦)</sup> كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع»<sup>(٧)</sup>، «فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول ولزوم التواضع لله»<sup>(٨)</sup>.

وعلى هذا الخلق الرفيع كان صحابة رسول الله ﷺ، ومن أخبارهم في ذلك: أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قبل أن يتولى الخلافة- كان «يجلب للحبي أغنامهم، فلما بويع له

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٥٧).

(٢) معالم التنزيل (٦/ ٢٨٩).

(٣) طوبى: اسم الجنة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٤١).

(٤) العنان: اللجام الذي تمسك به الدابة. انظر لسان العرب (١٣/ ٢٩٠).

(٥) أشعث: أي لا يحتفل به لحقارته. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٨).

(٦) السَّاقَةُ: جمع سائق وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه. المصدر السابق (٢/ ٤٢٤).

(٧) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٥٧) رقم: (٢٧٣٠).

(٨) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ٨٤).



بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا يجلب لنا مَنَاحٍ<sup>(١)</sup> دارنا، فسمعها أبو بكر فقال: لعمرى لأحلبنها لكم، وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يجلب لهنَّ<sup>(٢)</sup>.

وكما كان الصديق متواضعاً كانت كذلك ابنته الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، فإننا عند التأمل في كلامها وهي تقول: «ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله ﷻ فيَّ بأمر يتلى»، وفي رواية: «وايم الله لأن كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنًا من أن ينزل فيَّ قرآنًا يقرؤه الناس في صلاتهم»<sup>(٣)</sup>؛ نجد ذلك المعنى العظيم من التواضع قد امتزج بقلبها وروحها، فظهر فيها عُمُقُ التواضع لله تبارك وتعالى بما يتضمنه من: تعظيم الله وإجلاله، والإيمان بتفردة بالفضل والإنعام، واحتقار النفس ومعرفة قدرها، «وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها، واستصغارها لنفسها...، فهذه صديقة الأمة، وأم المؤمنين، وحب رسول الله، وهي تعلم أنها بريئة مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون لها مفترون عليها، قد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله، وهذا كان احتقارها لنفسها، وتصغيرها لشأنها»<sup>(٤)</sup>.

ومن موقفها العظيم هذا استشهد العلماء على أهمية التواضع، وضرورة الاتصاف به، وأنه من الموازين التي تُعرف بها معادن الناس وصدقهم وإخلاصهم:

فقال القرطبي: «الذي يتعين على أهل الفضل والعلم والعبادة والمنزلة: احتقار أنفسهم، وترك الالتفات إلى أعمالهم ولا إلى أحوالهم، وتجريد النظر إلى لطف الله ومنته

(١) المنحة: بكسر الميم والمنحة بفتحها مع زيادة الياء هي العطية، وتكون في الحيوان وفي الثمار وغيرهما. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٠٦/٧).

(٢) طبقات ابن سعد (١٨٦/٣).

(٣) المغازي (٤٣٣/١).

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ﷺ (٢٣٩/١).

وعفوه ورحمته وكرمه ومغفرته.

وقد اغتر كثير من الجهال بالأعمال، فلاحظوا أنفسهم بعين استحقاق الكرامات وإجابة الدعوات، وزعموا أنهم ممن يتبرك بلقائهم، ويغتنم صالح دعائهم، وأنهم يجب احترامهم وتعظيمهم، فيتمسح بأثوابهم، وتقبل أيديهم، ويرون أن لهم من المكانة عند الله بحيث ينتقم لهم ممن تنقصهم في الحال، وأن يؤخذ من أساء الأدب عليهم من غير إمهال، وهذه كلها نتائج الجهل العميم، والعقل غير المستقيم، فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه، غافل عن جرمه وذنبه، مغتر بإمهال الله ﷻ له عن أخذه»<sup>(١)</sup>.

ولقد لازمت هذه الصفة الحميدة أم المؤمنين حتى وهي تجود بروحها، فلقد: «اشتكت فاستأذن ابن عباس عليها وأتاها يعودها، فقالت: الآن يدخل علي فيزكيني، فأذنت له، فقال: أبشري -يا أم المؤمنين-، تقدمين على فرط صدق: تقدمين على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر، قالت: أعوذ بالله أن تزكيني»<sup>(٢)</sup>.

إن هذا الخلق الرفيع من أعظم الأخلاق التي يجب أن يتصف بها الداعية، فهو من أعظم مقوماته في دعوته، كما أن عليه وهو يقرأ هذه المواقف الجليلة عن أم المؤمنين أن يستخرج منها ما يُفيد منه في دعوته، ومن ذلك:

١- من أهم ما يجب على الداعية لله ﷻ التحلي به حتى يؤثر في المدعوين: صفة التواضع لله ﷻ وللخلق.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٧/ ٣٧٤)، ولابن القيم كلام نحوه في جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ﷺ (١/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٧١) مختصراً، وأبو بكر الشافعي في فوائده الشهير بالغيلانيات (٨٩٥)، والإسماعيلي وأبو نعيم في المستخرج -كما في فتح الباري (٨/ ٤٨٤)-، من حديث القاسم بن محمد عن عائشة أنها اشتكت... فذكره.



- ٢- التواضع من الصفات التي يحبها الله ﷻ، وهي سمة بارزة في النبي ﷺ وأولياء الله الصالحين، ولذلك يحرص الداعية على الاتصاف بها.
- ٣- التواضع يُكسِبُ الداعية إلى الله ﷻ رفعة في الدارين.
- ٤- الداعية يأخذ عبرة وهو يقرأ هذا الموقف العصيب الذي مرَّ على أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكيف تجلَّى على نفسها ذلك التواضع، فيُصَوِّرُ لنفسه موقفًا شبيهًا له، ليعيش بفكره ويرى هل سيكون منه ذلك الكلام النفيس، فإن كان لا يستطيعه؛ فيحرص على تقويم شخصيته الدعوية بذلك الخلق القويم.



## المبحث السادس

### الصدق مع الله

«منزلة الصّدق من أعظم منازل القوم، الذي نشأ منه جميع منازل السالكين، وهو الطريق الأقوم الذي من لم يَسِرْ عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميّز أهل النّفاق من أهل الإيمان، وسكّان الجنان من أهل النّيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجهه باطلاً إلا أزاله وصرعه، فهو روح الأعمال، ومحلّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال»<sup>(١)</sup>.

و(الصّدق) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المجرد (صَدَقَ)، يقال: (صَدَقَ، يَصْدُقُ، صِدْقًا)، فهو (صَادِقٌ، وصدوقٌ)<sup>(٢)</sup>، وأصل مادته: الصاد والذال والقاف؛ وهو أصل صحيح يدلّ على: قوة في الشيء قولاً وغيره<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك: (الصّدق) وهو: نقيض الكذب؛ سَمِيَ بذلك لقوّته في نفسه، ولأنّ الكذب لا قوة له -وهو باطل-<sup>(٤)</sup>، و(الصّدّيق): الملازم للصّدق وكثير الصّدق<sup>(٥)</sup>، و(صَدَقَ) فلاناً الحديث والوعيد: أنبأه بالصّدق وصدّقه<sup>(٦)</sup>، و(صَدَقَهُ): قَبِلَ قوله

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٩٩١/٤).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (١٧٥/٨)، المصباح المنير (٣٣٥/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣٣٩/٣).

(٤) العين (٥٦/٥)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٥٠٦/٤)، معجم مقاييس اللغة (٣٣٩/٣)،

المحيط في اللغة (٢٥٧/٥)، المحكم والمحيط الأعظم (١٨٩/٦)، المصباح المنير (٣٣٥/١).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٣٣٩/٣)، المحيط في اللغة (٢٥٨/٥).

(٦) العين (٥٦/٥)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٥٠٦/٤)، المحيط في اللغة

(٢٥٧/٥)، المحكم والمحيط الأعظم (١٨٩/٦)، المصباح المنير (٣٣٥/١).



ونسبه إلى الصّدق<sup>(١)</sup>.

وفي الشّرع: «الإبانة عما يخبر به على ما كان»<sup>(٢)</sup>، وقيل: «قَوْل الحق في مواطن الهلاك»، وقيل: «أن تصدّق في موضع لا ينبغيك منه إلا الكذب»<sup>(٣)</sup>، وقيل: «تحرّي الصّواب في القول والعمل»<sup>(٤)</sup>؛ ولعلّ هذا التعريف الأخير هو المختار؛ لعمومه وشموله؛ فإن الصدق يكون في «القول والعمل والحال، فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها. والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرّأس على الجسد. والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص. واستفراغ الوسع وبذل الطّاقة»<sup>(٥)</sup>، وبذلك يظهر أن الصدق له جانبان: جانب بين العبد وربّه، وجانب بين العبد والخلق.

والصدق مع الله يقوم عليه الدين كله، فما من عمل من أعمال الدين إلا ويتوقف قبوله على وجود الصدق مع الله، فهو أول شرطٍ يجب توفّره لقبول العمل، ولأنّه من المعاني التي يشتمل عليها: الإخلاص، وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، ولذا؛ فلا عجب أن ترد الأدلة الكثيرة في الكتاب والسنة في بيان فضله وأهميته والتأكيد عليه، ومن ذلك:

١- أنه من أخصّ صفات المتقين، مدح الله ﷻ به الأنبياء ﷺ وأتباعهم المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله:

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ١٨٩)، المصباح المنير (١/ ٣٣٥).

(٢) التعريفات ص: (١٧٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ص: ٢٠٦).

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٧٠)، بتصرف يسير.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ كَلَّ من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسله والعمل بما ابتهت به رسوله من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائنًا من كان من نبي الله وأتباعه<sup>(١)</sup>.

٢- أن الله ﷻ أمر عباده المؤمنين به، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ففي هذه الآية يأمر الله ﷻ عباده المؤمنين أن يكونوا «مع من صدق الله الإيمان به، فحقق قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذب قيلهم فعلهم»<sup>(٢)</sup>.

٣- أن الله ﷻ: «جعل الصدق عَلمَ أهل الجنة وشعارهم»<sup>(٣)</sup>، كما في قوله ﷻ: «عليكم بالصدق، فإنه يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا»<sup>(٤)</sup>.

٤- أنه من أعظم أسباب حُسن الخاتمة، فقد جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ مسلمًا ومهاجرًا: «فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيًا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟، قالوا: قَسَمُ قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟، قال: قسمته لك، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكنني اتبعتك على أن أُرْمَى إلى ها هنا -وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠٦/٢٠).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦٧/١٢).

(٣) إعلام الموقعين (١١٩/١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩/٨) رقم: (٦٨٠٤).





فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فَأَتَى به النبي ﷺ يُحْمَلُ قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: أَهْوَهُو؟، قالوا: نعم، قال: صَدَقَ اللهُ فصدقه»<sup>(١)</sup>.

٥- أنه سبب من أسباب منجاة العبد من الهلكة إذا ضاقت به السبل، وادلهمت به الخطوب، كما في قصة النفر الثلاثة الذين انسدت بهم الصخرة، فإنه ما نجاهم الله من شدة الكرب إلا بصدقهم معه سبحانه في أعمالهم الصالحة التي توّسلوا بها إليه، فأنجاهم الله بها<sup>(٢)</sup>.

وكان الصدق في الأقوال والأفعال والنوايا من أعظم صفات النبي ﷺ قبل الإسلام، فقد عاش بين ظهراي المشركين أربعين سنة ما سمعوا عليه كذبةً واحدة، ولما صعدَ جبل الصفا وقال لهم: «أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مُصَدِّقِي؟»، قالوا: ما جرّبنا عليك كذباً<sup>(٣)</sup>.

وفي حادثة الإفك أشرقت مواقف الصحابة ذا الخلق النبيل، وأزيّنت بذلك العمل الصالح الجليل، فكانوا خير من يمثل أمر الله ورسوله في الصدق، سواء ما كان منه في جانب الله أو ما كان منه في جانب المخلوقين، ومن تلك المواقف:

#### ١- موقف صفوان بن المعطل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما وجد أم المؤمنين:

مما لا شك فيه أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كانوا على درجة عالية من الصدق مع الله ﷻ، ومن الشواهد على ذلك في حادثة الإفك: ذلك الموقف العظيم المؤثّر حين وجد

(١) أخرجه النسائي في سننه (٦٠/٤) رقم (١٩٥٣)، والحاكم في المستدرک (٥٩٥/٣)، وغيرهما، من حديث شداد بن الھاد -رضي الله عنه-، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٥٦)، وفي صحيح التريغيب والترھيب (١٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣/٨) رقم: (٥٩٧٤)، ومسلم (٨٩/٨) رقم: (٧١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢١/٦) رقم: (٤٩٧١)، ومسلم (١٣٤/١) رقم: (٥٢٩).

صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في العراء وحدها، فلم يتكلم معها بكلمة واحدة، بل: «استعمل معها الصمت اكتفاء بقرائن الحال؛ مبالغة منه في الأدب وإعظاماً لها وإجلالاً»<sup>(١)</sup>، وما كان منه إلا ما بيّنته رضي الله عنها في قولها: «فاسترجع وأعظم مكاني»<sup>(٢)</sup>، «أي: حين رأيي وحدي»<sup>(٣)</sup>، وهذا لا شك في أنه ناتج عن الصدق مع الله ﷻ، حيث ظهر في هذا الموقف معنى مراقبة الله سبحانه في السر كما هي في العلن، وظهر فيه أيضاً «حسن الأدب مع الأجنيات - لا سيما في الخلوة بهن عند الضرورة في برية أو غيرها، كما فعل صفوان من إبراكه الجمل من غير كلام ولا سؤال»<sup>(٤)</sup>.

## ٢- موقف الصحابة الذين استشارهم النبي ﷺ أو سألهم في أمر أم المؤمنين:

استشار النبي ﷺ بعض صحابته في أمر زوجه عائشة رضي الله عنها، «فأما أسامة ابن زيد رضي الله عنه فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود، فقال أسامة: «يا رسول الله، هم أهلك، ولا نعلم والله إلا خيراً»، فلم يكن يعلم في سابق أمرها وكذلك الظنُّ بها في مستقبل أمرها إلا الخير فقال، وذكرها عند رسول الله ﷺ بلفظ الجمع: «لإرادة تعظيمها»<sup>(٥)</sup>.

وكذلك الأمر في بريرة رضي الله عنها حين قالت: «والله لعائشة أطيب من طيب الذهب،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٣).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/١١١)، من حديث أبي أويس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، ومن حديث أبي أويس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عنها رضي الله عنها. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٣٦): "رجاله رجال الصحيح" اهـ.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٣).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١١٦).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٦٨).

وما بها عيب»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «والله لعائشة أطيب من طيب الذهب... ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله»<sup>(٢)</sup>.

فكلا الصحابين كان صادقاً فيما يعتقد، وصادقاً في نصحه ومشورته، وصادقاً في ذكر ما يعلمه.

٣- موقف أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وهي تُسأل عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:  
سأل رسول الله ﷺ زينب بنت جحش عن أمر عائشة رضي الله عنها، فقالت: «يا رسول الله؛ أحبي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً»، فكان موقفها هذا ناطقاً بالصدق مع الله، حيث صدقته سبحانه في خوفها منه ورعاية سمعها وبصرها عن معصيته سبحانه، وصدقته في بيان ما تعلمه من أمر عائشة رضي الله عنها، ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: «فعصمها الله بالورع»، أي: حفظها ومنعها مما تخشى سوء عاقبته بورعها ومحافظةها على دينها<sup>(٣)</sup>، والورع نتيجة من نتائج الصدق مع الله ﷻ وثمره من ثماره.

٤- موقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد أن أنزل الله براءتها:

من صفات الصادق مع الله ﷻ أنه متجرد في توحيده الله ﷻ ويرد الفضل لأهله، وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كذلك؛ فحين أنزل الله براءتها -بعد ما ألم بها

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٥٥٦/٢) رقم: (١١٣١)، والطبري في تفسيره (٢١١/١٧) -واللفظ له-، من رواية ابن حاطب عن علقمة وغيره عن عائشة رضي الله عنها. وإسناده صحيح. وأخرجه الواقدي في المغازي (٤٣٠/٢)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١١٣١)، والطبري في تفسيره (٢١١/١٧) -واللفظ له-، من رواية ابن حاطب عن علقمة وغيره عن عائشة رضي الله عنها. وإسناده صحيح.

وأخرجه الواقدي في المغازي (٤٣٠/٢)، من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٨/٨).

ذلك الخطب الجلل والبلاء العظيم مما أُنْفِكَ به عليها- أمرتها أمها بأن تشكر رسول الله ﷺ فأبت إلا أن تحمد الله وحده، وكان ذلك من عظيم فقهها وكمال إيمانها وصدقها مع الله سبحانه، وقد «أقرها النبي ﷺ وأبوها على مثل هذا الكلام الذي نفت فيه أن تحمد رسول الله ﷺ وأن تحمد أحداً إلا الله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الذي أنزل براءتها بغير فعل أحد، ولم يقل أحد: هذا سوء أدب عليه»<sup>(١)</sup>؛ لأن ذلك «إذا كان في سياق توحيد الرب سبحانه ونفي خصائصه عما سواه لم يجوز أن يقال: هذا سوء عبارة في حق من دون الله تعالى من الأنبياء والملائكة، فإن المقام أجل من ذلك، وكل ما سوى الله تعالى يتلاشى عند تجريد توحيده»<sup>(٢)</sup>.

لقد كان في هذه المواقف العظيمة مواعظ وعبر جليلة يفيد منها الداعية في دعوته ومنها:

١- الصدق مع الله ﷻ من أعظم مقومات الداعية إلى الله تعالى -إن لم يكن أعظمها على الإطلاق-؛ لأنه يشمل دعوة الداعية كلها: أولها وآخرها، وظاهرها وباطنها، وسابقها ولاحقها، وأفعالها القلبية والقولية والعملية، وما كان منها متعلقاً بالله سبحانه أو بخلقه.

٢- يجب على الداعية أن يستشعر دائماً عظيم آثار الصدق مع الله في نفسه وفي دعوته، وأنه يقتضي الولاية والنصرة المحققة من الله ﷻ، وهذه النصرة لها أشكال متعددة، فمنها ما أيد الله به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالوحي من السماء، ومنها ما رآته ورآه صفوان بن المعطل رضي الله عنه من تأييد غالب المجتمع المؤمن لهما، وعلى رأسهم النبي ﷺ حين اعتلى المنبر فأثنى عليهما بالخير وأقسم على ذلك فقال: «فوالله ما علمت على

(١) انظر: الرد على البكري (٢/٦٤٨).

(٢) المصدر السابق (٢/٦٤٧).



أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتَ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، فَذَلِكَ مِنَ النَّاتِجِ الْبَاهِرَةِ لِلصَّدَقِ مَعَ اللَّهِ ﷻ، وَبِذَلِكَ يَجْتَمِعُ لِلدَّاعِيَةِ الصَّادِقِ مَعَ اللَّهِ ﷻ الرِّفْعَةُ وَالشَّرَفُ وَالْفَوْزُ فِي الدَّارَيْنِ.

٣- الدَّاعِيَةُ إِلَى اللَّهِ ﷻ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ مَا يَكُونُ فِيهِ امْتِحَانٌ وَاجْتِبَارٌ لَهُ، فَيُعِدُّ الْعُدَّةَ لِذَلِكَ بِالصَّدَقِ مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَيُرَبِّي نَفْسَهُ وَيَهَيِّئُهَا عَلَى أَنَّهُ إِنْ نَزَلَ بِهِ الْبَلَاءُ كَانَ صَادِقًا مَعَ اللَّهِ فِي الْمَرَاqَبَةِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ مَا هُوَ مِنْ جِنْسِ مَا نَزَلَ بِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَاتُّهِمَ فِي عَرْضِهِ وَشَرَفِهِ وَاسْمِعَتْهُ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ؛ أَيَقِنُ أَنَّ فِيهَا أَسْلَفَ مِنَ الصَّدَقِ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَنَاجَاةَ لَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبِ، وَنَصْرَةً لَهُ وَلِدَعْوَتِهِ عَلَى مَنْ ظَلَمَ وَاعْتَدَى.



## المبحث السابع

### الثبت وعدم العجلة

«الأمور قسماً: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البيّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشككة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟، فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشروع عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ووزناته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها»<sup>(١)</sup>.

و(التَّثَبُّت) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المزيّد (تَثَبَّتَ)، وأصل مادته: التَّاء والباء والتاء؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على: دوام الشيء<sup>(٢)</sup>، يقال: (تَثَبَّتَ) فلانٌ بالمكان، يَثَبُّتُ، (ثَبَاتًا وَثُبُوتًا)، فهو (ثَابِتٌ، وَثَبَّتَ): أَقَامَ بِهِ<sup>(٣)</sup>، و(تَثَبَّتَ) في رأيه وأمره: إذا لم يَعَجَلْ وتَأَنَّى فيه، و(استثَبَّتَ) فيه: شَاوَرَ وَفَحَصَ عَنْهُ<sup>(٤)</sup>، ورجل (ثَبَّتَ) و(ثَبَّتَ): شُجَاعٌ وَقَوْرٌ ثَابِتٌ الْعَقْلُ<sup>(٥)</sup>.

وفي الاصطلاح: «الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»<sup>(٦)</sup>، وقيل: «تَفْرِغُ الوُسْع والجهد لمعرفة حقيقة الحال

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (١٩٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١/٣٩٩).

(٣) تهذيب اللغة (١٤/٢٦٧)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/٢٤٦)، معجم مقاييس اللغة (١/٣٩٩)، المحكم والمحيط الأعظم (٩/٤٧٣).

(٤) تهذيب اللغة (١٤/٢٦٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٩/٤٧٣).

(٥) تهذيب اللغة (١٤/٢٦٧)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/٢٤٦)، المحكم والمحيط الأعظم (٩/٤٧٣).

(٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (٥/٨٦).



المрад<sup>(١)</sup>، وهو ضد الإقدام والعجلة والتسرع<sup>(٢)</sup>.

والثبوت وعدم العجلة من أهم الصفات التي ينبغي للعبد أن يتحلى بها، ومما يبين أهميته:

٢- أن الشارع الحكيم أمر بالتحلي بالثبوت في مواقف عديدة، فقال ﷺ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]، ففي هذه الآية الكريمة «يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهاداً في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة»<sup>(٣)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

٣- وقال ﷺ: «التأني من الله تعالى، والعجلة من الشيطان»<sup>(٤)</sup>.

وفي حادثة الإفك كان الثبوت من الشار النافعة المفيدة الناتجة عنها، كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]، أي: حين أُمِرْتُمْ بالثبوت والتبيين والعِظَة<sup>(٥)</sup>، كما أن النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم كانوا أثناء الحادثة في أعلى درجات الثبوت وعدم العجلة، وقد دلّت على ذلك المواقف المختلفة، فأعرضها هاهنا بحسب من وقعت منه:

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٠/ ١٤٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (٣/ ٣٤٢)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٤/ ٧٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (١٩٤).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٠٤)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٤٧)، وحسنه الألباني في

صحيح الترغيب والترهيب (١٥٧٢).

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٤٤).

## ١ - مواقف النبي ﷺ التي تبين الثبوت وعدم العجلة:

\* عدم استعجاله ﷺ في اتخاذ أي حكم حتى أنزل الله عليه الوحي:

عائشة رضي الله عنها أحب أزواج النبي ﷺ إليه، يعرف صدقها وعفتها وكمال أدبها ورجحان عقلها، ولا يعلم عنها إلا الخير، فماضيها كله نور، ليس فيه خلل ولا دنس ولا سوء، ومع ذلك كله لم يبادر ﷺ إلى تبرئتها، ولم يستعجل في ذلك، بل تأنى وانتظر ما يأتي به الوحي من عند الله تبارك وتعالى.

وصفوان بن المعطل رضي الله عنه صحابي جليل له سابقته في الإسلام، ولا يُعلم عنه إلا الخير، فلم يتعجل النبي ﷺ في تبرئته.

ومن اختلق الإفك منافقون أفاكون، يعلم المسلمون جميعاً ما فعلوه قبل ذلك من تخذيل واستهزاء وإرجاف، فتأنى ﷺ في أمرهم، ولم يتعجل فيحكم بكذبهم وإفكهم. فكان ﷺ مثبِتاً متأنياً «لم يحزم في القصة بشيء قبل نزول الوحي»<sup>(١)</sup>.

\* عدم استعجاله ﷺ في مواجهة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأمر الإفك:

مع ما كان يجده النبي ﷺ من الشدة والكرب والألم؛ فإنه لم يستعجل فيواجه أم المؤمنين بما أُفك فيها لا إخباراً ولا سؤالاً، بل تأنى وكان غاية أمره أن يدخل عليها فيسلم ثم يقول: «كيف تيكمن؟» ثم ينصرف.

\* استشارته ﷺ بعض صحابته وسؤاله إياهم في أمر فراقه لأم المؤمنين:

كان ﷺ شديد الثبوت في معرفة الأمور على حقائقها، بعيداً عن العجلة والتسرع، فلم يفارق عائشة رضي الله عنها لأنه لم يصدق ما قيل أولاً، ولما حصل له الشك واشتباه عليه أمرها رضي الله عنها وتردد: هل يطلق لما بلغه عنها أم يمسكها؟؛ استشار علياً وزيد ابن حارثة،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٨٠).





وسأل الجارية لتخبره بباطن أمرها؛ لينظر إن كان حقاً فارقتها، حتى أنزل الله براءتها من السماء<sup>(١)</sup>.

## ٢- مواقف عائشة رضي الله عنها التي تبيّن الثبوت وعدم العجلة:

\* عندما رأت نفسها وحيدة في العراء:

تجسّدت صفتا الثبّت وعدم العجلة في أوّل موقف يعصّف بأمر المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فعندما قضت حاجتها ثم رجعت إلى الجيش فلم ترَ منهم أحداً «أقامت في منزلها إلى أن أصبحت، وكأنه تعارض عندها أن تتبعهم فلا تأمن أن يختلف عليها الطرق فتهلك قبل أن تدركهم -ولا سيما وقد كانت في الليل-، أو تقيم في منزلها لعلهم إذا فقدوها عادوا إلى مكانها الذي فارقوها فيه...، وهكذا ينبغي لمن فقد شيئاً أن يرجع بفكره القهقري إلى الحد الذي يتحقق وجوده ثم يأخذ من هناك في التنقيب عليه»<sup>(٢)</sup>.

\* عندما لحظت شيئاً من التغيّر في معاملة النبي صلى الله عليه وآله لها:

أخبرت رضي الله عنها عن أنها في مرضها بعد عودتها إلى المدينة لم تكن ترى من النبي صلى الله عليه وآله ما كانت تعهده عنه من اللطف الذي كانت تراه منه كلما اشتكت ومرضت، ولم تكن تعرف السبب في ذلك، ومع ذلك «لم تبالغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته»<sup>(٣)</sup>.

\* عندما أخبرتها أم مسطح بخبر الإفك:

لقد كان ذلك الموقف موقفاً مفاجئاً عصيباً مؤلماً، ومن طبيعة هذه المواقف غالباً عدم التركيز وظهور الأخطاء فيها، لكن ظهر نقيض ذلك من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقد تأتت ولم تستعجل في ردّة الفعل، بل عمدت إلى الرغبة في الثبّت من خلال

(١) انظر: الفتاوى الكبرى (٣/ ١٨٢)، منهاج السنة النبوية (٧/ ٢٣٦).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٦١).

(٣) المصدر السابق (٨/ ٤٦٥).

استثناها من النبي ﷺ أن تذهب لبیت أبویها، وكان مرادها من ذلك أن تثبت منها مما أخبرتها به أم مسطح، فكان في صنيعها الحكيم هذا «البحث عن الأمر المقول ممن يدل عليه المقول فيه...، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين»<sup>(١)</sup>.

### ٣- مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي تبين الثبوت وعدم العجلة:

\* عدم استعجاله في تبرئة ابنته الطاهرة:

مع ما انفطر به قلب الصديق من ذلك الإفك في حق ابنته؛ فقد كان متثبتاً في الأمر؛ «لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادي الحال فيها شهراً كلمة فما فوقها إلا ما ورد عنه في بعض طرق الحديث أنه قال: «والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية، فكيف بعد أن أعزنا الله بالإسلام؟»<sup>(٢)</sup>»، ولقد قالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد أن نزلت براءتها: «ألا عذرتني؟»، فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت ما لا أعلم»<sup>(٣)</sup>.

\* تأنيه وعدم استعجاله لما طلبت منه ابنته أن يجيب النبي ﷺ عن كلامه معها في إعلان براءتها أو التوبة من ذنبها -إن أذنبت-:

(١) المصدر السابق (٨ / ٤٨٠).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣ / ١٢٤)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٠): «فيه إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي؛ وهو كذاب» اهـ.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨ / ٤٨١، ٤٨٠).

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٢٦٦٥ - كشف الأستار)، والطبري وأبو عوانة -كما في فتح الباري (٨ / ٤٧٧)-، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢ / ٢٦٠)، من حديث مجاهد عن عائشة رضي الله عنها أنه لما نزل عذرها قبل أبو بكر رأسها فقالت... فذكره. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٠): «رجاله رجال الصحيح» اهـ، وصحح إسناده: السيوطي في الدر المنثور (١٠ / ٦٩٢)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٦ / ٢٨).



بعد أن انتهى النبي ﷺ من كلامه مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتضمن طلبه منها أن تعلن براءتها - إن كانت بريئة - أو تتوب إلى الله - إن كانت مذنبه -؛ طلبت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أبيها أن يجيب عنها، فلم يستعجل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالجواب؛ لأن النبي ﷺ لم يسأله هو، ولم يبادر إلى تبرئتها؛ لأنه تأنى وانتظر أن يحكم الله في ذلك ورسوله، بل قال: «لا أدري ما أجيب به رسول الله»؛ «لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ، فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكى ولده»<sup>(١)</sup>.

\* عدم استعجاله في معاقبة مسطح مع كلامه في ابنته:

كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينفق على مسطح بن أثاثه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقرابته منه وفقره، وكان مسطح ممن خاض في الإفك مع من خاض، ومع ذلك لم يستعجل أبو بكر فيقطع عنه النفقة، بل تأنى حتى أنزل الله براءة ابنته فعامله على ضوء حكم الله، وقال: «والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال»، وقوله هذا «يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذه بالذنب ما دام احتمال عدمه موجوداً؛ لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقيق ذنبه فيها وقع منه»<sup>(٢)</sup>.

إن اتصاف أفضل الخلق (محمد ﷺ) وأحب الرجال والنساء إليه (أبي بكر الصديق، وعائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) في هذه الحادثة العظيمة بالتثبت وعدم العجلة هو مما يتعين للداعية أن يقف عنده وقفات ووقفات؛ ليستلهم العبر ويستنبط الفوائد ويرسم الخطى، ومما يستفيده:

١- ينبغي على الداعية إلى الله أن يستشعر أهمية التثبت وعدم العجلة في حياته بعامة وفي دعوته بخاصة، فيحرص على الاتصاف والتحلي بهما؛ لأنهما من عوامل

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٥).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٤٧٨).

النجاح، ومن أدوات التأثير في المدعويين، ومن عوامل السلامة من الأخطاء.

٢- الداعية إلى الله يرى أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتوخى أفضل السبل، وتسلك آمن الطرق، وتتثبت ولا تعجل في اتخاذ القرار حين ذهب الجيش عنها، بل تثبت في مكانها مؤملةً أن يفقدها القوم فيرجعوا إليها. فالداعية حين يُمَرُّ به في طريق دعوته مواقف عصيبة كهذا الموقف المؤلم، يقف متأملاً فيما قد يؤولُ إليه تصرفه إن قام به، وهل فيه ضرر يتعداه ولا يقتصر عليه، أو نفعٌ يشملُه مع غيره.

٣- على الداعية أن يعلم يقيناً أنَّ للتثبت وعدم العجلة ثماراً عظيمة تحميها الدعوة إلى الله تعالى حين يتحلَّى بهما، فليحرص على الاتصاف بهما وليقتد في ذلك بالنبي ﷺ، فيكون بذلك داعياً إلى الله تعالى على هدىً وبصيرة.

٤- بالتثبت وعدم العجلة تسعد الأُسَر والمجتمعات، وتُحَقِّن الدماء، وتُحَفَظ الأرواح والحقوق، وتأتلف القلوب، وتستقر المجتمعات.



## الفصل الخامس

معوقات الداعية إلى الله

من خلال حادثة الإفك

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الغضب غير المحمود.

المبحث الثاني: الاستعجال وعدم التثبت.

المبحث الثالث: الحمية ونصرة القبيلة.





## المبحث الأول الغضب غير المحمود

«الغضب من المخلوقين شيء يداخل قلوبهم، ومنه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان في غير الحق، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق»<sup>(١)</sup>، والغضب غير المحمود صفة «تُخرج عن سياسة العقل والدين والطاعة، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر»<sup>(٢)</sup>.

و(الغضب) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المجرد (غَضِبَ)، يقال: (غَضِبَ، يَغْضَبُ، غَضَبًا وَمَغْضَبَةً)<sup>(٣)</sup>، وأصل مادته: الغين والضاد والباء؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على: شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ، ومنه: الغَضْبَةُ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ. قالوا: ومنه اشْتَقَّ الغَضْبُ؛ لأنه اشتداد السُّخْطِ<sup>(٤)</sup>، و(الغَضْبُ): نقيض الرِّضَا<sup>(٥)</sup>، و(غاضب) فلانٌ فلانًا: أغضب كلُّ منهما الآخر<sup>(٦)</sup>، أو: هجره وتباعد عنه<sup>(٧)</sup>.

وفي الاصطلاح: تغيُّرٌ يحصل عند غليان دم القلب، بشهوة الانتقام؛ ليحصل عنه الشفاء للمصدر، لكن كثيرًا ما يعقبه النَّدَمُ والخسران<sup>(٨)</sup>، وقيل: «إرادة الإضرار

(١) لسان العرب (١/٦٤٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/١٦٧).

(٣) العين (٤/٣٦٩)، تهذيب اللغة (٨/١٦)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/١٩٤)، معجم مقاييس اللغة (٤/٤٢٨)، المحكم والمحيط الأعظم (٥/٤١١)، المصباح المنير (٢/٤٤٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٤/٤٢٨).

(٥) المحكم والمحيط الأعظم (٥/٤١١).

(٦) المحكم والمحيط الأعظم (٥/٤١١)، المصباح المنير (٢/٤٤٨)، المعجم الوسيط (٢/٦٥٤).

(٧) المعجم الوسيط (٢/٦٥٤).

(٨) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢/١٥٤)، التعريفات ص: (٢٠٩)، دستور العلماء (٣/٦).

بالمغضوب عليه»<sup>(١)</sup>. وعرفه مجمع اللغة العربية بأنه: «استجابة لانفعال، تتميز بالميل إلى الاعتداء»<sup>(٢)</sup>.

وقد جاءت الشريعة الإسلامية بالتنفير الشديد والتحذير الأكيد من الغضب غير المحمود، إضافة إلى ما يشتمل عليه الغضب أو ينتج عنه من الأخلاق والآثار السيئة التي يأبأها العقل والفطر السليمة، ومما يبين ذلك أنه:

١- «لما كانت المعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة، وكان نهاية قوة الغضب القتل، ونهاية قوة الشهوة الزنى، جمع الله تعالى بين القتل والزنى، وجعلهما قرينين في سورة الأنعام، وسورة الإسراء، وسورة الفرقان، وسورة الممتحنة»<sup>(٣)</sup>.

٢- أن الغضب غول<sup>(٤)</sup> العقل، يغتاله كما تغتاله الخمر؛ ولهذا نهى النبي ﷺ: أن يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان<sup>(٥)</sup>، والغضب من أعظم أنواع الإغلاق، والإغلاق يحجب صاحبه حسن التصور والقصد، ويمنعه من معرفة ما يقوله ويقصده، وفي هذا الحال هو بمنزلة المجنون والسكران، بل قد يكون أسوأ حالاً من السكران؛ لأن السكران قد لا يقتل نفسه ولا يلقي ولده من علو، والغضبان يفعل ذلك، ولشؤمه أوصى بعض العلماء وليّ أمر فقال: إياك والغلق والضجر، فإن صاحب الغلق لا يقدم عليه صاحب حق، وصاحب الضجر لا يصبر على حق»<sup>(٦)</sup>.

(١) الكليات ص: (٦٧١).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٦٥٤).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٤٦٣).

(٤) الغول: كل شيء ذهب بالعقل. لسان العرب (١١/ ٥٠٨).

(٥) أخرجه البخاري (٩/ ٨٢) رقم: (٧١٥٨)، ومسلم (٥/ ١٣٢) رقم: (٤٥٨٧).

(٦) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ١٧٥) (٣/ ٥٣).





٤ - أنه يسبب لصاحبه جملةً من الأضرار التي تلحق الدمار بالفرد والجماعة، فقد يقع صاحبه في لفظ الطلاق دون شعور، فيتسبب بذلك في هدم بناء أسرته، ولكن من رحمة الله ﷻ بعباده أن شرع عدم انعقاد الطلاق في حال الغضب بشروطه المذكورة في كتب الفقه، كما قال النبي ﷺ: «لا طلاق ولا عتاق في غلاق»<sup>(١)</sup>، «قال أبو داود: والغلاق: أظنه الغضب»<sup>(٢)</sup>، وربما دعا على نفسه وماله: «ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْغُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، وهو الرجل يدعو على نفسه وأهله بالشر في حال الغضب»<sup>(٣)</sup>، «ولهذا لا يجاب دعاؤه على نفسه وماله، ولا يلزمه نذر الطاعة فيه»<sup>(٤)</sup>.

٥ - جاء أحد الصحابة إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني، فقال له النبي ﷺ: «لا تغضب»، فكرر الصحابي طلب الوصية مرتين آخرين، وكان النبي ﷺ يوصيه في كل مرة بالعبارة نفسها: «لا تغضب»<sup>(٥)</sup>. والمراد: «لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك، بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإنَّ الغضب إذا ملك ابن آدم كان كالآمر والناهي له»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٤/٢) رقم: (٢١٥٩)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٩٦/٦) رقم: (١٩٠٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٨٩/٩)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٥٥/٢٠).

(٣) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ص: (٣٤).

(٤) انظر: المبدع (٢٣٣/٧)، الإنصاف (٣٢٠/٨)، الفروع (١٠/٩).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥/٨) رقم: (٦١١٦).

(٦) جامع العلوم والحكم ص: (١٤٥).

٦- «أن أعظم ما ينشأ عنه الغضب: الكبر؛ لكونه يقع عند مخالفة أمر يريده فيحمله الكبر على الغضب، فالذي يتواضع حتى يُذهب عنه عزة النفس يسلم من شر الغضب»<sup>(١)</sup>.

٧- أن الغضب من الجهل؛ فإنه «يحمل المرء على فعل ما يضره، وترك ما ينفعه، وهذا من الجهل الذي هو عملٌ بخلاف العلم، حتى يقدم المرء على فعل ما يعلم أنه يضره، وترك ما يعلم أنه ينفعه»<sup>(٢)</sup>.

٨- أن «أول الغضب جنون، وآخره ندم، ولا يُقَوِّمُ الغضب بذل الأعذار، وربما كان العطب في الغضب»<sup>(٣)</sup>.

وفي حادثة الإفك خطب النبي ﷺ في أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مسجده في شأن ما يسمعه من أهل الإفك وما يستوشونه بين الناس في أهله؛ وكان من ضمن ما أراد من تلك الخطبة نصرته على من خاض في الإفك، ومعذرتة إن أراد معاقبة أحدٍ منهم، فكان ذلك الموقف الإيماني النبيل من سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: «أنا والله أعذرُك منه -يا رسول الله-، فإن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرُك»، فكان سياق الكلام منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يخرج عن نيّة نصره النبي ﷺ فيما اشتكى منه من أذية المنافقين الذين يؤذونه في أهل بيته الأطهار، لكن لما فهم سعد بن عبادة من كلام سعد بن معاذ النقيصة من قدر الخزرج وأنهم ليسوا بأهل منعة وقوة؛ ردّ على سعد بن معاذ قوله؛ مما أدى إلى حصول غضب غير محمود بين الصحابة الحاضرين في المسجد، ولما كان «الغضب يُخْرِجُ الحليم المتقي إلى ما لا يليق به؛ فقد أخرج الغضب

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٥٢٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤٠).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٠٥).



هؤلاء الأخيار من هذه الأمة بحضرة رسول الله ﷺ إلى ما لا يشك أحد من الصحابة أنها منهم زلة»<sup>(١)</sup>.

ومما يثبت لنا أن ذلك الغضب الذي انبعث من الصحابة الفضلاء غير محمود: ما اشتمل عليه، وما نتج عنه من نتائج مُحزنة، فقد وقع بحضرة النبي ﷺ وبين يديه، وعلت فيه أصوات الصحابة رضي الله عنهم، تقول عائشة رضي الله عنها: «فتار الحيان الأوس والخزرج؛ حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر. فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم؛ حتى سكتوا وسكت»، وفي رواية: «فلم يزل يومئذ بيده إلى الناس ها هنا وها هنا حتى هدأ الصوت»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «فنزل فخفضهم حتى سكتوا»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «حجز بينهم»<sup>(٤)</sup>، وتُحْمَل هذه الروايات: «على أنه سكتهم وهو على المنبر ثم نزل إليهم أيضًا ليكمل تسكينهم»<sup>(٥)</sup>، ثم غادر رسول الله ﷺ مسجده دون أن يجتمع الصحابة على نصرته ومعدرته ممن خاض في الإفك.

ومما يجب التنبيه عليه أن ذلك الغضب الذي حصل من الصحابة الفضلاء رضي الله عنهم لا يغمص عليهم في دينهم، بل هم على أعلى رتبة في الإيمان والفضل بعد نبينا ﷺ، وموافقهم في نصرته عظيمة، فلقد بذلوا في سبيل ذلك أرواحهم وأموالهم، ومن سابقهم إلى ذلك الفضل سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه، لكنَّ الغضب: «بلغ منه، ومع ذلك لم

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٨١).

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١١٣١)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٢١١)، من رواية ابن حاطب عن علقمة وغيره عن عائشة رضي الله عنها. وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، من رواية ابن شهاب الزهري.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ٧٧)، وفي مسند الشاميين (٣/ ٣٣٥)، من رواية عطاء الخراساني عن ابن شهاب الزهري.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٤).

يغمص عليه في دينه»<sup>(١)</sup>.

لقد كان في هذا الموقف من العِظَات والعِبَر التي يستفيدُها الداعية إلى الله ما يأتي:

١- الغضب غير المحمود آفةٌ خطيرة، توقع الداعية في مواقف حرجة، وتؤثر على شخصيته عند الخاصة والعامة.

٢- عندما لا يتمالك الداعية نفسه مع الغضب غير المحمود فإنه قد يتسبب بسلوكه الخاطئ فيما لا يحسن في حق الدعوة ومن ينتسب إليها.

٣- الداعية المتصف بالغضب غير المحمود قد يؤثر على من حوله من الناس أو من الدعاة؛ فينساقوا خلف سلوكه الخاطئ، فيكون سبباً لوقوع المجتمع المحيط به في الخطأ أو الهلكة.



(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/١١٩).



## المبحث الثاني الاستعجال وعدم الثبوت

الاستعجال «نوع من الجهل والخرق»<sup>(١)</sup>، وهو من شيم الأحمق؛ فإنه -لاستعجاله وعدم تأنيه- يتكلم في الساعة بكلام يعجز عنه غيره، ويتكلم في الساعة الأخرى بكلام مثله<sup>(٢)</sup>.

و(الاستِعْجَال) في اللغة: مَصْدَرُ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمَزِيدِ (اسْتَعْجَلَ)، وأصل مادته: العين والجيم واللام؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على: الإسراع<sup>(٣)</sup>، يقال: (عَجَلَ)، يَعْجَلُ، (عَجَلَةً، وَعَجَلًا): أَسْرَعَ<sup>(٤)</sup>، و(العَجَل) و(العَجَلَة): السُّرْعَة وخلاف البُطْء<sup>(٥)</sup>، و(الاستعجال) و(الإعجال) و(التعجُّل): الاستحثاث وطلب العَجَلَة<sup>(٦)</sup>، و(العاجل): نقيض الآجَل في كلِّ شيء<sup>(٧)</sup>.

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ٦٥).

(٢) انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: (١٢١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٣٧).

(٤) العين (١/ ٢٢٧)، تهذيب اللغة (١/ ٣٦٩)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٧٦١)،

مقاييس اللغة (٤/ ٢٣٧)، المحيط في اللغة (١/ ٢٥٧)، المحكم والمحيط الأعظم (١/ ٣٢٢)،

المصباح المنير (٢/ ٣٩٤)، القاموس المحيط ص: (١٣٣١)، المعجم الوسيط (٢/ ٥٨٦).

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٧٦١)، المحيط في اللغة (١/ ٢٥٧)، المحكم

والمحيط الأعظم (١/ ٣٢٢).

(٦) تهذيب اللغة (١/ ٣٧٢).

(٧) العين (١/ ٢٢٨)، تهذيب اللغة (١/ ٣٧٠)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٧٦١)،

معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٣٧)، المحيط في اللغة (١/ ٢٥٧، ٢٥٨)، المحكم والمحيط الأعظم

(١/ ٣٢٤)، القاموس المحيط ص: (١٣٣١).

وفي الاصطلاح: طَلَبُ الشَّيْءِ وَتَحْرِيقُهُ قَبْلَ أَوَانِهِ<sup>(١)</sup>.

وثَمَّةُ فَرْقٍ بَيْنَ الْمُبَادَرَةِ وَالِاسْتِعْجَالِ مِنْ جِهَةِ الْحَقِيقَةِ وَالْحُكْمِ:

أَمَّا مِنْ جِهَةِ الْحَقِيقَةِ: فَ«الْعَجَلَةُ طَلَبُ أَخْذِ الشَّيْءِ قَبْلَ وَقْتِهِ، فَهُوَ لَشِدَّةُ حِرْصِهِ عَلَيْهِ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ يَأْخُذُ الثَّمَرَةَ قَبْلَ أَوَانِ إِدْرَاكِهَا كُلِّهَا، فَالْمُبَادَرَةُ وَسْطُ بَيْنِ خَلْقَيْنِ مَذْمُومَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا: التَّفْرِيطُ وَالْإِضَاعَةُ، وَالثَّانِي: الْاسْتِعْجَالُ قَبْلَ الْوَقْتِ»<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْحُكْمِ: فَإِنَّ الْمُبَادَرَةَ مَمْدُوحَةٌ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهَا، وَالِاسْتِعْجَالُ مَذْمُومٌ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ وَمَحْذَرٌ مِنْهُ، فَعِنْدَ التَّأَمُّلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَأْمُرُ عِبَادَهُ: «بِالتَّثَبُّتِ وَعَدَمِ الْعَجَلَةِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يَخْشَى مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِهَا، وَيَأْمُرُ وَيُحِثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ عَلَى أُمُورِ الْخَيْرِ الَّتِي يَخْشَى فَوَاتِهَا. وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ: قَالَ تَعَالَى فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤]، وَفِي قِرَاءَةِ: (فَتَبَيَّنُوا)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] وَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ الْمُسْرِعِينَ إِلَى إِذَاعَةِ الْأَخْبَارِ الَّتِي يَخْشَى مِنْ إِذَاعَتِهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]»<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ جَاءَ الشَّرْعُ بِتَحْذِيرِ الْمُسْلِمِ عَنِ الْإِتِّصَافِ بِالِاسْتِعْجَالِ وَعَدَمِ التَّثَبُّتِ فِي مُخْتَلَفِ الْأَحْوَالِ وَالصُّوَرِ، كَمَا أَنَّ الْعَاقِلَ الَّذِي يَطْلُبُ السَّلَامَةَ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ يَتَّبِعُ عَنْ

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٦٧)، التعريفات ص: (٣٦)، التوقيف على مهمات التعاريف ص: (٥٨).

(٢) الروح ص: (٢٥٨).

(٣) القواعد الحسان في تفسير القرآن ص: (٨٩، ٩٠).



الاتصاف به، «ولهذا كانت العجلة من الشيطان، فإنها خفة وطيش، وحِدَّةٌ في العبد تمنعه من الثبوت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعاً من الشرور وتمنعه أنواعاً من الخير، وهي قرين الندامة، فقلَّ من استعجل إلا ندم»<sup>(١)</sup>.

ومما يبين خطر الاستعجال وعدم الثبوت وضرره وكونه من المعوقات للمرء - فضلاً عن الداعية إلى الله - في دينه ودنياه ما يأتي:

- ١- أن الاستعجال من مقتضى الشهوة؛ فلذلك صار مذموماً في عامة القرآن<sup>(٢)</sup>.
- ٢- أنه من أعظم أسباب عدم إدراك الأمور على حقائقها، والوقوع - من ثم - فيما لا يحمد من الأقوال والأفعال التي يندم عليها المرء أشد الندم، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِِنْ جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، فبيّنت الآية الكريمة أن في الاستعجال في قبول خبر الفاسق مجرداً دون تثبت «خطراً كبيراً، ووقوعاً في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل حُكِمَ بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة»<sup>(٣)</sup>، وبذلك يظهر أن الاستعجال مناقض للتثبت الذي أمر الله به، فإن «المراد من التبين: التعرف والتفحص، ومن التثبت: الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر»<sup>(٤)</sup>.

(١) الروح ص: (٢٥٨).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٦٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٧٩٩).

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (٥/ ٨٦).

٣ - أنه من موانع استجابة الدعاء، كما في قول النبي ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»<sup>(١)</sup>، والمراد من ذلك: أنه «يسأم الدعاء ويتركه فيكون كالماند بدعائه، وأنه قد أتى من الدعاء ما كان يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخل لرب كريم لا تعجزه الإجابة، ولا ينقصه العطاء، ولا تضره الذنوب، وإنما يعجل العبد إذا كان غرضه من الدعاء نيل ما سأل، وإذا لم ينل ما يريد ثقل عليه الدعاء»<sup>(٢)</sup>.

٣- وقد نهى الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ عن الاستعجال فقال: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، «أي: لا تستعجل العذاب -يا محمد للكفار-. لما أمره سبحانه بالصبر، ونهاه عن استعجال العذاب لقومه؛ رجاء أن يؤمنوا»<sup>(٣)</sup>، ففي الآية أثر من أسوأ آثار الاستعجال، وهو عدم حصول هداية المدعوين.

٤- أن الاستعجال وعدم التثبت من أسباب الوقوع في الكذب، فقد قال النبي ﷺ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»<sup>(٤)</sup>، ومراد النبي ﷺ من ذلك: «أن من حدث بكل ما سمع حصل له الحظ الكافي من الكذب؛ فإن الإنسان يسمع الغث والسمين والصحيح والسقيم، فإذا حدث بكل ذلك حدث بالسقيم وبالكذب، ثم تحمل عنه، فيكذب في نفسه أو يكذب بسببه»<sup>(٥)</sup>.

٥- أنه من عجائب الآثار السيئة للاستعجال: دعوة الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر، كما قال ﷻ: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، أي: «ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر فيقول: اللهم أهلكه والعنه -عند

(١) صحيح البخاري (٩٢/٨) رقم: (٦٣٤٠)، وصحيح مسلم (٨٧/٨) رقم: (٧١١٠).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠٠/١٠).

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (٣٩/٥).

(٤) صحيح مسلم، حديث رقم: (٨/١) رقم: (٧).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (١١٧/١).





ضجره وغضبه-، (كدعائه بالخير) يقول: كدعائه ربه بأن يهب له العافية ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشر، كما يستجاب له في الخير هلك، ولكن الله بفضل له لا يستجيب له في ذلك»<sup>(١)</sup>.

كما أنَّ الاستعجال نوع من السَّفه، قال الحسن<sup>(٢)</sup> بن عليٍّ رضي الله عنه: «اعلموا أن الحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفه...»<sup>(٣)</sup>.

وما أجمل كلام الحافظ ابن حجر حين قال: «إن الذي يتصدى لضبط الوقائع<sup>(٤)</sup> يلزمه التحري في النقل فلا يجوز إلا بما يتحققه، ولا يكفي بالقول الشائع، ولا سيما إن ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح، وإن كان في الواقعة أمر فادح<sup>(٥)</sup> في حق المستور فينبغي ألا يبالغ في إفشائه، ويكتفي بالإشارة لئلا يكون قد وقعت منه فلتة، فإذا ضُبِطَ عليه لزمه عارها أبداً، ولذلك يحتاج المسلم أن يكون عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم، فلا يرفع الوضع، ولا يضع الرفيع»<sup>(٦)</sup>.

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (١٤/٥١٢).

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب، ابن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، الإمام السيد، ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد، مولده في شعبان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: في نصف رمضان، وعق عنه جده بكبش، وحفظ عن جده أحاديث، وعن أبيه، وأمه، توفي سنة ٤٩، وقيل سنة ٥٠، وقيل ٥١، وغلظ أبو نعيم الملائني، وقال: سنة ٥٨. سير أعلام النبلاء (٣/٢٤٥).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣/٢٥٩)، من حديث الحرمازي قال: خطب الحسن بن علي بالكوفة؛ فقال: "اعلموا يا أهل الكوفة أن الحلم... فذكره.

(٤) من الأقوال والأفعال والرجال.

(٥) سواء كان قولاً أو فعلاً أو موقفاً.

(٦) نقله الحافظ السخاوي في كتابه التبر المسبوك في ذيل الملوك (ص: ٤)، عن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمهما الله تعالى-، بتصرف يسير.

وفي حادثة الإفك جاءت الآيات القرآنية مقرّرة التحذير من الاستعجال وعدم التثبت، ومبيّنة خطره وضرره في العاجل والآجل، والدين والدنيا، بمختلف الأساليب اللغوية البلاغية؛ مما يقرّر كونه من أعظم المعوّقات للداعية:

١ - ففي قوله تعالى: ﴿أَوَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢] تربية وتعليم من الله ﷻ المؤمنين على التثبت فيما يُتناقل على ألسنة البشر، وعدم الاستعجال في الإخبار به، وأنه لا ينبغي لمن صفتهم الإيمان بالله تعالى أن تكون هذه أخلاقهم، بل «كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد فيهم فذلك في عائشة وصفوان أبعد»<sup>(١)</sup>، والمعنى: هلا كان منكم - وأنتم تسمعون ذلك الكلام الذي رميت به أم المؤمنين - أن يظن بعضكم ببعض خيراً، وأن تقيسوا ذلك الكلام على أنفسكم، فإن كان لا يليق بكم فأمر المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى؟، وهلا ظننتم الخير؟، فإن أم المؤمنين أهله وأولى به، هذا ما يتعلق بالباطن، وتقولون بألستكم: إن ذلك كذب ظاهر على أم المؤمنين، فإن الذي وقع لم يكن ريبة، وذلك أن مجيء أم المؤمنين راکبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة، والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهركم، لو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هكذا جهرة، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان يكون هذا - لو قدر - خفية مستوراً، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت، والقول الزور، والرعونة الفاحشة الفاجرة، والصفقة الخاسرة<sup>(٢)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٢٠٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/٢٧).



وفي هذا توبيخ على عدم إعمالهم النظر في تكذيب قولٍ ينادي حاله ببهتانه، وعلى سكوتهم عليه وعدم إنكاره، وفيه تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبر، فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا تروٍّ ولا تريثٍ، وهذا تعريضٌ بالتوبيخ أيضًا<sup>(١)</sup>.

كما أن التصريح بلفظ (الإيمان) في الآية فيه توبيخ على الاستعجال وعدم الثبوت في مثل هذا المقام، وذلك أن الاشتراك في الإيمان يقتضي أن لا يصدق مؤمنٌ على أخيه وأخته في الدين، ولا مؤمنةٌ على أخيها وأختها في الدين؛ قولٌ عائب ولا طاعن.

وفيه أيضًا قاعدة من قواعد إبطال الاستعجال، وهي: التنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قاله في مؤمن أن يبنى الأمر فيها على الظن لا على الشك، ثم ينظر في قرائن الأحوال وصلاحيه المقام، فإذا نسب سوء إلى من عرف بالخير ظن أن ذلك إفك وتان حتى يتضح البرهان<sup>(٢)</sup>.

٢- وفي قوله سبحانه: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النور: ١٣] «يقول تعالى ذكره: هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورموا عائشة بالبهتان؛ بأربعة شهداء يشهدون على مقاتلهم فيها وما رَمَوْها به، فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رَمَوْها به فإن العُصْبَةَ الذين رَمَوْها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاءوا به من الإفك»<sup>(٣)</sup>، وفي هذا تقرير قاعدة عظيمة من قواعد إبطال الاستعجال، وهي: (أن الذي يخبر خبرًا عن غير مشاهدة يجب أن يستند في خبره إلى إخبار مشاهد، ويجب كون المشاهدين المخبرين عددًا يفيد خبرهم الصدق في مثل الخبر الذي أخبروا به، فالذين جاءوا بالإفك اختلقوه من سوء ظنونهم،

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٥، ١٧٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٨/ ١٧٥).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢١٤).

فلم يستندوا إلى مشاهدة ما أخبروا به، ولا إلى شهادة من شاهدوه ممن يقبل مثلهم؛ فكان خبرهم إفكاً<sup>(١)</sup>.

٣- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَسْتُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤] بيان لأثرٍ خطير من آثار الاستعجال وعدم الثبوت، فقد بينت الآية الكريمة أنه بسبب التعجل وعدم الثبوت كاد أن يهلك المؤمنون الخائضون في الإفك، والمعنى: ولولا ما امتن الله به عليكم من فضل ورحمة -أيها الخائضون في أمر عائشة، المشيعون فيها الكذب والإثم- بتركه تعجيل عقوبتكم (ورحمته) إياكم لعفوه عنكم (في الدنيا والآخرة) بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك (لمسكم فيما أفضتم) خضتم فيه من أمرها عاجلاً في الدنيا (عذاب عظيم)<sup>(٢)</sup>.

٤- وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] عتاب من الله ﷻ لمن خاض في الإفك من المؤمنين على استعجالهم وعدم تثبتهم في تلقي خبر الإفك، والقول به باللسان دون ما في القلب، والقول بغير علم ويقين وثبوت، وبيان أنهم يحسبون أن ما قاموا به هين يسير لا يلحقهم فيه إثم، بينما هو عند الله عظيم<sup>(٣)</sup>.

لقد كان في هذه الآيات الكريهات الواردة في حادثة الإفك أعظم تنبيه وبيان وتقرير على خطورة الاستعجال وعدم الثبوت، وعلى كونه من أعظم المعوقات في الدعوة إلى الله، وذلك مما يوجب على الداعية إلى الله أن يعمل بما اشتملت عليه الآيات من الدروس والعبر، ومنها:

(١) التحرير والتنوير (١٨/ ١٧٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢١٤).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٢٠٤)، تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٨).



١- يحذرُ الداعية إلى الله تعالى أشدَّ الحذر من الحكم على أي أمر يردُّ إليه دون تثبُّتٍ أو تروٍّ؛ لأنَّ ذلك يسبب له التوبيخ والتكذيب.

٢- يتجنَّبُ الداعية إلى الله تعالى تقديم الظنِّ السيئ بالمؤمنين، خاصَّةً في المواقف التي لا تحتمل التَّهمة؛ لأنَّه بذلك يُعرِّضُ نفسه للعتاب، وبالتالي يقلُّ تأثيره في المدعويين، وكفى بذلك ندمًا.

٣- يحذر الداعية من الاستعجال وعدم التثبُّت خاصَّةً في الأمور التي تتعلَّق بأعراض المسلمين؛ لأنَّ ذلك سبب للعذاب العظيم، ولأنَّ ذلك مخالفٌ لما يقتضيه الإيمان.

٤- يتجنَّبُ الداعية إلى الله تعالى بناء تصوراته أو أحكامه على الظنِّ والحسبان، دون وجود قرائن قويَّة تؤيِّد تصوره أو ظنَّه.

٥- قد يمرُّ على الداعية في طريقه الدعوي موقف يشابه ذلك الحدث المؤلم، فيجب عليه حينها أن يعلم أنَّه سيُحاسَب على كلمته أو حكمه الذي قد يقوله، فيحذر من الاستعجال والحكم على ما يراه أو يسمعه دون بيِّنة أو قرينة قويَّة تؤيِّد ما قد يقوله أو يحكم به.

٦- من القواعد الجليلة التي تحفظ الداعية إلى الله من الاستعجال وعدم التثبُّت:

(١) «وجوب حسن الاعتقاد في المؤمنين، ومحبة الخير والصلاح، والزجر عن إشهار الفاحشة واستنباطها بدقائق الخيل والحكم بالظن»<sup>(١)</sup>.

(٢) «الواجب لمن كان ظاهره العدالة أن يظن به خيرًا ولا يقوم مستبشرًا، وهو يوجب أن يكون أمور المسلمين في عقودهم وأفعالهم وسائر تصرفهم محمولة على

(١) أحكام القرآن لعلي بن محمد الكياهراسي (٤/ ٣٠٩).

الصحة والجواز، وأنه غير جائز حملها على الفساد، وعلى ما لا يجوز فعله بالظن والحسبان»<sup>(١)</sup>.

٧- الداعية إلى الله تعالى مطلوب منه الثبوت وعدم العجلة فيما يسمع من الأخبار، وبخاصة الأخبار المحتملة التي لا يقطع بصدقها ولا كذبها ولا يعلم مصدرها، وكذلك الأخبار التي يكون مصدرها غير موثوق به.



(١) أحكام القرآن للجصاص (٥/١٦١).



## المبحث الثالث الحمية ونصرة القبيلة

الحمية - إذا تمكنت من القلب - أفسدت أخلاق الدين القويم، فيمتنع صاحبها من الإعانة والنصرة الواجبة عليه في الكتاب والسنة والإجماع، إما محاباة، أو حمية لذلك الظالم، وكم عطلت هذه الحمية الجاهلية من حدود، وضيّعت من حقوق، وأكل بسببها القوي الضعيف!، «وهذا يقع كثيرًا في الرؤساء من أهل البادية والحاضرة، إذا استجار من مستجير، أو كان بينهما قرابة أو صداقة، فإنهم يرون الحمية الجاهلية، والعزة بالإثم، والسمعة عند الأوباش»<sup>(١)</sup>: أنهم ينصرونه - وإن كان ظالمًا مبطلاً - على المحق المظلوم؛ لا سيما إن كان المظلوم رئيسًا يناديهم ويناوئهم، فيرون في تسليم المستجير بهم إلى من يناوئهم ذلاً أو عجزاً؛ وهذا - على الإطلاق - جاهلية محضة. وهي من أكبر أسباب فساد الدين والدنيا»<sup>(٢)</sup>.

و(الحمية) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المجرد (حَمَى)، يقال: (حَمَيْتُ من الشيء، وَحَمَيْتُ، أَحْمَى، حَمِيَّةً): أَنْفَتُ وَغَضِبْتُ<sup>(٣)</sup>، وأصل مادته: الحاء والميم والياء؛ وهو يدلُّ على: الحرارة المتولدة من القوة الحارة في البدن<sup>(٤)</sup>، و(الحمية): الانْتَفَة والغيرة<sup>(٥)</sup>، يقال: (إنه لرجلٌ حَمِيٌّ): لا يحتمل الضَّيْمَ، ويقال: (فلان ذو حمية منكرة):

(١) الأوباش: الأخلاط والسفلة. تاج العروس من جواهر القاموس (١٧/ ٤٣٧).

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص: (١١٣).

(٣) العين (٣/ ٣١٢)، تهذيب اللغة (٥/ ٢٧٤)، المحيط في اللغة (٣/ ٢٣٠).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٢٦٧).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٤٧)، المصباح المنير (١/ ١٥٣).

إذا كان ذا غَضَبٍ وَأَنْفَةٍ<sup>(١)</sup>.

و(الحمية) في الاصطلاح: عُرِّفَتْ بأنها «المحافظة على المحرّم والدِّين من التُّهْمَةِ»<sup>(٢)</sup>، إلا أن هذا التعريف لا يشمل جميع صُور الحمية وأنواعها، فقد بيّن الله في كتابه -كما سيأتي- أن من الحمية ما تكون حقيقته الأنفة عن اتباع الحق، ومنها ما يكون الدافع له الأنفة عن الأنفة عن قبول الحق؛ ومن ثمّ فيمكن تعريف الحمية تعريفاً أوسع وأشمل، بأن نقول: هي الأنفة والغيرة التي تدفع صاحبها إلى الانتصار لنفسه أو دينه أو من يلزمه أمره، سواء كان في حقٍّ أو باطلٍ.

وهناك فرقٌ بينُ بَيْنَ «الحمية لله، والحمية للنفس، فالأولى يثيرها تعظيم الأمر والآمر، والثانية يثيرها تعظيم النفس والغضب لفوات حظوظها، فالحمية لله أن يحمي المؤمن قلبه لله، وذلك بتعظيم حقوقه، وهي حال عبدٍ قد أشرق على قلبه نورُ سلطان الله فامتلاً قلبه بذلك النور، فإذا غضب فإنما يغضب من أجل نور ذلك السلطان الذي ألقي على قلبه»<sup>(٣)</sup>.

فالمراد بالحمية هنا: الحمية للباطل كنصرة الظالم على المظلوم لكون الظالم قريباً في النسب أو مشاكلاً في الدين أو الصنعة ونحو ذلك، أو الحمية بالباطل كقول الزور وإنكار الحق ونحو ذلك لنصرة الباطل.

وقد دلّ الكتاب والسنة على أن الحمية للباطل عمومًا، والحمية للقبيلة خصوصًا بنصرتها بالباطل، محدّرٌ منها شرعًا، كما في الأدلة الآتية:

(١) تهذيب اللغة (٥/ ٢٧٤).

(٢) التعريفات ص: (١٢٦)، وبنحوه في معجم مقاليد العلوم ص: (٢٠٣)، والتوقيف على مهمات التعاريف ص: (٢٠٧)، واعتمده مجمع اللغة العربية -كما في المعجم الوسيط (١/ ٢٠١)-.

(٣) الروح ص: (٢٣٤).





١ - قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦]، ففي الآية بيان أن الحمية بالباطل من صفات الجاهلية المنكرة التي جاء الإسلام بإبطالها ومحاربتها والقضاء عليها ودعوة المسلمين إلى نبذها والبعد عنها<sup>(١)</sup>، وأنها من صفات أهل الكفر والشرك المحاربين للحق، وفي ذلك ذم شديد أكيد لها، فإن «التأمل في هذه الآية الكريمة يرى ألواناً من المقابلات التي تدل على مدح الله تعالى للمؤمنين، وعلى احتقاره للكافرين:

فقد عبر سبحانه في جانب الكافرين بكلمة (جعل) التي تشعر بأن الكافرين كأنهم قد ألقوا هذه الحمية الجاهلية في قلوبهم إلقاء بدون تعقل أو تدبر، بينما عبر في جانب المؤمنين بكلمة (أنزل) التي تشعر كأن السكينة كانت في خزائنه تعالى ثم أنزلها بعد ذلك على قلب رسوله ﷺ وعلى قلوب المؤمنين، ليزدادوا إيماناً على إيمانهم.

ونرى الفاعل لـ (جعل) هو (الذين كفروا)، بينما الفاعل لـ (أنزل) هو (الله) ﷻ. ونرى المفعول لـ (جعل) هو الحمية، وهي كلمة مُشْتَعَلَةٌ مُنْفَرَّةٌ، وقد كررها سبحانه ليزداد العقلاء نفوراً منها، ونرى المفعول لـ (أنزل) هو السكينة، وهي كلمة فيها ما فيها من الوقار والسكون والثبات والطمأنينة.

ونرى (الحمية) قد أضيفت إلى (الجاهلية)، بينما السكينة أضيفت إلى (الله) تعالى. ونرى أن الله تعالى قد أضاف كل ذلك مدحاً عظيمًا لعباده المؤمنين حيث ألزمهم كلمة التقوى، وجعلهم أحق بها وأهلًا لها دون أعدائهم الذين آثروا الغي على الرشد، والباطل على الحق، وفي ذلك ما فيه من الشناء على المؤمنين والتحقير للكافرين<sup>(٢)</sup>.

٢ - وقال النبي ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم ص: (٦٩).

(٢) التفسير الوسيط (١٣/ ٢٨٢).

الجاهلية»<sup>(١)</sup> وما تشتمل عليه (دعوى الجاهلية): نصرَةُ القبيلة والحمية لها بالباطل<sup>(٢)</sup>.  
 ٣- وقال ﷺ: «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعصوه بهن أبيه»<sup>(٣)</sup>، ولا تكونوا»<sup>(٤)</sup>، ففيه أبلغ تشنيع على من دعا إلى الحمية ونصرة القبيلة بالباطل<sup>(٥)</sup>.

٤- وقال ﷺ: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»<sup>(٦)</sup>. ففيه دَمٌ لهذه الأمور الأربعة -ومنها: الفخر بالأحساب- بأنها من أمور الجاهلية، وإذا كان ذلك فيمن افتخر بحسبه وحسب فكيف بمن أخذته الحمية لنسبه وقبيلته بالباطل؟، لا شك أن ذلك أعظم إثماً وأفحش جرماً.

٥- وقال ﷺ: «إن الله ﷻ قد أذهب عنكم عبية<sup>(٧)</sup> الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»<sup>(٨)</sup> التي تدفع بأنفها التنن»<sup>(٩)</sup>، ففيه بيان شناعة وخطورة الحمية ونصرة القبيلة بالباطل من خلال آثارها

- 
- (١) أخرجه البخاري (١٠٣/٢) رقم: (١٢٩٧).  
 (٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣٢٦/٩).  
 (٣) الهن: الذكر. أي قولوا له: اعرض ذكر أبيك. ولا تكونوا: أي: صرّحوا بلفظ الذكر بدون كناية. انظر: شرح السنة (١٣/١٢١).  
 (٤) أخرجه النسائي (١٣٦/٨) رقم: (٨٨١٣).  
 (٥) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير (١/٣٥٧).  
 (٦) أخرجه مسلم (٤٥/٣) رقم: (٢٢٠٣).  
 (٧) عبية: أي: الكبر. لسان العرب (١/٥٧٤).  
 (٨) الجعلان: حيوان معروف كالخنفساء. لسان العرب (١١/١٠١).  
 (٩) أخرجه أبو داود -واللفظ له- (٤٩٢/٤) رقم: (٥١١٨)، والترمذي (٧٣٤/٥، ٧٣٥) رقم: (٣٩٥٥، ٣٩٥٦)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣١٢).



ونتائجها السيئة.

وفي حادثة الإفك كاد مكر المنافقين أن يؤتي أكله بين الأوس والخزرج من خلال ما حصل بين سعد بن معاذ (سيد الأوس) وسعد بن عباد (سيد الخزرج) رضي الله عنهما: فسعد بن معاذ رضي الله عنه حين أعلن نصره القاطع وموافقته التامة لما يراه رسول الله، كان فعله هذا من قبيل الحمية المحموده التي هي لله سبحانه ورسوله، ولا شك البتة في أن «الحمية لله ورسوله لا تدم»<sup>(١)</sup>، وقوله رضي الله عنه: «إن كان من الأوس ضربت عنقه» إنما قاله لأن الأوس قومه، ولم يقل: من الخزرج لما كان بين الأوس والخزرج من التشاحن قبل الإسلام، ثم زال بالإسلام وبقي بعضه بحكم الأنفة، ولكنه ذكر أنه إن كان من الخزرج فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر فيه بما شاء.

وسعد بن عباد رضي الله عنه نظر إلى أن الأوسى يرى أن من كان من الخزرج فهو ضعيفٌ لا حامي له، فلحق به وبأهل قبيلته هوانٌ وذلٌّ، فأخذته الحمية، فقال ما قال.

وقول سعد بن عباد: «لا تقدر على قتله» -مع أن سعد بن معاذ لم يقل بقتله كما قال في حق من يكون من الأوس- لأنه فهم أن قول سعد بن معاذ: «أمرتنا بأمرك» أي: إن أمرتنا بأمرك (أي: أمرتنا بقتله) قتلناه، وإن أمرت قومه بقتله قتلوه، فنفى سعد بن عباد قدرة سعد بن معاذ على قتله إن كان من الخزرج؛ لعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر غير قومه بقتله فكأنه أياسه من مباشرة قتله، وذلك بحكم الحمية التي أشارت إليها عائشة، ولا يلزم من ذلك أنه يردُّ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ولا يمتثل له -حاشا لسعد من ذلك-<sup>(٢)</sup>.

ولم يُرد سعد بن عباد بقوله هذا الرضا بما نُقل عن عبد الله بن أبي وغيره ممن خاض في الإفك من الخزرج، وإنما بمعنى قول عائشة: «وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً»

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٨٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٨/ ٤٧٣).

أي: لم يتقدم منه ما يتعلق بالوقوف مع شيء من علائق الحمية، ولم ترد أنه ناضل عن المنافقين<sup>(١)</sup>.

وفي موقف آخر في حادثة الإفك كانت حمّة بنت جحش رضي الله عنها ممن خاض في الإفك حمّة لأختها أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، فشرعت تحارب لأختها وتخوض فيما قاله أهل الإفك؛ لتخفض منزلة عائشة وترفع منزلة أختها زينب عند النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

لقد كان موقفا الصحابين سعد بن عباد وحمّة بنت جحش رضي الله عنها دليلاً واضحاً على الحمية وأنها من أعظم معوقات الدعوة والدعاة، وفي ذلك فوائد ودروس دعوية عديدة، منها:

١- الداعية إلى الله تعالى يَنْظُرُ إليه المدعوونَ منظرَ القدوة، ولذلك يحذر أشدّ الحذر من الحمية ونصرة القبيلة بالباطل.

٢- حين يتّصفُ الداعية بالحمية ونصرة القبيلة بالباطل فإنه يهدمُ المثل الرفيعة، ويُشوّه صورة الدعاة لدى المدعوين، ويكون سبباً في ردّ ورفض ما يدعو إليه من خيرٍ غالباً.

٣- من أعظم ما ينهض بالمجتمع ويرقى به: ترابطه ووحدته وإحساس أفرادهِ بالمساواة وفق ما جاءت به الشريعة، فإذا اتصفَ الداعية بالحمية ونصرة القبيلة بالباطل كان معولٌ هدمٍ في المجتمع، يفرّق ولا يجمع، وينفّر ولا يبشّر، وينصر الباطل أو يكون عوناً له أو مانعاً من انتصار الحق وتنفيذه، وهذا كله من خوارم الإخلاص، ونواقص

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٧٣/٨)، فيض الباري شرح البخاري (٨/٤٨٠)،

حاشية السندي على صحيح البخاري (١٦/٣).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/١٢١).



الصالح، ونواقض صحة الدعوة، ودليل على أنه يسعى لحظ نفسه وليس لاتباع أمر الله ورسوله.

٤- لو قَدَّرَ الله ﷻ على الداعية إلى الله موقفاً يستثير لديه الحمية ونصرة القبيلة بالباطل، وأحسَّ من نفسه ضعفاً واضطراباً؛ فإنه يُقدِّم مراد الله ﷻ على مراد نفسه، ويضع الأنفة تحت أقدامه، طاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ، فيكون داعياً إلى الصفات الحميدة قولاً وعملاً.





## الفصل السادس

# الوسائل والأساليب الدعوية في حادثة الإفك

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الحكمة.

المبحث الثاني: الموعظة الحسنة.

المبحث الثالث: ضرب المثل.

المبحث الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الخامس: الترغيب والترغيب.

المبحث السادس: الخطابة.







## المبحث الأول

### الحكمة

«كمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قُوَّته العلمية والعملية، فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل، وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك»<sup>(١)</sup>.

و(الحِكْمَة) في اللغة: اسم مُشتَقٌّ من الفعل الثلاثي المجرد (حَكَمَ)، وأصل مادته: الحاء والكاف والميم؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على: المنع لإصلاح. ومن ذلك: (الحُكْم) وهو: المنع من الظُّلم، ومنه سميت (حَكْمَة) الدابة بذلك؛ لأنها تمنعُها، يقال: (حَكَمْتُ) الدابة و(أَحَكَمْتُها)، ويُقال: (حَكَمْتُ) السفينة (وأَحَكَمْتُه): أخذت على يديه<sup>(٢)</sup>، وكُلُّ شيءٍ مَنَعْتَهُ من الفساد أو عَمَّا يريد فقد (حَكَمْتَهُ)، و(أَحَكَمْتُ) الشيء (فاستَحَكَمَ): أَتَقَنَّتْهُ<sup>(٣)</sup>، ولذلك كان من معاني (الحِكْمَة): العدل، والعِلْم، والحِلْم، والنبوة، والقرآن<sup>(٤)</sup>.

وفي الاصطلاح: إصابة الحق بالعلم والعقل<sup>(٥)</sup>، وقيل: معرفة أفضل الأشياء

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (١١٥).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/١٩٠٣)، معجم مقاييس اللغة (٢/٩١)، مفردات ألفاظ القرآن (١/٢٥١).

(٣) تهذيب اللغة (٤/١١١، ١١٢)، معجم مقاييس اللغة (٢/٩١)، المحيط في اللغة (٢/٣٨٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٣/٥٠)، القاموس المحيط ص: (١٤١٥).

(٤) العين (٣/٦٦)، المحكم والمحيط الأعظم (٣/٥٠)، القاموس المحيط ص: (١٤١٥).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (١/٢٥٢).

بأفضل العلوم، وقيل: «هي اللُّمُّ بالحق والعمل به»<sup>(١)</sup>، وقيل: كلُّ كلمة وعظمتك وزجرتك، ودعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح؛ فهي حكمة وحكم<sup>(٢)</sup>، وكل هذه التعريفات من باب تعريف الشيء ببعض صفاته أو أنواعه، ولذلك يمكن التعبير عنها بعبارة مختصرة؛ فنقول: «الحكمة: وضع الشيء في موضعه»<sup>(٣)</sup>، أو: «هي صواب الأمر وسداده»<sup>(٤)</sup>.

«والحكمة حكمتان: علمية وعملية؛ فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمرًا قدرًا وشرعًا، والعملية: وضع الشيء في موضعه»<sup>(٥)</sup>.

وللحكمة مكانة عظيمة في الدين الإسلامي، ومنزلة رفيعة عند أولى الألباب، وقد دل الكتاب والسنة على ذلك، مما يبين أنها من أعظم الأساليب والوسائل الدعوية، ومما جاء في ذلك:

١- أن الله ﷻ وصف القرآن الكريم بها، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨] يعني: والقرآن (الحكيم)، يعني: ذي الحكمة الفاصلة بين الحق والباطل»<sup>(٦)</sup>، قال ابن عباس رضى الله عنهما: «(الحكيم) الذي قد كُمِّل في حكمته»<sup>(٧)</sup>.

(١) الرد على المنطقيين ص: (٤٦٨).

(٢) جوهرة اللغة (١/ ٥٦٤).

(٣) التعريفات ص: (١٢٤)، الكليات ص: (٣٨٢).

(٤) الكليات ص: (٣٨٢).

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧٨).

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/ ٤٥٨).

(٧) المصدر السابق (٥/ ٤٥٩).

٢- وكما وصف الله بها كتابه فقد وصف بها سنة رسوله ﷺ، التي هي وحيٌ منه ﷺ، وهي الأصل الثاني في التشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]<sup>(١)</sup>، ففيه هذه الآية «يُذَكِّرُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعَثَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ وَيُزَكِّيهِمْ، أَي: يَطْهَرُهُمْ مِنْ رِذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَدَنَسِ النُّفُوسِ وَأَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ (وهو القرآن)، وَالْحِكْمَةَ (وهي السنة)، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ»<sup>(٢)</sup>.

٣- وجعلها الله من مَنِّهِ الْعَظِيمَةِ عَلَى الْعَبْدِ، فقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ففي هذه الآية الكريمة بيان الفضل العظيم الذي خُصَّ بِهِ مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآتَاهُ الْحِكْمَةَ (وهي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها)، وَأَنْ مِنْ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَقَدْ آتَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَي خَيْرٍ أَعْظَمَ مِنْ خَيْرٍ فِيهِ سَعَادَةُ الدَّارِينَ وَالنَّجَاةُ مِنْ شَقَاوَتِهَا؟<sup>(٣)</sup>.

٤- كما امتدح بها سبحانه بعض أوليائه الصالحين، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، أَي: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالْعَقْلَ وَالْإِصَابَةَ فِي الْقَوْلِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة، آية رقم: (١٥١)، ونظائرها في سورة البقرة، آية رقم: (٢٣١)، وآل عمران، آية رقم: (٤٨)، وآية رقم: (٨١)، وآية رقم: (١٦٤)، وسورة المائدة، آية رقم: (١١٠)، وسورة الأحزاب، آية رقم: (٣٤)، وسورة الجمعة، آية رقم: (٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٦٤).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (١١٥).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٨/ ٥٤٥).

٥ - وجعلها الله من أهم ما ينبغي أن تتصف به الدعوة إلى الله، فأمر نبيه ﷺ بها - وهو قدوة الدعاة-، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (ادع) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته (إلى سبيل ربك) يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام (بالحكمة) يقول: بوحى الله الذي يوحى إليك وكتابه الذي ينزله عليك (والموعظة الحسنة) يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله...»<sup>(١)</sup>.

٦ - ودعا النبي ﷺ بها لبعض أصحابه، فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة -وفي رواية الكتاب-»<sup>(٢)</sup>، والأقرب أن المراد بها: الفهم في القرآن<sup>(٣)</sup>، وأي أمر يبلغ من الأهمية مبلغ أهمية فهم الداعية نصوص القرآن الكريم؟

٧ - وجعلها النبي ﷺ إحدى خصلتين اثنتين توجب لصاحبها أن يغبطه المسلمون عليها<sup>(٤)</sup>، فقال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»<sup>(٥)</sup>.

وفي حادثة الإفك كانت مواقف أهل الإيمان مليئة باستعمال الحكمة والتعامل بها، ومن تلك المواقف:

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤ / ٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٥٦، ٧٥)، (٧٢٧٠).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١ / ١٧٠).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٣ / ١٢١).

(٥) أخرجه البخاري (١ / ٢٦، ٢٥) رقم: (٧٣) -واللفظ له-، ومسلم (٢ / ٢٠١) رقم: (١٩٣٣).



## 📖 من جانب النبي ﷺ:

١- كان ما فعله ﷺ مع زوجته عائشة رضي الله عنها حين كان يدخل عليها ويقول: «كيف تيكم؟»، -هو- عينَ الحكمة في التعامل؛ لأنَّ فيه: «ملاطفة الرجل زوجته وحسن المعاشرة»<sup>(١)</sup>، فالداعية الحضيف لا تغيب عنه هذه الحكم في تعامله مع أهل بيته عند اشتداد البلاء ونزول المصائب.

٢- وفي هذا الموقف نفسه حكمة نبوية عظيمة من جهة أخرى، وهي: أنه إذا عرض للرجل عارض بأن سمع عن زوجته شيئاً فإنه يقلل من اللطف ونحوه؛ لتفطن هي أن ذلك؛ لعارض؛ فتسأل عن سببه؛ فتزيله<sup>(٢)</sup>.

٣- وفيه كذلك تطبيق نبوي عظيم للحكمة في الدعوة يستفيد منه الدعاة فائدة عظيمة، وهو: «السؤال عن المريض، والإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة، فإذا كان السبب محققاً فيترك أصلاً، وإن كان مظنوناً يخفف، وإن كان مشكوكاً فيه، أو محتملاً فيحسنُ التقليل منه لا للعمل بما قيل، بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه؛ لأن ذلك من خوارم المروءة»<sup>(٣)</sup>.

٤- وتأمل حكمة النبي ﷺ في اختياره من يستشيرهم في أمر فراق زوجته عائشة رضي الله عنها، حيث كان الموقف يتطلب صراحة وجرأة، فاختر ﷺ شابين هما: علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد رضي الله عنهما، «وذلك أن للشباب من صفاء الذهن ما ليس لغيره، ولأنه أكثر جرأة على الجواب بما يظهر له من المسن؛ لأن المسن غالباً يحسب العاقبة قريباً أخفى ما يظهر له رعايةً للقائل تارةً والمسؤول عنه أخرى»<sup>(٤)</sup>.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١١٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٧/١١٧).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/٤٧٩).

(٤) المصدر السابق (٨/٤٦٩).

٥- والموقف نفسه أبرز حكمةً أخرى من حِكَمِ النبي ﷺ، فلم ينفرد برأيه مع أنه أكمل الخلق رأياً وأصوبهم قراراً، بل استشار في الأمر أقرب الناس منه، ومن له الفضل، واستشار من هو دونه وأصغر منه، وهذا الأمر يدل على أهمية استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب، واستشارة الأعلى لمن هو دونه<sup>(١)</sup>.

٦- كما يَبْزُرُ لنا جانب آخر من الحكمة النبوية في هذه الحادثة، وذلك في تعامله ﷺ مع المواقف الحرجة، فعندما ردَّ أسيد بن حضير على سعد بن عبادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما بقوله: «كذبت -لعمرك الله-، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين»، تركَ النبي ﷺ الإنكار على أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنَّ أسيداً لم يُرد نفاق الكفر، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس ثم ظهر منه في هذه القصة ضد ذلك، فأشبه حال المنافق؛ لأنَّ حقيقته إظهار شيء وإخفاء غيره، ولعل هذا هو السبب في ترك إنكار النبي ﷺ عليه<sup>(٢)</sup>.

٧- وفيما فعله ﷺ من إشارته للصحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالسكوت حين تتاور الأوس والخزرج، استخدام للحكمة في الدعوة، وهي: «قطع الخصومة، وتسكين نائرة الفتنة، وسد ذريعة ذلك، واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما»<sup>(٣)</sup>، وهذا الفعل هنا متضمن لأعلى مراتب الحكمة، حيث وقع بسببه إطفاء نار الفتنة التي كادت تُحْرِقُ المجتمع المؤمن بأسره.

٨- وفي تبشير النبي ﷺ عائشة ببراءتها حكمة دعوية عظيمة، وهي: «تبشير من تجددت له نعمة أو اندفعت عنه نقمة، والضحك والفرح والاستبشار عند ذلك،

(١) انظر: المصدر السابق (٨/ ٤٨٠).

(٢) المصدر السابق (٨/ ٤٧٤).

(٣) المصدر السابق (٨/ ٤٨٠).



ومعذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه»<sup>(١)</sup>.

٩ - وفيه أيضًا حكمة دعوية عظيمة أخرى، هي: «تدرّج من وقع في مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهله فيهلكه، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك، ثم تبشيرها، ثم إعلامها ببراءتها مجملًا، ثم تلاوته الآيات على وجهها، وقد نص الحكماء على أن من اشتد عليه العطش لا يُمْكِنُ من المبالغة في الري في الماء؛ لئلا يفضي به ذلك إلى الهلكة بل يُجَرِّعُ قليلًا قليلًا»<sup>(٢)</sup>.

📖 من جانب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

١ - كان من تعاملها بالحكمة: احترازها مما قد يُفْهَمُ من لفظها على غير الوجه الذي أرادت، يتضح ذلك في قولها عن صفوان بن المعطل رضي الله عنه لما حملها على بغيره: «والله ما يكلمني كلمة»، حيث عبّرت بالفعل المضارع «إشارةً إلى استمرار ترك الكلام، وتجدد هذا الاستمرار، فإنه قد يُفْهَمُ من التعبير بالماضي اختصاص النفي بحالة، بخلاف المضارع»<sup>(٣)</sup>.

٢ - وفي قولها رضي الله عنها: «إِن قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيَّةٌ - وَاللَّهِ بِهِ زَكَاةٌ يَعْلَمُ أَنِّي لَبَرِيَّةٌ -؛ لَا تَصَدَّقُونِي بِذَلِكَ! وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ - وَاللَّهِ بِهِ زَكَاةٌ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيَّةٌ -؛ لَتَصَدَّقُونِي!»، تعاملٌ بالحكمة يستفيد منه المؤمنون عامةً، والدعاة خاصةً، وهي: أنه «لا يجب لأحد أن يعترف على نفسه بما لم يفعله وإن عَلِمَ أنه في إنكاره يُكذِّبُ وفي اعترافه يُصدِّقُ لقريئة تدل على ذلك، بل لا يجب أن لا يقول إلا الحق»<sup>(٤)</sup>، وكذلك

(١) انظر: المصدر السابق (٨ / ٤٨١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٨ / ٤٨١).

(٣) طرح الشريب (٨ / ٢٦٠).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨ / ٢٩٩).

تُرشد بفعلها إلى «أن الاعتراف بما فشا من الباطل لا يَحِلُّ ولا يَحْمِلُ»<sup>(١)</sup>.

### من جانب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

١- أبرز صفوانُ بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التعامل بالحكمة في المواقف الحرجة بما يناسب الحال، وذلك حين رأى أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الخلاء وحدها، فإنه لم يوقظها بندائه لها أو تكليمه إياها؛ صيانةً لحرمة النبي ﷺ، بل استرجع ورفع صوته بالاسترجاع حتى استيقظت بسبب ذلك<sup>(٢)</sup>، كما قالت: «فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني».

٢- وكان من التعامل بالحكمة من علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قام إلى بريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فضربها ضرباً شديداً، وجعل يقول: أصدقي رسول الله ﷺ؟، فتقول: والله لا أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة إلا أني كنت أعجن العجين فأمرها أن تحفظه، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله. فأظهر هذا الفعل من ذلك الصحابي الجليل أن من الحكمة استخدام شيء من السياسة في بعض المواقف التي تقتضيها للوصول إلى الغاية الشرعية الحميدة<sup>(٣)</sup>.

٣- ومن التعامل بالحكمة لدى بريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها لما أرادت بيان ما في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من عيب (وهو نومها عن العجين) لم تبادر بذكر العيب، بل قدّمت لها العذر (وهو أنها حديثة السن)؛ مما يقتضي أن يكون ذلك العيب ليس عيباً على الحقيقة؛ لأنه من طبيعة الإنسان في ذلك العمر<sup>(٤)</sup>.

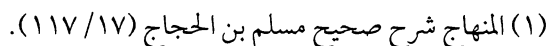
(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨ / ٤٠).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨ / ١٤٧).

(٣) انظر: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام (٤ / ٢٦٢).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨ / ٤٨٠).





## المبحث الثاني الموعظة الحسنة

«الناس يحتاجون إلى الموعظة الحسنة وإلى الحكمة، فلا بد من الدعوة بهذا وهذا»<sup>(١)</sup>.

و(الموعظة) في اللغة: مصدر ميمي للفعل الثلاثي المجرد (وَعَظَ)، يقال: (وَعَظَ، يَعْظُ، وَعَظًا، وَمَوْعِظَةً، وَعِظَةً)، فَاتَّعَظَ: قَبْلَ الْمَوْعِظَةِ<sup>(٢)</sup>، وأصل مادته: الواو والعين والظاء؛ وهو أصل واحد؛ فالْوَعْظُ: التخويف، والعِظَةُ: الاسم منه. وهو: التذكير بالخير ونحوه مما يرقُّ له قلبه - من ثواب وعقاب -<sup>(٣)</sup>، وقيل: الوَعْظُ: زَجْرٌ مَقْتَرِنٌ بتخويف<sup>(٤)</sup>، وقيل: النَّصْحُ والتذكير بالعواقب<sup>(٥)</sup>.

و(الحَسَنَةُ): ضد السَّيِّئَةِ، و(الحُسْنُ): ضد القُبْحِ، و(الحَسَنُ): ما حَسُنَ من كُلِّ شيء<sup>(٦)</sup>.

و(المَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ) في الاصطلاح: الْمَوْعِظَةُ المشتملة على التَّوْبِغِيبِ في الْحَقِّ، والترهيب من الْبَاطِلِ<sup>(٧)</sup>، ويمكن التعبير عنها بعبارة مختصرة؛ فنقول: الأمر والنهي

(١) الرد على المنطقيين ص: (٤٦٨).

(٢) العين (٢/٢٢٨)، تهذيب اللغة (٣/١٤٦)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/١١٨٣)، المحكم والمحيط الأعظم (٢/٣٣٣).

(٣) العين (٢/٢٢٨)، تهذيب اللغة (٣/١٤٦)، معجم مقاييس اللغة (٦/١٢٦)، المحكم والمحيط الأعظم (٢/٣٣٣).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٥٢٣).

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/١١٨٣).

(٦) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٣/١٩٧، ١٩٨)، القاموس المحيط ص: (١٥٣٥).

(٧) مجموع الفتاوى (١٩/١٦٤). وانظر: النكت والعيون (٣/٢٢٠)، معالم التنزيل (٥/٥٢).



المقرون بالرغبة والرهبة<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في الكتاب والسنة ما يبين أهمية الموعظة الحسنة، وأنها من أنفع أساليب ووسائل الدعوة إلى الله، ومن ذلك:

١- أن الله سبحانه وصف آياته في القرآن الكريم -بما تشتمل عليه من الأمر والنهي والزواج والتذكير- بأنها موعظة، فقال تعالى: ﴿جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والمراد بالموعظة هنا: «التذكير والتخويف الذي ذكرهم وخوفهم به في أي القرآن»<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَقَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] «يقول تعالى ممتناً على خلقه بما أنزل إليهم من القرآن العظيم على رسوله الكريم: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَقَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾» [يونس: ٥٧] أي: زاجر عن الفواحش»<sup>(٣)</sup>.

٢- وإذا تأملت أسلوب الأنبياء ﷺ في دعوتهم، وجدت الموعظة الحسنة هي السمة البارزة فيها، ومن ذلك: أن نوحاً ﷺ أرسله الله ﷻ ليدعو قومه نذيراً لهم وواعظاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]، فقام ﷺ بوعظهم وإرشادهم على أكمل وجه حين: ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [٢] ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ [نوح: ٢، ٣]، فكانت موعظته بليغة، «وذلك لتوضيحه ما أنذر به وما أنذر عنه، وبأي شيء تحصل النجاة، بين جميع ذلك بياناً شافياً، فأخبرهم وأمرهم بزبدة ما يأمرهم به فقال: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾» [٢] وذلك بإفراده تعالى بالتوحيد والعبادة، والبعد عن الشرك وطرقه ووسائله، فإنهم إذا اتقوا الله

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٧٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ١٦٤).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/ ٤٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٧٤).

غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب، والفوز بالشواب»<sup>(١)</sup>.

٣- وهي كذلك أسلوبٌ مُطَرِّدٌ في دعوة الأولياء والصالحين، ومنهم:

\* لقمان في موعظته لابنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لِقْمَنٌ لِّابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣ ﴾ [لقمان: ١٣]، أي: «يخاطبه بالمواعظ التي ترغبه في التوحيد، وتصده عن الشرك، فبدأ فيوعظه بنهيهِ عن الشرك لأنه أهم من غيره»<sup>(٢)</sup>.

\* ومؤمن آل فرعون في موعظته لقومه: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُورُ آتِيعُوا الْمُرْسَلِينَ ٢٠ ﴾ [يس: ٢٠]، فكانت موعظته «حرصاً على نصيح قومه حين سمع ما دعت إليه الرسل وآمن به، وعلم ما رد به قومه عليهم، فقال لهم: ﴿ يَنْقُورُ آتِيعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ فأمرهم باتباعهم ونصحهم على ذلك، وشهد لهم بالرسالة، ثم ذكر تأييداً لما شهد به ودعا إليه، فقال: ﴿ آتِيعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ أي: اتبعوا من نصحكم نصحاً يعود إليكم بالخير، وليس يريد منكم أموالكم ولا أجراً على نصحه لكم وإرشاده إياكم، فهذا موجب لاتباع من هذا وصفه. بقي أن يقال: فلعله يدعو ولا يأخذ أجره، ولكنه ليس على الحق، فدفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ لأنهم لا يدعون إلا لما يشهد العقل الصحيح بحسنه، ولا ينهاون إلا بما يشهد العقل الصحيح بقبحه»<sup>(٣)</sup>.

٤- وأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالتحلي بها في الدعوة إلى الله، فقال في كتابه العزيز: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (ادع) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته (إلى سبيل ربك) يقول: إلى

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٨٨٨).

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (٤/ ٣٣٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٦٩٣).



شريعة ربك التي شرعها لخلقها، وهو الإسلام (بالحكمة) يقول بوحى الله الذي يوحى إليك وكتابه الذي ينزله عليك (والموعظة الحسنة) يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله، كالتى عدّد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه<sup>(١)</sup>.

٥- كما أمره ربه بأن يتحلّى بها مع طائفة هي من ألدّ أعداء الدين الحنيف (وهم المنافقون)، حيث فتّعت أنفسهم بتحكيم الطاغوت وتقديمه على تحكيم رسول الله ﷺ، وأظهروا له حسن نواياهم، ومع اتصافهم بذلك قال الله ﷻ لنبيه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، أي: «هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك -يا محمد- صفتهم (يعلم الله ما في قلوبهم) في احتكامهم إلى الطاغوت، وتركهم الاحتكام إليك، وصدودهم عنك من النفاق والزيغ، وإن حلفوا بالله: ما أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً (فأعرض عنهم وعظّمهم) يقول: فدعهم فلا تعاقبهم في أبدانهم وأجسامهم، ولكن عظّمهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحلّ بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم، وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله، (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) يقول: مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعدته ووعيدته».

٦- وكان النبي ﷺ في دعوته يسلك أسلوب الموعظة الحسنة في كثير من المناسبات، ففي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> قال: «وعظنا رسول الله ﷺ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤/ ٤٠٠).

(٢) عرباض بن سارية، السلمي، أبو نجیح، صحابي مشهور، من أهل الصُّفّة، من قدماء من أسلموا من الصحابة. توفي سنة ٧٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤١٩)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤٨٢/ ٤).

موعظة، ذرفت<sup>(١)</sup> منها العيون، ووجلت<sup>(٢)</sup> منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مُودَّعٍ، فما تعهد إلينا؟، قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالكٌ، فمن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنها المؤمن كالجمل الأنف<sup>(٣)</sup>، حيثما قيد انقاد<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه<sup>(٥)</sup> قال: «قالت النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك. فوعدهنّ يوماً لقيهنّ فيه، فوعظهنّ وأمرهنّ، فكان فيما قال لهنّ: ما منكنّ امرأة تقدّم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين؟، فقال: واثنين<sup>(٦)</sup>».

وفي جادثة الإفك استعمل النبي ﷺ أسلوب الموعظة مع زوجته وحبيته عائشة رضي الله عنها فقال: «أما بعد، يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب؛ فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب؛ تاب الله عليه»، ففي هذا الموقف استعمال أسلوب الموعظة الحسنة، وقد اشتمل

(١) ذرفت العين، تذرف: إذا جرى دمعها. النهاية في غريب الحديث والأثر (١٥٩/٢).

(٢) الوَجَل: الفزع، وقد وَجَلَ يُوَجِّلُ وَيُنَجِّلُ فهو وَجِلٌ. المصدر السابق (١٥٦/٥).

(٣) الجمل الأنف: المأنوف، وهو: الذي عقر الخشاش أنفه؛ فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به. وقيل: الأنف: الدلول. يقال: أنف البعير، أنف، أنفًا، فهو أنف: إذا اشتكى أنفه من الخشاش. المصدر السابق (٧٥/١).

(٤) أخرجه ابن ماجة (١٦/١) رقم: (٤٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٧).

(٥) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبحر، الأنصاري، الخزرجي، أبو سعيد الخدري، صحابي مشهور، مشهور بكنيته، فقيه، من المكثرين من الصحابة. توفي سنة ٧٤هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/١٦٨)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٧٨).

(٦) أخرجه البخاري (٣٦/١) رقم: (١٠١).



على عدد من القواعد التي تجعل هذا الأسلوب من أنفع الأساليب الدعوية وأجملها:

١- من الأدب الرفيع في إلقاء الموعظة: مراعاة شعور المدعو، والحرص على وصول المراد إلى قلبه بأجل وأكمل أسلوب؛ لتتم الفائدة المرجوة من طرح الموعظة عليه، وهذا ظاهر في قوله ﷺ: «كذا وكذا»؛ فإن فيه عدم التصريح بما رميت به عائشة رضي الله عنها من الإفك، والاقتصار على الكناية عن ذلك<sup>(١)</sup>.

٢- أن الموعظة إذا كانت تُلقى على من كان معروفًا بالخير والصلاح، أو عدم الوقوع في الموبقات والكبائر، أو لم يكن له سابقة في الوقوع في ذلك الأمر الذي يُوعظ فيه، أو لم يكن من عادته الوقوع فيه؛ فإنه ينبغي -في أثناء إلقاء الموعظة عليه- مراعاة ما يأتي:

\* حُسن الظن به، وعدم تحريجه بها لا يحسن أو يليق، وعدم حمّله المحمل السيئ الذي يُسقط ماضيه الطيب، فالنبي ﷺ لم يَظُنَّ بزوجه -التي يعظها في هذا الموقف- سوءاً قطّ -وحاشاه وحاشاها<sup>(٢)</sup>، بل إنه شهد لها بالخير لما استعذر من أهل الإفك فقال: «من يعذرني في رجلٍ بلغني أذاهُ في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي».

\* عدم تركه دون موعظة حتى وإن كان ماضيه يشفع له أو يشهد له بالصلاح، فإن النبي ﷺ -مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءة زوجته عائشة التي يعظها في هذا الموقف، وما كان عنده من القرائن التي تُشهد ببراءتها أكثر مما عند المؤمنين- لم يشهد ببراءتها<sup>(٣)</sup>، بل وعظها وذكرها بالله.

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ٤٧٥).

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٦٣).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٦٣).

٣- أن يُضْمَنَ الداعية موعظته بما يناسب حال المدعو من أعمال القلوب كالخشية من الله أو رجاء ثوابه أو التوكل عليه أو الاستعانة به ونحو ذلك، فالنبي ﷺ في موعظته لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال لها: «فإن كنتِ بريئة فسيبرئك الله»، «أي: بوحى ينزله بذلك قرآنًا أو غيره»<sup>(١)</sup>، فضمّن موعظته حسن الظنّ به سبحانه ورجاء نصره وفرجه.

وكان لذلك أثرٌ عظيم في نفس عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقد فَهِمَتْ مِنْ موعظة النبي ﷺ لها أن المرء إن كان بريئًا مما يُتَّهَمُ به فإنَّ ربّه سبحانه وتعالى الذي يراه في خلوته لن يخلّده حين يتوكل عليه ويرجو نصره ويحسن الظن به، ولذلك قالت: «ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي براءتي».

٤- توجيه المدعو إلى ما يصلح حاله وينفعه في مخالفته التي وقعت منه، ومن ذلك أن يستر على نفسه ولا يفشي وقوعه في المعصية للناس، مع ندبه للتوبة بينه وبين ربّه، كما في قوله ﷺ: «وإن كنتِ أَلَمْتَ بذنب؛ فاستغفري الله وتوبي إليه»، فأمراها أن تستغفر الله وتتوب إليه (أي: فيما بينها وبين ربها)<sup>(٢)</sup>.

٥- تعظيم جانب الرجاء في مغفرة الذنوب لدى المدعو، وعدم تقنيته من رحمة الله ﷻ، كما في قوله ﷺ: «فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب؛ تاب الله عليه».

هذه فوائد عظيمة من موقفٍ واحدٍ استعمل فيه النبي ﷺ أسلوب الموعظة الحسنة، وفيه أيضًا فوائد ودروس أخرى، منها:

١- أن المواقف الحرجة يجب أن لا تؤثر في الداعية تأثيرًا سلبيًا وهو يقدم الموعظة للمدعو، فتأمل كيف أن النبي ﷺ في هذا الموقف البالغ في الصعوبة غايته لم تتأثر شخصيته، بل كانت موعظته ﷺ في غاية الكمال.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨ / ٤٧٥).

(٢) المصدر السابق (٨ / ٤٧٧).





- ٢- كانت موعظة النبي ﷺ بليغة التأثير، غزيرة الفوائد، فحرّئ بالدعاة الوقوف عندها، وتأملها؛ ليستفيدوا منها في واقعهم الدعوي..
- ٣- الموعظة الحسنة بالغة التأثير في المدعويين، فينبغي للدعاة الاعتناء بها تعلّمًا وتعلّمًا.
- ٤- أعظم ما يقوم الداعية إلى الله تعالى نظره في طريقة الأنبياء ﷺ في دعوتهم، ومنها الموعظة الحسنة التي كانت مُطرّدة في دعوتهم.
- ٥- يُدرِكُ الداعية إلى الله تعالى عظيمَ أهمية وأثرِ الموعظة الحسنة من خلال موقف النبي ﷺ مع زوجته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حين وعظها تلك الموعظة البليغة، وكيف أنها أثّرت في نفس أم المؤمنين. فالداعية لا يغفل عن هذه المثل والفوائد العظيمة، فحين يقف واعظًا لمن كان يمرُّ بظرف مقارب لهذا الموقف العصيب الذي ابتليت به أم المؤمنين، فإنّه يتمثّل بقيم موعظة النبي ﷺ، فيراعي نفسيّة المبتلى، ويعظّم في نفسه حسن التوكّل على الله ﷻ، ويندبه لستر نفسه، ويرعّبه في رحمة الله ﷻ وعظيم مغفرته.



## المبحث الثالث

### ضرب المثل

«اتفق العقلاء على أنَّ ضرب المثل ممَّا يعين على معرفة الكُلِّيات، وأنَّه ليس الحال إذا ذكر مع المثل كالحال إذا ذكر مُجَرَّدًا عنه»<sup>(١)</sup>.

و(ضَرْبُ المَثَلِ) مُرَكَّبٌ إضافيٌّ من كلمتي: (ضَرْبٌ)، و(المَثَلُ):

و(المَثَلُ) في اللغة: اسم مشتق من الفعل الثلاثي المجرد (مَثَلَ)، وأصل مادته: الميم والثاء واللام؛ وهو أصل صحيح يدل على: مناظرة الشيء للشيء، يقال: (هذا مِثْلُ هذا): نَظِيرُهُ، و(المَثَلُ): المِثْلُ والنظير - مثل: شَبَهَ وشَبَّهَ -<sup>(٢)</sup>، و(مِثْلُ) الشيء: شَبَّهَهُ<sup>(٣)</sup>، و(المَثَلُ): الشيء الذي يُضْرَبُ مِثْلًا فيُجْعَلُ مِثْلَهُ<sup>(٤)</sup>، أو: هو عبارة عن قولٍ في شيء، يُشَبِّهه قولًا في شيءٍ آخر، بينهما مشابهة؛ لبيّن أحدهما الآخر ويصوِّره<sup>(٥)</sup>.

و(الضَّرْبُ) هو: إيقاع شيءٍ على شيءٍ، و(الضَّرْبُ في الأرض): الذهاب فيها وضربها بالأرجل<sup>(٦)</sup>.

ف(ضَرْبُ المَثَلِ): ذكره وبيانه، وإيقاعه ووضعه، وإيجاده، ووصفه، وسوقه، وإيضاحه<sup>(٧)</sup>،

(١) مجموع الفتاوى (٢٣٨/٩).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٨١٧/٥)، معجم مقاييس اللغة (٢٩٦/٥)، مفردات ألفاظ القرآن (٣٦٢/٢).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (١٥٩/١٠).

(٤) العين (٢٢٨/٨)، تهذيب اللغة (٩٥/١٥)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٧٨/٣).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٣٦٢/٢).

(٦) المصدر السابق (٨/٢).

(٧) انظر: التحرير والتنوير (٣٣٨/١٧) (٨٥/٢١) (٧٤/٢٣) (٣٩٧) (٢٨/١١٧)، (٣٧٣)، روح

المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٠٦/١).



وقيل: هو نَظْمُ تركيبه الدال على تشبيه الحالة<sup>(١)</sup>، وهو: تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر<sup>(٢)</sup>.

والمقصود من ضَرْبِ المثل: جَعْلُهُ يسير في البلاد، ويدور على ألسنة الناس<sup>(٣)</sup>، أو: نَصْبُهُ للناس بالشُّهرة؛ لتستدلُّ عليه خواطرهم، كما تستدلُّ على الشيء المنصوب نواظِرُهُم<sup>(٤)</sup>.

وأسلوب ضرب المثل من الأساليب الدعوية التي لها قدرها ومكانتها وأهميتها، ومما يبيِّن ذلك:

- ١- أنه من الأساليب المطَّردة في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨]، حتى عدّه أهل العلم من أعظم علوم القرآن وأنفعها، ونصّوا على أن ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة، منها: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس<sup>(٥)</sup>، وكل هذه الأمور هي من المعاني المتضمّنة في الدعوة إلى الله.
- ٢- أنه من الأساليب المطَّردة في السنة النبوية، فقد تضمّنت أقواله ﷺ وتوجيهاته جانباً كبيراً من أسلوب ضرب المثل؛ مما يدل على أهميته وقوة تأثيره في الدعوة إلى الله.

(١) التحرير والتنوير (١٣/٢٢٣).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (١/١٥٠).

(٣) انظر: جبهة الأمثال (١/٧).

(٤) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص: (١٧٨).

(٥) انظر: الإتيان في علوم القرآن (٢/٣٤٣).

٣- أنه من أعظم وسائل الاتعاظ والتذكُّر والوعظ والتذكير، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧] وقال سبحانه: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥] والمعنى: «ويمثل الله الأمثال للناس، ويشبه لهم الأشياء (لعلهم يتذكرون) يقول: ليتذكروا حُجَّةَ الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا، فينزعوا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان»<sup>(١)</sup>.

٤- أن ضرب المثل من أساليب الفهم والتعليم، وفهم الأمثال من صفات أهل العلم والعقل، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، «وتلك الأمثال نضربها للناس»: أي: لأجلهم ولا تتفادهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس، (و) لكن (ما يعقلها) بفهمها وتدبرها وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب (إلا العالمون) أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم، وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثُّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين، والسبب في ذلك: أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار والمطالب العالية والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها، وأما من لم يعقلها -مع أهميتها- فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى»<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣/ ٦٣٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٦٣١).



٥- أنه من وسائل التدبر والتفكير، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، فربنا ﷺ «حث على تأمل مواضع القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي: متشققة من خشية الله. والخاشع: الذليل. والمتصدع: المتشقق. وقيل: خاشعاً لله بها كلفه من طاعته. مُتَّصِدّاً من خشية الله أن يعصيه فيعاقبه»<sup>(١)</sup>.

وفي حادثة الإفك: اشتد الكرب بأُم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فأهل النفاق اختلقوا فيها الإفك وأشاعوه، وبعض الصحابة أخطأوا فخاضوا فيه، والوحي قد انقطع نزوله من الله على نبيه شهراً كاملاً، والنبي ﷺ أمامها يعظها ويذكرها بالله ويطلب منها إعلان براءتها أو التوبة إلى الله، وأبواها لم يطيعاها في الإجابة عنها؛ وأمام هذه الشدائد المتتالية، وذلك الموقف العصيب؛ لم تجد من الكلمات والأساليب ما يعبر عن مكنون فؤادها، ويصور واقع حالها، إلا ضرب المثل فقالت: «والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾» [يوسف: ١٨]، و«قولها «إلا أبا يوسف» أي: إلا مثل يعقوب -عليه الصلاة والسلام-، وهو الصبر، وكأنها من شدة حزنها لم تذكر اسم يعقوب، وإنما قالت أبا يوسف لأنه لما جاء إخوة يوسف أباهم يعقوب ومعهم قميص يوسف بدم كذب قال يعقوب: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾» [يوسف: ١٨]، فجاء ضرب المثل منها في هذا الموقف معبراً عن فقهاها ومعرفتها بكتاب الله وما فيه من أعظم الألفاظ والتراكيب والأساليب، ودالاً على أن ضرب المثل يبلغ من القوة والجزالة والأهمية واشتغال المعاني المرادة وإيصال المقصود ما تبلغه العبارات الطويلة والكلمات الكثيرة، ومبرزاً أهمية

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٤٤).

المثل في هذا الموقف أو ما كان مثله أو نحوه، ومصورًا حالها وموقفها لمن كان في ذلك المجلس أبلغ تصوير وأحسنه، فقد حوى استدلالها بهذا المثل شيئًا عظيمًا من المعاني، ومنها:

١- أن يعقوب عليه السلام نبي من أنبياء الله، وقد حصل له بلاء شديد، فنعم الأسوة هو لها في هذه المحنة التي أصابتها.

٢- أنه إذا كان أنبياء الله -وهم أحب الخلق إليه- يقع لهم من البلاء والكرب والشدة ما فيه فقد الولد وتكالب الأبناء على أبيهم؛ فكيف بغيرهم؟

٣- أن أبناء يعقوب عليه السلام تأمروا على أخيهم يوسف، واتفقوا على إخفاء فعلتهم عن أبيهم، واستدلوا بقميص يوسف استدلالاً فيه تمويه، وهذا هو ما وقع لها في الإفك؛ فالمنافقون تأمروا عليها بالإفك والبهتان لأذية النبي ﷺ، وأخفوا حقيقة باطنهم وأهدافهم عن المسلمين، وموهوا باطلهم وأثاروا الشكوك بالاستدلال بمجيء عائشة إلى الجيش وهي راكبة على بعير صفوان، هذا مع التنبيه على أن المشاة هنا إنما هي بالنسبة إلى مجرد الفعل، مع الاختلاف العظيم بين الطرفين؛ فإخوة يوسف مؤمنون، والمنافقون من أهل الكفر.

٤- أن الدليل الذي جاء به إخوة يوسف على صحة كلامهم (وهو قميص يوسف) لم يجعل نبي الله يعقوب عليه السلام يصدقهم، وكذلك ينبغي أن لا يصدق المؤمنون ما أثير من الإفك على عائشة مهما زينه المنافقون واستدلوا عليه.

٥- أن يعقوب عليه السلام بعد أن أصابه من الكرب ما أصابه بسبب فقدته أحب أبنائه إليه، صبر على قضاء الله وقدره ولم يجزع، وكذلك أم المؤمنين صبرت على ما أصابها من البلاء.

٦- أن يعقوب عليه السلام واجه ما فعله أبنائه من التآمر على ابنه يوسف بالاستعانة



بالله سبحانه والالتجاء إليه، وكذلك أم المؤمنين تستعين بالله سبحانه على ما وصفها به أهل الإفك من الزور والبهتان.

لقد كان في موقف أم المؤمنين عظة وعبرة للدعاة إلى الله تعالى، ومن الدروس المستفادة منه ما يأتي:

١- ضرب المثل من أقوى الأساليب الدعوية تأثيراً في المدعويين؛ لأنه يقرب الفهم من خلال القياس بين صورتين، فيزيل بذلك اللبس المحتمل في نفس المدعويين، ويخاطب به العقل والعاطفة في آن واحد.

٢- من أعظم ما يفيد الداعية إلى الله تعالى في معرفة أفضل وأكمل طرائق ضرب المثل: كثرة قراءته للقرآن الكريم والسنة النبوية وتدبره فيها.

٣- الداعية إلى الله تعالى وهو يتأمل موقف أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في ضرا للمثل، وما اشتمل عليه ذلك من المعاني العظيمة؛ يعلم أنه قد يؤثر في المدعو بالمثل ما لا يؤثر فيه بالكلام المسترسل، وهذا يحدوه إلى ضرورة استعمال هذا الأسلوب الدعوي في مختلف المواقف والأحوال.



## المبحث الرابع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها<sup>(١)</sup>.

و(المَعْرُوف) في اللغة: اسم مفعول من الفعل الثلاثي المجرى المبني للمجهول (عُرِفَ)، يقال: (عُرِفَ، يُعْرَفُ، عِرْفَانًا، وَمَعْرِفَةً)، فهو (معروف)<sup>(٢)</sup>، وأصل مادته: العين والراء والفاء؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على: السُّكُون والطَّمَأْنِينَة، ومنه: (العُرْف) و(الْعَارِفَة): المعروف؛ سُمِّيَ بذلك لأنَّ النفوس تسكُنُ إليه<sup>(٣)</sup>.

و(المَعْرُوف) في الاصطلاح: اسم لكلِّ فعل يُعرف بالعقل أو الشرع حُسْنُه، وضده (الْمُنْكَر)<sup>(٤)</sup>.

و(الْمُنْكَر) في اللغة: اسم مفعول من الفعل الثلاثي المزيد المبني للمجهول (أُنْكَرَ)، يقال: (أُنْكَرَ، يُنْكَرُ، فهو مُنْكَرٌ)، وأصل مادته: النون والكاف والراء؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على: خلاف المعرفة التي يسكُنُ إليها القَلْبُ، ومنه: (نَكَرَ الشيء) و(أُنْكَرَهُ): لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه<sup>(٥)</sup>، والإنكار: الجحود وعدم الاعتراف<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣٤ - كتاب الحسبة).

(٢) العين (٢/ ١٢١)، تهذيب اللغة (٢/ ٣٤٤)، معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٨١)، المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ١٠٨).

(٣) تهذيب اللغة (٢/ ٣٤٤)، معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٨١)، المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ١١٠).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٨٧). وانظر: تهذيب اللغة (٢/ ٣٤٤)، المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ١١١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢١٦).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٧٦)، مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٤٥٣).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٧٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١٥).





و(النُّكْر) و(النُّكْر) و(النُّكْرَاء): المنكر، والأمر الشديد<sup>(١)</sup>.

و(المنكر) في الاصطلاح: اسم لكلِّ فعلٍ يُعَرَّفُ بالعقل أو الشرع قُبْحُهُ أو نَكَارَتُهُ<sup>(٢)</sup>، أو: هو كلُّ ما قَبَّحَهُ الشرع وحرَّمَهُ وكرَّهَهُ<sup>(٣)</sup>، وضدُّه (المعروف).

وعلى هذا؛ فيمكننا تعريف (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في الاصطلاح بأن نقول: الأمر بالمعروف: الإرشاد إلى المرائد المنجية، والنهي عن المنكر: الزجر عما لا يلائم في الشريعة، وقيل: الأمر بالمعروف: الدلالة على الخير، والنهي عن المنكر: المنع عن الشر<sup>(٤)</sup>.

وقد أمرنا الله سبحانه «بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالشيء مسبوق بمعرفته، فمن لا يعلم المعروف لا يمكنه الأمر به، والنهي عن المنكر مسبوق بمعرفته، فمن لا يعلمه لا يمكنه النهي عنه، وقد أوجب الله علينا فعل المعروف وترك المنكر، فإن حب الشيء وفعله وبغض ذلك وتركه لا يكون إلا بعد العلم ما حتى يصح القصد إلى فعل المعروف وترك المنكر، فإن ذلك مسبوق بعلمه فمن لم يعلم الشيء لم يتصور منه حب له ولا بغض ولا فعل ولا ترك؛ لكن فعل الشيء والأمر به يقتضي أن يعلم علماً مفصلاً يمكن معه فعله والأمر به إذا أمر به مفصلاً»<sup>(٥)</sup>.

والأدلة في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومكانته من الدين، وأهميته في حياة المسلمين؛ كثيرة مشهورة، منها:

- (١) العين (٣٥٥/٥)، معجم مقاييس اللغة (٤٧٦/٥)، المحكم والمحيط الأعظم (٨٠٤/٦)، القاموس المحيط ص: (٦٢٦).
- (٢) مفردات ألفاظ القرآن (٨٧/٢).
- (٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (١١٥/٥).
- (٤) انظر: التعريفات ص: (٥٤).
- (٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣٧/١٥).

١- أن الله أمر هذه الأمة أن تتصف به فقال: ﴿وَلَتَكُنْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه»<sup>(١)</sup>، «وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكايل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾»<sup>(٢)</sup>.

٢- وجعله سبحانه من أخص أوصاف هذه الأمة، ومن أهم أسباب حصول الخيرية لها على الأمم، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، «فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم، كما قال قتادة<sup>(٣)</sup>: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس سرعة فقراً هذه الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم قال: «من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٩١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (١٤٢).

(٣) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة، أبو الخطاب، السدوسي، البصري. الإمام

الحافظ، المفسر، من أعيان التابعين. توفي سنة ١١٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩)،

تهذيب التهذيب (٨/ ٣١٥).



فيها» (١) (٢).

٣- كما جعله من أوصاف النبي ﷺ وأسس دعوته، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا يَجِدُوا يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، «يقول تعالى ذكره: يأمر هذا النبي الأمي أتباعه بالمعروف، وهو الإيمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى، فذلك المعروف الذي يأمرهم به ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو الشرك بالله، والانتفاء عما نهاهم الله عنه» (٣).

٤- وجعله أيضاً من صفات المؤمنين الصادقين، فقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ الْمُبْدُونَ السَّاجِدُونَ الْمُسْتَخِيرُونَ الْمُقَرَّبُونَ الْمَتَّقُونَ وَالْمُهَلِّسُونَ لِيَوْمٍ لَّهُمْ فِيهِ أَلْجَاءٌ مُخْتَلِفٌ أَلْجَاءُهَا الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ بَأْسَ اللَّهِ وَلِلَّهِ أُلُوهٌ ۚ لَئِنْ أَسْأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ وَنَحْنُ عَلَىٰ قُلُوبِنَا غَافِلُونَ ۚ لَئِنْ أَسْأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُ آبَاءَنَا وَآبَاءَ آبَائِنَا وَإِهْلَاءَهُمْ وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ ۚ فَذَرْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالْعِثَّةِ الْمُنَتَقِينَ عَلِيمٌ ۚ﴾ [التوبة: ١١٢]،

«هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة»<sup>(٤)</sup>، ومنها: أنهم: «ينفعون خلق الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علماً وعملاً، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق»<sup>(٥)</sup>.

٥- وجعله سبحانه من أعظم الأعمال الصالحة التي يجبها وتُبَغَى بها مرضاته،

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٦٧٢)، وعنده: "رأى من الناس رِعَةً سيئةً"؛ والمراد: لم يحسنوا الاحتشام والكف عن سوء الأدب. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٠٣ / ٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٠ / ٤٩٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/٢١٩).

(٥) المصدر السابق (٢١٩/٤).

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجَوْنَهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، فاستثنى الله ﷻ مما يتناجى به العباد طائفة من الأعمال الصالحة، كان منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضاً لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر. وأما عند الاقتران فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهي<sup>(١)</sup>.

٥ - وأوجه النبي ﷺ على أمته، فقال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيـان»<sup>(٢)</sup>، «وهذا الأمر على الوجوب؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الإيمان، ودعائم الإسلام، بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، لكنه على الكفاية، مَنْ قام به أجزاءً عن غيره»<sup>(٣)</sup>.

٦ - وبين ﷺ أن القيام به من أعظم أسباب حفظ الأمة عن الشر والهلاك، فقال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»<sup>(٤)</sup>، «ولو لم يذكر النبي ﷺ

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص: (٢٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠/١) رقم: (١٨٦).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/٢٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٨/٣) رقم: (٢٤٩٣).



قوله: «ونجوا جميعاً» لكانت النجاة اختصت بالآخذين فقط، وليس كذلك، بل كلهم نجوا لعدم الخرق، وهكذا إذا أقيمت الحدود وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر تحصل النجاة للكل، وإلا هلك العاصي بالمعصية وغيرهم بترك الإقامة<sup>(١)</sup>، ولذلك ذكر الله تعالى عمن قبلنا أنه كان من أسباب هلاكهم عدم قيامهم بهذه الشريعة العظيمة، فقال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [المائدة: ٧٩].

### وفي حادثة الإفك:

١ - اشتملت الآيات الواردة في الحادثة على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال «ذب المسلم عن المسلم، خصوصاً من كان من أهل الفضل، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل»<sup>(٢)</sup>، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، ف«أوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلاً يقذف أحداً ويذكره بقبیح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه»<sup>(٣)</sup>، وفي «عطف قوله ﷺ ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢] تشريعٌ لوجوب المبادرة بإنكار ما يسمعه المسلم من الطعن في المسلم بالقول كما ينكره بالظن، وكذلك تغيير المنكر بالقلب واللسان»<sup>(٤)</sup>.

٢ - وبعد انجلاء الفتنة بنزول الوحي ببراءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ظهر تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال «أمر رسول الله ﷺ بمن صرح بالإفك فحدوا ثمانين ثمانين».

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٣ / ٨١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨ / ٤٧٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢ / ٢٠٢).

(٤) التحرير والتنوير (١٨ / ١٧٥).

ولم يحذ الخبيث عبد الله بن أبيّ مع أنّه رأس أهل الإفك:

قيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة، والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة ويكفيه عن الحد.

وقيل: بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه.

وقيل: الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو بيينة، وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد، فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه، ولم يشهدوا عليه، ولم يكن يذكره بين المؤمنين.

وقيل: حد القذف حق الأدمي، لا يستوفى إلا بمطالبة، وإن قيل إنه حق لله فلا بد من مطالبة المقذوف، وعائشة لم تطالب به ابن أبيّ.

وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مراراً، وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم عن الإسلام، فإنه كان مطاعاً فيهم رئيساً عليهم، فلم تؤمن إثارة الفتنة في حده. ولعله ترك هذه الوجوه كلها<sup>(١)</sup>.

كما ظهرت من خلال الحادثة قاعدة عظيمة من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي: أنه «إذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية، وإذا تركها كان عاصياً، فترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية. وهذا باب واسع، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومن هذا الباب إقرار النبي ﷺ لعبد الله بن أبي وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزم إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٦٣)



وحميتهم، وبنفور الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به واعتذر منه»<sup>(١)</sup>.

وكان من الدروس الدعوية العظيمة الاستفادة من تلك المواقف التي ظهرت فيها أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ما يأتي:

١- ينبغي للداعية إلى الله أن يحرص على هذا الأسلوب العظيم في جميع جوانب الدعوة، كما ينبغي له أن يغرس هذه الشعيرة العظيمة في نفوس المدعوين.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له قواعد وضوابط وأصول لا بد للداعية من مراعاتها؛ لتكون دعوته وفق ما جاء به الكتاب والسنة، ومنها:

\* أن يكون عالماً بأن ما يأمر به قد دل الشرع على أنه معروف، وبأن ما ينهى عنه قد دل الشرع على أنه منكر، وهذا يتطلب منه الحرص على طلب العلم والرسوخ فيه ليكون أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر على بصيرة وعلم.

\* أن يفقه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتب ودرجات وأصناف، وهي: اليد واللسان والقلب، ويعلم شروط وأحوال كل مرتبة.

\* أن يفقه أن المعروف درجات، وكذلك المنكر، فيعنى عناية فائقة بالأمر بأعظم معروف وهو التوحيد وما يتصل به، وإنكار أعظم منكر وهو الشرك وما يتصل به.

\* أن يجعل تعامله مع المدعوين -في أثناء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر- شدة ورحمة، وترغيباً وترهيباً، وإجمالاً وتفصيلاً، بحسب حال المعروف الذي يريد أن يأمر به، وحال المنكر الذي يريد أن ينهى عنه، فيفرّق بين الجاهل والساهي والمخطئ والعارف والمعاند والموافق والمخالف والداعية إلى الباطل والمغرور به وغير ذلك.

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣٠ - كتاب الحسبة).

\* أن يفقه باب المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك يتطلب منه أمرين: العلم الشرعي الصحيح المبني على الكتاب والسنة، وأخذ الخبرة عن أهل العلم الراسخين والرجوع إليه وسؤالهم.

٣ - هذه المواقف التي مرّت بالنبي ﷺ وزوجه عائشة رضي الله عنها والصحابه رضي الله عنهم في حادثة الإفك؛ تجلّت فيها فوائد عظيمة في طريقة التعامل مع المعروف أو المنكر في حال الاشتباه أو التأكد، أو حال الابتلاء بمواقف تدعو إلى الشكّ والريبة، فالداعية وهو يقرأ هذه المواقف يهيم نفسه للتعامل مع أحوال تكون مثل ما كان في تلك المواقف أو قريباً منها، وذلك بمعرفة ما ينبغي أن يسلكه من درجات ومراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تلك الأحوال.







## المبحث الخامس الترغيب والترهيب

«إنما يشتد افتقار العبد إلى العظة (وهي الترغيب والترهيب) إذا ضعفت إنابته وتذكره، وإلا فمتى قويت إنابته وتذكره لم تشتد حاجته إلى التذكير والترغيب والترهيب، ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي، والعظة يراد بها أمران: الأمر والنهي المقرونان بالرغبة والرغبة، ونفس الرغبة والرغبة، فالمنيب المتذكر شديد الحاجة إلى الأمر والنهي، والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب، والمعارض المتكبر شديد الحاجة إلى المجادلة»<sup>(١)</sup>.

و(الترغيب) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي الزيد (رَغَبَ) يقال: (رَغَبَ، يرغب، ترغيبًا)، وأصل مادته: الراء والغين والباء؛ وهو أصلان صحيحان يدلُّ أحدهما على: طلبٍ لشيء، والآخر على: سعةٍ في شيء<sup>(٢)</sup>.

فمن الأصل الأول: (رَغِبَ - في الشيء -، يرغب، رَغَبَةً، ورَغَبًا، ورَغَبًا): حرص عليه وطمع فيه وأراده<sup>(٣)</sup>.

ومن الأصل الثاني: الشيء (الرَّغِب): الواسع الجوف، يقال: (حَوْضٌ رَغِيبٌ)، و(سقاءٌ رَغِيبٌ)، و(الرَّغِيبَة): العطاء الكثير، والجمع: رَغَائِب<sup>(٤)</sup>.

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٤٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤١٥)، مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٤٠٧).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ١٣٧)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤١٥)، المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٥١٦)، المصباح المنير (١/ ٢٣١)، القاموس المحيط ص: (١١٥)، المعجم الوسيط (١/ ٣٥٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤١٥)، مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٤٠٧).

وفي الاصطلاح: كُلُّ مَا يُشَوِّقُ الْمَدْعُوَّ إِلَى الْإِسْتِجَابَةِ وَقَبُولِ الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.  
و(التَّرْهيب) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المزيّد (رَهَّبَ)، يقال: (رَهَّبَ، يَرَهِّبُ، تَرَهِّبًا)، وأصل مادته: الرءاء والهاء والباء؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على: خَوْفٍ<sup>(٢)</sup>، يقال: (رَهَبَ، يَرَهَبُ، رَهَبَةً، وَرَهَبًا): خَافَ<sup>(٣)</sup>، و(أَرَهَبَهُ) و(رَهَبَهُ) و(أَسْرَهَبَهُ): أَخَافَهُ وَفَزَعَهُ، و(التَّرَهَّبُ): التَّعَبُّدُ<sup>(٤)</sup>.

وفي الاصطلاح: كُلُّ مَا يُخَيِّفُ وَيُحْذِرُ الْمَدْعُوَّ مِنْ عَدَمِ الْإِسْتِجَابَةِ أَوْ رَفْضِ الْحَقِّ أَوْ عَدَمِ الثَّبَاتِ عَلَيْهِ بَعْدَ قَبُولِهِ<sup>(٥)</sup>.

والتَّغْيِيبُ والتَّهْيِيبُ من أعظم الأساليب الدعوية تأثيرًا ونفعًا وأهمية، ومما يدل على ذلك:

١- أن الرغبة في رحمة الله وثوابه، والرغبة من غضبه وعقابه؛ من الأعمال الصالحة التي يؤجر العبد عليها، فقد أمر الله بهما عباده، وامتدح أنبياءه وأوليائه بالانصاف بهما، فقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، ففي مجرد التَّغْيِيبِ والتَّهْيِيبِ دعوة للمدعو إلى أن يكون ممن يحقق

(١) أصول الدعوة ص: (٤٢١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٤٧)، مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٤١٧).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ١٤٠)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٤٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣١٠)، القاموس المحيط ص: (١١٨).

(٤) العين (٤/ ٤٧)، تهذيب اللغة (٦/ ٢٩٢)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ١٤٠)، معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٤٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣١٠).

(٥) أصول الدعوة ص: (٤٢١).



الرغبة والرغبة؛ فينال الفضل ويستحق المدح.

٢- أن الإنسان أمر بأن يكون «في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله ﷻ، حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان، قال الله تعالى: ﴿يَتَعَبَّدُونَ لِي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (٥٠) [الحجر: ٤٩، ٥٠]»<sup>(١)</sup>، والترغيب والترهيب فيهما إيجاد هذا التوازن في نفس المؤمن المدعو.

٣- أن الترغيب والترهيب من أساليب القرآن والسنة، فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة: ٧، ٨]، «فأنت ترى أن هاتين الآيتين قد جمعتا أسمى وأحكم ألوان الترغيب والترهيب»<sup>(٢)</sup>، ومن السنة: قول النبي ﷺ: «تحتاج النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم»<sup>(٣)</sup> وعجزهم. فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من أشياء من عبادي»<sup>(٤)</sup>.

وفي حادثة الإفك: جاء أسلوب الترغيب والترهيب في أكثر من مناسبة وموقف، ومنها:

١- رغب الله ﷻ عباده المؤمنين بما قدره من الخير العظيم بسبب هذا الإفك، فقال: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]، فبين سبحانه لهم عظيم الأثر

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٢٧).

(٢) التفسير الوسيط (١/ ٤٥٤٥).

(٣) أي: أرادهم وأدوانهم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٧٨).

(٤) أخرجه مسلم (٨/ ١٥١) رقم: (٧٣٥٢).

المرتب عن الإفك «لرجحان النفع والخير على جانب الشر»<sup>(١)</sup>، و«لأن الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم»<sup>(٢)</sup>.

ورهب سبحانه تلك الفئة الخائضة في الإفك بعذابه الأليم فقال: (لكل امرئ منهم) يعني: من العصبية الكاذبة (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) أي: جزاء ما اجتراح من الذنب على قدر ما خاض فيه ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: عبد الله ابن أبي بن سلول، والعذاب الأليم هو في النار في الآخرة<sup>(٣)</sup>.

٢- جمع سبحانه لعباده المؤمنين بين الترغيب والترهيب في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]، فالترغيب: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، فرغبهم في قبوله سبحانه لتوبتهم وإنابتهم إليه في الدنيا، وفي عفوه عنهم لإيمانهم بالنسبة إلى الدار الآخرة<sup>(٤)</sup>.

والترهيب: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، فرهبهم مما فعلوه ومن العودة إلى فعله.

٣- ورهب ﷻ من جملة من الأعمال التي وقعت من بعض المؤمنين فقال: ﴿إِذْ تَلَقَوْهُ، بِالسِّنَةِ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، يقول: وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بأفواهكم، عند الله عظيم من الأمر؛ لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله ﷺ وحليلته<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١٩٨).

(٢) معالم التنزيل (٦/ ٢٢).

(٣) المصدر السابق (٦/ ٢٣).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٨).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢١٨).



٤- ورهب الله ﷺ عباده من قول الإفك والخوض فيه بما يتضمنه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]، «يقول تعالى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم (لهم عذاب أليم) يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا، بالحد الذي جعله الله حداً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرّاً على ذلك غير تائب»<sup>(١)</sup>.

٥- ورغب سبحانه في فعل الخير والعتق والصفح عن المسيء، فقال: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، «يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فترك عقوبتكم عليها؟ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب من أطاعه واتبع أمره، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها وتابوا إليه من فعلها»<sup>(٢)</sup>.

٦- ورهب الله ﷺ مَنْ تُسَوَّلُ له نفسه أن يتعرض لأعراض المؤمنات العفيفات البريات بالقذف والرمي بالزنا، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، «هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات -خرج مخرج الغالب- المؤمنات. فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق ﷺ. وقد أجمع العلماء -رحمهم الله- قاطبة على أن من سبها بعد هذا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢١٩).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢٢٤).

ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن<sup>(١)</sup>، ومعنى الآية: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يقول: أبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وذلك عذاب جهنم<sup>(٢)</sup>.

«ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعده به العصاة لم تر الله قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة -رضوان الله عليها-، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام ما ارتكب من ذلك، واستفظاع ما أقدم عليه؛ ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مُفْتَنَة، كل واحد منها كافٍ في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الآيات الثلاث: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾، إلى قوله ﴿هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] لكفى بها حديثاً: جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيههم جزاءهم الحق الذي هم أهلُه حتى يعلموا عند الله أَنَّ اللَّهَ ﴿هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾، فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة»<sup>(٣)</sup>.

لقد كان من الدروس الدعوية المستفادة مما سبق ذكره ما يأتي:

١- الترغيب والترهيب من الأساليب القرآنية والنبوية، فعلى الدعاة إلى الله أن تكون صلتهم بالقرآن والسنة عظيمة لمعرفة مزايا هذا الأسلوب وفوائده وطرقه واستعمالاته، وأن يحرصوا على الاعتناء باستخدامه في المجال الدعوي.

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣١).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/ ٢٢٦).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٤٠٥).



٢- من أنفع الأساليب الدعوية وأقواها تأثيرًا في نفوس المدعوين: أسلوب الترغيب والترهيب.

٣- الداعية إلى الله تعالى يتأمل في تلك الأعمال التي ورد فيها الترغيب أو الترهيب في حادثة الإفك، فيربي نفسه على أمرين:

أولهما- الحرص على جميع الأعمال التي ورد فيها الترغيب، والابتعاد عن كل ما ورد فيه الترهيب.

وثانيهما- أن ينظر إلى ما هو واقع في مجتمع المدعوين من تلك الأعمال، فيستخدم فيها أسلوب الترغيب والترهيب كما جاء في القرآن الكريم.



## المبحث السادس

### الخطابة

«الخطابة من أشهر شعائر الإسلام...، شرعها الله تعالى لإذكّار خلقه بنعمه، وتحذير عباده من نقمه، وإعلام بريته بما أعد لمن أطاعه في دار كرامته من أنواع كرمه، وجعلها من وظائف الأمة العامة، ومن قواعد وراثّة النبوة التامة، يقف المتلبس بها موقف الإبلاغ عن الله لعباده، ويقوم الناهض بفرضها مقام المؤدي عن رسول الله ﷺ إلى أمته عن مراد الله ورسوله دون مراده، ويقيمها في فروض الكفايات على سنن سبله، ويستنزل بها مواد الرحمة إذا ضن الغيث على الأرض بوبله»<sup>(١)</sup>.

و(الْحَطَابَة) في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي المجرد (حَطَبَ)، يقال: (حَطَبَ، يَحْطُبُ، حَطَابَةً، وَحُطْبَةً)، وهو (خاطِبٌ، وَحَاطِبٌ)<sup>(٢)</sup>، وأصل مادته: الحاء والطاء والباء؛ وهو أصل صحيح يدلُّ على الكلام بين اثنين، ومنه: (الْحُطْبَة): الكلام المخطوب به، و(الْحَطْب): الأمر يقع؛ سُمِّيَ بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة<sup>(٣)</sup>.

و(الْحَطَابَة) أو (الْحُطْبَة) في الاصطلاح: الكلام المؤلف الذي يتضمن وَعْظًا وإبلاغًا، على صفة مخصوصة<sup>(٤)</sup>. وقيل: الكلام المنظوم المتضمن شرح حُطْبٍ

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا (١٢/٧٠).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (١٢٢/٥)، القاموس المحيط ص: (١٠٣)، المعجم الوسيط (٢٤٣/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/١٩٨)، مفردات ألفاظ القرآن (١/٣٠٣).

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩/١٧٦). وانظر: تهذيب الأسماء واللغات (٣/٩٢)، تحرير ألفاظ التنبيه ص: (٨٤).





عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>. وقيل: كلام منشور مؤلف من المقدمات اليقينية والمقبولة والمظنونة أو إحداها؛ ترغيباً أو ترهيباً، أو كلاهما، مصدرًا بالحمد والصلاة، مع كون مخاطبه غير معيّن<sup>(٢)</sup>.

والخطابة من الوسائل التي جاء الندب إليها وبيان أهميتها، ومن ذلك:

١- أن بيان الرسالة من أعظم مهمات الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ﴾ [إبراهيم: ٤]، «يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا إلى أمة من الأمم -يا محمد- من قبلك ومن قبل قومك، رسولاً إلا بلسان الأمة التي أرسلناه إليها ولغتهم» ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ يقول: ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيه ليثبت حجة الله عليهم<sup>(٣)</sup>، والخطابة من أعظم الوسائل التي يحصل بها البيان وأهمها.

٢- أنها من أساليب الأنبياء والرسل في التبليغ والدعوة، كما في قول النبي ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات، لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أنا آمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتنى بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتأل المسجد، وتعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن... الحديث»<sup>(٤)</sup>.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص: (٣١٨).

(٢) دستور العلماء (٢/ ٦٠).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣/ ٥٩٢).

(٤) أخرجه الترمذي (١٤٨/ ٥) رقم: (٢٨٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٥٢).

٣- أنها من الأساليب المتواترة عن النبي ﷺ في مختلف المناسبات في مكة والمدينة، وكان يستخدمها كثيراً في الأمور المهمة، ومن الوقائع في ذلك:

\* استخدمها ﷺ وسيلة؛ لتقرير ثواب الدين، ومن ذلك: خطبته في حجة الوداع، فقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا... الحديث»<sup>(١)</sup>.

\* واتخذها وسيلة؛ لتصحيح الأخطاء الاعتقادية، ومن ذلك: خطبته عندما كسفت الشمس تزامناً مع موت ولده إبراهيم ﷺ، فقال في الشمس والقمر: «إنهما آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة»<sup>(٢)</sup>.

\* واختارها قبيل موته لتكون الوسيلة التي يبلغ أمته من خلالها آخر توجيهاته ويودّعهم، ومما قاله: «إِنْ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وفي حادثة الإفك: بلغ البلاء بالنبي ﷺ ذروته، فهو يسمع القالة الخبيثة في أهله تنتشر بين المنافقين، والوحي قد انقطع عنه شهراً كاملاً، فقام من يومه على المنبر فاستعذر ممن تكلم في أهله بالإفك، وقال -وهو على المنبر-: يا معشر المسلمين، مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، لقد صعد المنبر ليخبر أصحابه ﷺ بأذية رأس النفاق له، ولزوجه الطاهرة أم المؤمنين

(١) أخرجه مسلم (٣٩/٤) رقم: (٣٠٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤/٢) رقم: (١٠٤٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣/٥) رقم: (٣٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١٠٨/٧) رقم: (٦٣٢٠).

عائشة رضي الله عنها، ولصاحبه المفترى عليه صفوان ابن المعطل رضي الله عنه، فيتّضح من هذا السلوك النبوي الحكيم عَظَمَ فعالية الخطابة وتأثيرها القويّ في نفوس المدعوين.

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التلميح دون التصريح في خطبته -مع أنّ الأمر كان في غاية الخطورة- لأن ذلك كان هو الأسلوب الأمثل في هذه الحال، كما أنّه ﷺ بيّن بفعله ما يجب أن يكون عليه الخطيب من هدوء واتزان إذا اضطرب عليه الناس في أثناء خطبته أو حدث ما يشوّش عليه.

وقد جعل أهل العلم من فوائد حديث الإفك: «خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم»<sup>(١)</sup>.

لقد كان من الدروس الدعويّة المستفادة من هذا الموقف:

١- الخطابة وسيلة دعويّة لها أبلغ التأثير في نفوس المدعوين، وتحتاج من الداعية أقصى درجات الاهتمام في تعلّم طرائق التأثير من خلالها، ولا يتأتى هذا الأمر إلا بالاطلاع على أساليب النبي ﷺ في خطبه.

٢- من أعظم سمات الخطيب الناجح هدوءه وجلّمه عند اضطراب الأمر عليه أثناء خطبته.

٣- على الداعية أن يراعي ما يناسب الخطبة ويرتقي بها ويحقق فيها أعظم أسباب النجاح، من حيث الأسلوب ومراعاة الحال والمدعوين واختيار الألفاظ والأساليب وغير ذلك.

٤- الداعية إلى الله وهو يقرأ في حادثة الإفك ما فعله النبي ﷺ من اعتلاء المنبر والخطابة في الناس؛ يتخذ ذلك منهاجاً له في الأمور العظيمة التي تتطلب منه إعلان التوجيه وإيصاله للناس عن طريق هذه الوسيلة.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٧/١١٧).





## الخاتمة

أسدي الفضل لربي المنان، ذي الجود والكرم والإحسان، على ما أكرم من عطاء وأجزل، حين وفقني لإتمام هذا البحث فَمَدَّ في الأجل. وعقب مسامرة ليل، وانقطاع في نهار، مع درر السلف الصالح التي أخرجوها مِنْ فهمهم الثاقب السليم لنصوص القرآن الكريم، وصحيح السنة الشريفة، ونظرٍ بعد ذلك وتأملٍ لما أوردوه، وَمِنْ ثَمَّ استنباط الفوائد فيما يفيد البحث وتثريه في مجال تخصصه، مستفيدًا مِنْ ذلك -بإذن الله- في مجالي الدعوي فهماً عميقاً لما ينبغي أَنْ يكون عليه الداعية مِنْ إدراكٍ، لمعرفة كيد مناوئيه، وطرق الوقاية منهم، ومعرفة منابع تقويمه، ووسائل دعوته، وكان لزاماً في نهاية مطاف التجوال بين كتب السلف الصالح، أَنْ أثير عبيدهم، وأريج فكرهم في خلاصة في البحث، فأبرز نتائج مادته:

١- مادة (الإفك) في اللغة تدول حول: الصَّرْف، والتصرُّف، والقلب، والتحوُّل، والكذب مطلقاً، والافتراء والبهتان.

٢- الإفك في الاصطلاح يرجع معناه إلى المعنى اللغوي، مثلاً بمثل؛ فهو: الصَّرْف وقلب الشيء عن وجهه، والكذب، إلا أَنَّ كلمة (الإفك) صارت في عُرف أهل التفسير والسِّير مُنْصَرَفَةً إلى: ما أَفْكَ به وكُذِبَ وافتُري على أم المؤمنين الصَّديقة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مما رُمِيَتْ به.

٣- وردت قصة الإفك في القرآن الكريم في سورة النور من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسِبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١]، وتنتهي بالآية: ﴿الْحَيْثُوتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُوتُ لِلْحَيْثِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾ [النور: ٦٦]، وعدد الآيات على ضوء ذلك: (١٦).

٤- لم يرو حديث الإفك من أصحاب الكتب التسعة إلا: البخاري، ومسلم، وأبو داود -طرفاً منه-، والإمام أحمد. ولم يكن له ذكرٌ فيما سوى ذلك من الكتب التسعة، اللهم إلا سنن الترمذي من رواية غير الزهري؛ فقد أخرج طرفاً من الحديث عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأجمع رواية وأضبطها لحديث الإفك، رواية الإمام مسلم رحمته الله.

٥- خوض المنافقين في الإفك له أسباب دينية، تتلخص في: إسقاط الدين بإسقاط حملته، ومرض قلوب المنافقين، وتآمرهم ضد المسلمين والتعاون على معاداتهم، وأسباب دنيوية، تتلخص في البغض والحقد والحسد، والتربص والترصد للمؤمنين، وطلب الدنيا -الجاه- والافتتان بها، والفشل الذريع في الحروب الميدانية العلنية، والخفية، والتقليد المذموم لكبرائهم.

٦- للمنافقين أهداف في حادثة الإفك وهي: إيذاء النبي ﷺ في عرضه الشريف، وتشويه سمعته في نفوس أتباعه، ومحاولة إرتياب المؤمنين في عرضه الطاهر، وصد الناس، أو ردهم عن الخير الذي أتى به، والتشكيك في أخلاق الدين الحنيف، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وإغار صدور المؤمنين، وإثارة العداوة بينهم، وإيجاد التنازع في صفوفهم، والتفريق بينهم، وزعزعة أمنهم.

٧- للمواساة آثار إيجابية عظيمة على نفس المواسي، خاصة حين تصدر من القريب، ومن له علاقة وطيدة به، ولها نتائج إيجابية منها: ارتفاع المعنوية، والثقة في الله بالنصر والبراءة، وتطبيب خاطر، والفرح والسرور بما يراه من مساندة وتأييد، وللمواساة وسائل وكيفيات منها: المواساة بالكلمة مثل: التزكية والثناء الحسن، وتطبيب خاطر، ودحض السبب، والتذكير بالماضي الحسن، والمنزلة الرفيعة، وتذكير المبتلى بالغير ممن يحمل نفس الصفات الحسنة، والتمهيد في إخبار المبتلى ببلائه، والمواساة بالفعل مثل: الحزن والبكاء، وملازمة المبتلى وعدم فراقه، وزيارته حال بلائه، والمواساة



بترك القول والفعل مثل: ترك التشهير به بغير حق، وترك تعنيفه دون ثبوت الأمر المفترى عليه به، وترك إعلام المبتلى قبل علمه.

٨- مِنْ أَعْظَمِ سَمَاتِ الْمُجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ ضَبْطُ النَّفْسِ وَعَدَمُ الْغَضَبِ وَالرَّدِّ الْمُنْطَقِيِّ، وَتَجَلَّتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِي أُمُورٍ مِنْهَا: مُشَاوَرَةُ الرَّجُلِ بِطَانَتِهِ فِيهَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ، الْأَخْذُ بِالرَّأْيِ السَّدِيدِ عِنْدَ الْاسْتِشَارَةِ، عَدَمُ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمَدَارَاةِ فِي حَالِ الْاسْتِشَارَةِ فِي حَقِّ الْمَحْبُوبِ وَغَيْرِهِ، الْإِتِّزَانُ فِي طَرِيقَةِ السُّؤَالِ، وَجَمِيلُ أَدَبِ الْعِبَارَةِ، وَالتَّحَرِّيُّ فِي تَقْصِي الْأَخْبَارِ... وَغَيْرِهَا، وَتَحْصِيلُ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَكُونُ بِالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ، وَالتَّرْبِيَةِ عَلَى نَصُوصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسَّنَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٩- فِي حَادِثَةِ الْإِفْكَ كَانَ الْأَثَرُ النَّفْسِيُّ لِلْمُبْتَلَى عَلَى جَوَانِبٍ ثَلَاثَةٍ، جَانِبٌ مِّنْ تَعَرُّضٍ لِلْبَلَاءِ، وَجَانِبُ الْمَوْقِفِ الَّذِي بَرَزَ فِيهِ الْأَثَرُ النَّفْسِيُّ، وَجَانِبُ نَوْعِ الْأَثَرِ النَّفْسِيِّ النَّاتِجِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ شِدَّةِ بَلَاءِهِ وَحُزْنِهِ بَرَزَتْ عَلَيْهِ أَعْلَى دَرَجَاتِ الصَّبْرِ، وَتَحَلَّى بِالْحِلْمِ وَالْأَنَاءِ وَالْوَقَارِ، كَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي زَوْجِهِ وَأَبَوَيْهِمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ: الصَّبْرُ، وَالْإِحْتِسَابُ، وَالرِّضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَالْيَقِينُ، وَالثِّقَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالرَّجَاءُ فِيهِ، وَحَسَنُ الظَّنِّ بِهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالْإِيمَانُ بِنَصْرِهِ وَفَرْجِهِ، وَالْإِتِّزَانُ فِي النَّفْسِ الَّذِي نَتَجَ عَنْهُ الْإِتِّزَانُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَالثِّقَةُ فِي النَّفْسِ.

١٠- التَّعَصُّبُ الْمَذْمُومُ يَقُودُ الدَّاعِيَةَ إِلَى الْمِهَالِكِ، وَيَجْعَلُهُ يَتَنَاقَضُ فِي أَوْلَوِيَّاتٍ مَا يَأْمُرُ بِهِ الدِّينُ الْحَنِيفُ، وَهَذَا الْأَمْرُ يُؤَثِّرُ عَلَيْهِ، وَعَلَى دَعْوَتِهِ.

١١- الْخَوْضُ فِي أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ يَهْدِمُ بِنَاءَ الْمُجْتَمَعِ الْمُؤْمِنِ، وَيَنْقُضُ بِنَاءَهُ الْمَحْكَمَ، وَيَشْتَتِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَحْدِثُ بَيْنَهُمُ الشُّحْنَاءَ وَالْبَغْضَاءَ.

١٢- الْمَقَالَةُ السَّيِّئَةُ تَعَرِّضُ الدَّاعِيَةَ لِلسَّقُوطِ مِنْ أَعْيُنِ الْمَدْعُومِينَ، وَتُسَاعِدُ فِي انْتِشَارِ الْأَحْقَادِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

١٣- من أعظم مقومات الداعية في دعوته، الصبر على البلاء، والاحتساب في ذلك الله ﷻ.

١٤- من أبرز صفات المؤمنين المتقين، العفو والصفح عند المقدرة، لله ﷻ، وهي من أجل وأعظم ما يحرص عليه الداعية في تعامله مع المدعوين.

١٥- الداعية إلى الله تعالى بأمس الحاجة إلى حسن الظن بالله تعالى، خاصة إذا اشتدت به الكرب، وضافت به السبل.

١٦- الرجاء بالله تعالى لا يتأتى غالباً إلا مع الإيمان القوي واليقين المتجذر في نفس الداعية بنصر الله تعالى، وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية إلى الله تعالى.

١٧- التواضع سمة الصالحين، وأولياء الله المتقين، وأولى الناس حرصاً عليه الدعاة إلى الله تعالى، فيجب التحلي به.

١٨- الصدق مع الله من أعظم الأمور المنجية في وقت الأزمات، واشتداد الأمور، والدعاة إلى الله تعالى بأمس الحاجة لمثل هذا المقوم المهم، لِيُحْصَلُوا ولاية الله تعالى، ولتنجح دعوتهم بحب المدعوين لهم.

١٩- الثبوت وعدم العجلة له ثمار يانعة، وفوائد مثمرة، فحِرْصُ الداعية عليه من أولى الأولويات، إذ به يسلم من الزلل، ويدرك مكامن الخلل، فلا يقع فيه.

٢٠- من أخطر الأمور على الدعاة إلى الله تعالى الغضب الغير محمود، لما فيه من تشويه لصورة الدعاة في أذهان المدعوين، وبالتالي سقوط دعوته.

٢١- الاستعجال وعدم الثبوت خطره ليس محصوراً على مرتكبه، بل على المجتمع بأسره، خاصة إذا بدر من الداعية.

٢٢- نصره القبيلة إذا لم تكن طاعة لله تعالى، فهي من أعظم الأمور هدمًا للدعوة والداعية؛ لأنها تفضي على صاحبها اتباع الهوى، وتقديم القريب ولو كان ظالماً.





٢٣- الحكمة من أجل المطالب التي ينبغي للدعاة التحلي بها، وهي من سمات النبي ﷺ، والداعية مأمور بالاقتداء بالنبي ﷺ، فلذلك يجب التحلي بها في الأمور الخاصة والعامة.

٢٤- الموعظة الحسنة لها تأثير قوي في نفوس المدعوين، وهي من وسائل دعوة النبي ﷺ، فالتحلي بها من قبل الدعاة مكسبٌ عظيم لهم ولدعوتهم.

٢٥- ضرب المثل وسيلة مؤثرة في نفس المدعو، سريعة الوصول إلى المراد، والتحلي بها فيه امتثال لأمر الله تعالى، وطريقة دعوة النبي ﷺ.

٢٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة دعوية لها درجات وكيفيات، إذا أحسن الداعية تعامله بها، رسم صورة مشرقة له، ولدعوته، وإذا أساء استخدامها، جنى على نفسه، ودعوته.

٢٧- الترغيب والترهيب له وقعٌ شديد في نفوس المدعوين، وله نتائج إيجابية، فيذكرهم بالتوبة من الذنوب والمعاصي، والرجوع إلى الله تعالى، وله أحوال ومناسبات يحسن معرفتها؛ ليؤتي ثماره المرجوة.

٢٨- الخطابة وسيلة دعوية مهمة اعتنى بها النبي ﷺ كثيرًا في دعوته، واستخدمها في المهمات الصعبة والحساسة، مما يعني ضرورة الاهتمام بأحكامها، وفنونها؛ لأنَّ إتقانها من أكد المصالح الدعوية.





# الفهارس العلمية

وتحتوي على:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الآثار.
- ٤- فهرس الأعلام.
- ٥- فهرس الكلمات الغريبة.
- ٦- فهرس القبائل والبلدان.
- ٧- فهرس المصادر والمراجع.



## أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ إِنَّمَا كَانَُوا يَكْذِبُونَ ﴾	١٠	البقرة	
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	١٢، ١١	البقرة	
﴿ الَّذِينَ يَطْغُونَ أَنَّهُمْ لَمْ نُغَمِّسْهُمْ فِي عَنَزِيقٍ ﴿٤٦﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي عَنَزِيقٍ غَمِيمٍ ﴾	٤٦	البقرة	
﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾	١٠٩	البقرة	
﴿ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ وَلَتَهُمُ ﴾	١٢٠	البقرة	
﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رُسُلًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾	١٥١	البقرة	
﴿ وَلَتَبْلُوكُم بِغِيٍّ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالسَّمَرَاتِ ۚ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾	١٥٥	البقرة	
﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۚ ﴾	٢٦٩	البقرة	
﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾	٢٧٥	البقرة	
﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾	٥٨	آل عمران	
﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٧٢	آل عمران	

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٨	آل عمران	
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا اللَّهُ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	١٠٢	آل عمران	
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾	١٠٣	آل عمران	
﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾	١٠٣	آل عمران	
﴿وَلَنْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٠٤	آل عمران	
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	١١٠	آل عمران	
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾	١١٨	آل عمران	
﴿لَا يَأْلُواكُمْ خَبَالًا﴾	١١٨	آل عمران	
﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾	١١٨	آل عمران	
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	١٣٣	آل عمران	
﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾	١٣٤	آل عمران	
﴿أَمَرْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِلُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ﴾	١٤٦	آل عمران	
﴿وَسَاوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	١٥٩	آل عمران	
﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْفَقُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	النساء	



الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (١٦)	٦٣	النساء	
﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾	٨٣	النساء	
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّبُوا﴾	٩٤	النساء	
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾	١١٤	النساء	
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ﴾	١٣٥	النساء	
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ تَسْتَحِذْ عَلَيْنَاكُمْ وَنَمْنَعَكُمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٤١	النساء	
﴿إِنْ يُبَدُوا خَيْرًا أَوْ يُخَفُّوا أَوْ تُعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾	١٤٩	النساء	
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	٥١	المائدة	
﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	٧٩	المائدة	
﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	١٠	الأنعام	
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	١٢٣	الأنعام	
﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	٥٦	الأعراف	

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ آثَرَنَا بِمَا نَعِدُنَا﴾	٧٧	الأعراف	
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْدَهُمْ فِي الْوُحُوذِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	١٥٧	الأعراف	
﴿وَلَا تَسْرِعُوا الْقَوْلَ لَمْ تَأْمُرُوا بِأَمْرٍ حَكِيمٍ﴾	٤٦	الأنفال	
﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾	٤٩	الأنفال	
﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصِيرَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	الأنفال	
﴿فَقَالَهُمْ اللَّهُ أَذْنُ يُؤْفَكُونَ﴾	٣٠	التوبة	
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٦١	التوبة	
﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَأَبِيْنِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾	٦٥	التوبة	
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	٧١	التوبة	
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾	٨٠	التوبة	
﴿لَتَجِئُنَّ مِنَ الْمَدِينِ الْمُنْعَدِ وَالْمُتَحِدُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾	١١٢	التوبة	
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَعِزَّ اللَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَهِهِ﴾	١١٨	التوبة	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	١١٩	التوبة	
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾	٣٩	يونس	
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٧	يونس	





الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿فَقَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾	٢٧	هود	
﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾	٣٨	هود	
﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرْنَاكَ بِبَعْضِ آيَاتِنَا بُسُوءٌ﴾	٥٤	هود	
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾	١٨	يوسف	
﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾	٢١	الرعد	
﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٢٥	إبراهيم	
﴿يَنْقُ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾	٥٠، ٤٩	الحجر	
﴿فَأَصْفَحْ أَصْفَحَ الْجَمِيلِ﴾	٨٥	الحجر	
﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٨	الحجر	
﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	٩٥	الحجر	
﴿فَتَسَلَّلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	النحل	
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	النحل	
﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾	١١	الإسراء	
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	٣٦	الإسراء	
﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾	٥٧، ٥٦	الإسراء	
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾	٨٩	الإسراء	
﴿فَمَنْ كَانَ زَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	١١٠	الكهف	
﴿فَتَسَلَّلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٧	الأنبياء	

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ٩٠	٩٠	الأنبياء	
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُونَهُمْ وَعَهْدُهُمْ دَعْوَانُ﴾ ٨	٨	المؤمنون	
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ١١	١١	النور	
﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ١٢	١٢	النور	
﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ١٢	١٢	النور	
﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ ١٣	١٣	النور	
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٤	١٤	النور	
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَأْفُواكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ ١٥	١٥	النور	
﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مُبْتَنًى عَظِيمٌ﴾ ١٦	١٦	النور	
﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٧	١٧	النور	
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٩	١٩	النور	
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ٢٠	٢٠	النور	
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ٢١	٢١	النور	



الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٢٢	النور	
﴿وَلْيَعْمُوا وَلِيَصْغُوا ۚ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	٢٢	النور	
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٢٣	النور	
﴿الْحَيْثُ لِيَحْيِيَنَّ الْوَحْيُ وَالْحَيْثُ لِلْحَيْثُ﴾	٢٦	النور	
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	٥٥	النور	
﴿تِلْكَ أَدَارُ الْأَخِرَةِ ۚ لِيُفْعَلَ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾	٨٣	القصص	
﴿أَلَمْ يَأْتِ الْوَحْيَ النَّاسَ أَنْ يُزَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾	٢٠١	العنكبوت	
﴿وَيُخَلِّفُونَ فِيكَ﴾	١٧	العنكبوت	
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾	٤٣	العنكبوت	
﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا﴾	٣٢	الروم	
﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾	٥٨	الروم	
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾	١٢	لقمان	
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	لقمان	
﴿وَلَا تَصْغُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾	١٨	لقمان	

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ تَنَجَّافِي جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	١٦	السجدة	
﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرُسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾	١٢	الأحزاب	
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾	٢١	الأحزاب	
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كُتِبَ لَهُمْ ﴾	٥٨	الأحزاب	
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠	الأحزاب	
﴿ يَرْجُونَ نَجْرَةً لَّنْ تَكُونُ ﴾	٢٩	فاطر	
﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورُ آتِيْعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾	٢٠	يس	
﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴾	٢٧	الزمر	
﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	٣٣	الزمر	
﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾	٣٧	الشورى	
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ	٢٣	الزخرف	
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَفْكُهُمْ ﴾	٢٨	الأحقاف	
﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَلَوْ الْعَزِيمَةَ مِنَ الرُّسُلِ ﴾	٣٥	الأحقاف	
﴿ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾	٣٥	الأحقاف	
﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢٦	الفتح	



الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾	٦	الحجرات	
﴿وَلَا يَغْتَبِ بَمَعْضِكُمْ بَعْضًا يَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾	١٢	الحجرات	
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾	١٣	الحجرات	
﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	ق	
﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مِنْ أُوْكَ﴾	٩	الذاريات	
﴿فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	٢	الحشر	
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	الحشر	
﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾	١١	الحشر	
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لَنَضُرَّهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢١	الحشر	
﴿هُرُّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾	٤	المنافقون	
﴿وَلِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٤	التغابن	
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١	نوح	
﴿قَالَ يَقَوْمُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾	٣، ٢	نوح	
﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	١٣	نوح	
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾	٨، ٧	الزلزلة	

## ثانياً: فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
	* اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (لأهل بدر)
	* أتعجبون من غيرة سعد؟
	* إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان
	* أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل
	* أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب
	* أريتك في المنام ثلاث ليال
	* أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل
	* ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟
	* اللهم علمه الحكمة
	* إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله؛ الحلم والأناة
	* التآني من الله تعالى، والعجلة من الشيطان
	* إن الدنيا حلوة خضرة
	* إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها
	* إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم
	* إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات
	* إن الله أوحى إلي أن تواضعوا
	* إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق
	* إن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء
	* إن تصدق الله يصدقك



الصفحة	طرف الحديث
	* إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام
	* إن شئت صبرت ولك الجنة
	* إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء
	* إن كنتِ صنعت ما قال الناس فاستغفري الله
	* إنه ستكون هنات وهنات
	* إنه قد قيل لي: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾
	* إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة
	إنهما آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته
	* أي بنية أأست تحبين ما أحب؟
	* بل أنا واراأساه
	* تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين
	* ... حجز بينهم
	* صدق الله فصدقه
	* طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله
	* عائشة (لما سئل ﷺ: أي الناس أحب إليك؟)
	* عليكم بالصدق، فإنه يهدي إلى البر
	* ... فلم يزل يومئ ييده إلى الناس ها هنا وها هنا حتى هدا الصوت
	* فمن البكر
	* .... فتزل فخفضهم حتى سكتوا
	* كان في بني إسرائيل امرأة قصيرة فصنعت رجلين من خشب
	* كان ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن

الصفحة	طرف الحديث
	* كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع
	* كمل من الرجال كثير
	* لا تسبوا أصحابي
	* لا تغضب
	* لا حسد إلا في اثنتين
	* لا طلاق ولا عتاق في غلاق
	* لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله
	* ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية
	* ما بال دعوى الجاهلية؟
	* ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابا من النار
	* ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب
	* المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا
	* مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة
	* مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد
	* المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره
	* مكث رسول الله ﷺ أيامًا، ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر
	* من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه، ولا تكونوا
	* من تواضع لله رفعه
	* من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
	* من سلم المسلمون من لسانه ويده
	* من عزى أخاه المؤمن في مصيبتة كساه الله حلة خضراء





الصفحة	طرف الحديث
	* من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال
	* من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت
	* من كتم غيظا وهو قادر على أن ينفعه دعاه الله
	* من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفعه دعاه الله
	* نهى أن يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان
	* هاجهم وجبريل معك
١٠٠	* وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟!
١٠١	* يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك (حديث قدسي)
	* يا أبا بكر ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمظلمة
	* يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية
	* يا بلال، حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام منفعة
	* يا معشر المسلمين، الله الله!، أبدعوى الجاهلية
	* يستجاب لأحدكم ما لم يعجل
	* يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي



## ثالثاً: فهرس الآثار

الأنثر	الصفحة
* اسكت مقبوحاً، منبوحاً، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ	
* اعلّموا أن الحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفه	
* أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه	
* أشهد أنك مُبرّاة مما قيل فيك	
* أعوذ بالله أن تركيني	
* الآن يدخل علي فيزكيني	
* ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد	
* ألا عذرتني	
* ألا لا إيمان لمن لا صبر له	
* أما اتقيتُمَا الله فيّ وما وصلتُمَا رحمي؟!	
* أما إني لولا أن أكون غضبان لسؤتُك	
* إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل	
* إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي	
* إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه عن النبي ﷺ بلسانه	
* أي أم، أتسبين ابنك؟	
* أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت ما لا أعلم	
* بلغها الذي ذكر من شأنها	
* حاشا سمعي وبصري أن أكون علمت أو ظننت بها قط إلا خيراً	
* حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء	



الأثر	الصفحة
* سبحان الله! تحدث بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً	
* غفر الله لك! تحدث بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً	
* فأخبرتني قول أصحاب الإفك فقلص ذلك مني	
* فأخذت أمني كل ثوب في البيت فألقته علي	
* فأخذتها الحمى	
* فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فو الله ما فزعت ولا باليت	
* فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	
* فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ فأخشى أن ينزل من السماء ما لا مرد له	
* فخرت مغشياً عليها فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض	
* فذهب عني الذي خرجت له حتى ما أجد منه شيئاً	
* فعائشة - والله - خير منك	
* فلما أخبرتني أخذتني الحمى وتقلص ما كان بي	
* فو الذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يضحك	
* فو الله ما قدرت على أن أقضي حاجتي	
* قد عرفت أني بريئة، وأن الله - عز وجل - غير ظالمي	
* كانت عائشة تطوف حجرة من الرجال، لا تحالطهم	
* كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي، فأضع ثوبي	
* لعل الله أن يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره في الدنيا	
* لعمرى لأحلبنها لكم، وإنني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه	
* لقد أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران	
* لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قلباً فأطرح نفسي فيه	

الأثر	الصفحة
* لو ذكرتوني لفعلت	
* ما بغت زوجة نبي قط، ولا ابتلي الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في نسائهم بهذا	
* .. ما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً	
* ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر	
* نسيت اسم يعقوب غ لما بي من الحزن والبكاء واحتراق الجوف	
* ... واستعبرت وبكيت	
* والذي نفسي بيده لقد كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباهما	
* والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً	
* والله لا أنزعها منه أبداً	
* والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً	
* والله لعائشة أطيب من طيب الذهب	
* والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ	
* والله ما علمت يا بنية، إنك لمباركة	
* والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية قط، فكيف بعد أن عزنا الله بالإسلام	
* والله ما يحضرني ذكر يعقوب وما اهتدي من الغيظ الذي أنا فيه	
* وأيم الله لأن كنت أحقر في نفسي وأصغر شأننا من أن ينزل في قرآنا	
* وبلغ رسول الله ﷺ؟	
* وقد علم به أبي؟	
* يا أبا أيوب؛ ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟	
* يا أماء؛ أبشري؛ فوالله ما بينك وبين أن تلقى محمداً ﷺ والأحبة إلا	
* يا رسول الله؛ أهلك، ولا نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل	



## رابعاً: فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
* أحمد بن حنبل الشيباني	
* أسامة بن زيد	
* إسحاق بن راهويه = إسحاق بن إبراهيم بن مخلد	
* أسيد بن حضير	
* الألوسي - محمود بن عبد الله الحسيني	
* أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ	
* أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة	
* أم أيوب الأنصارية	
* البخاري = محمد بن إسماعيل بن إبراهيم	
* بريرة مولاة عائشة	
* الترمذي = أبو عيسى محمد بن عيسى	
* ابن تيمية = أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام	
* ابن أبي حاتم = عبد الرحمن بن أبي حاتم	
* الحاكم = محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري	
* أبو حُباب = عبد الله بن أبي	
* حبان بن موسى بن سوار	
* ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي بن محمد العسقلاني	
* حسان بن ثابت	
* الحسن بن علي بن أبي طالب	

العلم	الصفحة
* أم حكيم بنت خالد بن العاص	
* أم حكيم بنت عبد الله بن أبي ربيعة	
* حمّة بنت جحش الأسدية	
* خديجة بنت خويلد	
* خولة بنت حكيم	
* الدارمي = عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل	
* أبو داود = سليمان بن الأشعث	
* أم رومان بنت عامر بن عويمر	
* الذهبي = محمد بن أحمد بن عثمان	
* الزهري = محمد بن مسلم	
* زينب بنت جحش	
* السبكي = علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام	
* سعد بن عبادة بن دليم	
* سعد بن مالك بن سنان	
* سعد بن معاذ	
* سعيد بن المسيب	
* سعيد بن جبير	
* سفيان الثوري = سفيان بن سعيد بن مسروق	
* شأس بن قيس اليهودي	
* صفوان بن المعطل	
* الطبراني = أبو القاسم سليمان بن أحمد	



العلم	الصفحة
* الطبري = أبو جعفر محمد بن جرير	
* عائشة بنت أبي بكر الصديق	
* عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	
* عبد الرزاق بن همام بن نافع	
* عبد الله بن أبي جهمرة	
* عبد الله بن المبارك	
* عبد بن حميد	
* عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	
* عثمان بن مظعون	
* عرباض بن سارية	
* عروة بن الزبير بن العوام	
* علقمة بن دعامة	
* القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح	
* ابن كثير = إسماعيل بن عمر بن كثير	
* ابن ماجه = محمد بن يزيد	
* مالك بن أنس	
* محمد بن رافع	
* مسطح بن أثاثة	
* أم مسطح = سلمى بنت صخر	
* مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري	
* معمر بن راشد الأزدي	

العلم	الصفحة
* ابن أبي مليكة = عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة	
* النسائي = أحمد بن شعيب بن علي	
* هشام بن عروة بن الزبير	
* يونس بن يزيد ابن أبي النجاد	







## خامساً: فهرس الكلمات الغريبة

الصفحة	الكلمة
	* أدلج
	* أشعث
	* الإفك
	* الأوباش
	* البرحاء
	* بقر
	* التبر
	* الثبت
	* التعريس
	* تَعَس
	* التعصب
	* التنزه
	* تيمّم
	* الجزع
	* الجمان
	* الحميّة
	* الخبال
	* الداجن
	* الرجاء

الصفحة	الكلمة
	* الرد
	* الردغ، ردغة
	* الرَّهْط
	* الريب
	* زغل
	* السَّاقَة
	* الشَّرِي
	* شَرِق
	* الصبر
	* الصدق
	* الصفح
	* الضبط
	* ضرائر
	* طوبى
	* الظن
	* ظَفَّار
	* عَبَرَتْ عَيْنُهُ، استعبر
	* عجاجة
	* العفو
	* العنان
	* عُيَّة



الصفحة	الكلمة
	* الغضب
	* الغول
	* الفَلَقُ
	* قحبة
	* القطيفة
	* الكسع
	* الكُثْفُ
	* الكير
	* اللدادة
	* المرط
	* منبق
	* المنطق
	* المواساة
	* الموغر
	* نحر الظهيرة
	* نَقِه
	* هنات
	* هنتاه
	* الهودج
	* الوضاعة

## سادساً: فهرس القبائل والبلدان

الصفحة	القبيلة أو البلد
	* البُحيرة
	* بدر
	* بنو الأوس
	* بنو الخزرج
	* فديكة
	* المريسيع





## فهرس المصادر والمراجع

- \* الآداب الشرعية - محمد ابن مفلح المقدسي - تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام - مؤسسة الرسالة، بيروت - ط: ١ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- \* اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق: محمد حامد الفقي - مطبعة أنصار السنة المحمدية، مصر - ط: ٢ - ١٣٦٩هـ.
- \* الإتيان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث، مصر.
- \* أحكام القرآن - أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص - تحقيق: محمد الصادق قمحاوي - دار إحياء التراث العربي، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٥هـ.
- \* أحكام القرآن - عماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا هرسى.
- \* إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - دار المعرفة، بيروت.
- \* أدب الطلب ومنتهى الأدب - محمد بن علي الشوكاني - تحقيق: عبد الله يحيى السريحي - دار ابن حزم، بيروت - ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- \* إرشاد الساري شرح صحيح البخاري - القسطلاني.
- \* إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) - محمد بن محمد العمادي أبو السعود - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- \* إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٢ - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- \* أساس البلاغة - أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري - تحقيق: محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- \* الاستيعاب - يوسف بن عبد الله ابن عبد البر - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الجيل، بيروت، ط: ١ - ١٤١٢هـ.

- \* أسد الغابة في معرفة الصحابة - أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير - تحقيق: علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- \* الإضاءة - د. أحمد نوفل - دار الفرقان، عمان - ط: ٢ - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- \* الاشتقاق - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي، القاهرة - ط: ٣.
- \* الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الجليل، بيروت - ط: ١ - ١٤١٢هـ.
- \* أصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة، بيروت - ط: ٣ - ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- \* أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي - إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد - دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
- \* الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين، بيروت - ط: ٥ - ١٩٨٠م.
- \* إعلام الموقعين عن رب العالمين - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله بن قيم الجوزية - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - دار الجليل، بيروت - ١٩٧٣م.
- \* إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية - تحقيق: محمد عفيفي - المكتب الإسلامي، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- \* إكمال المعلم بفوائد مسلم - أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي - تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء بالمنصورة، مصر - ط: ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- \* الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف في فقه الإمام أحمد بن حنبل - علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي - دار إحياء التراث العربي، بيروت - ط: ١ - ١٤١٩هـ.
- \* أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) - عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي - إعداد وتقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت.



\* أيسر التفاسير، أسعد حومد.

\* البحر المحيط - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي - تحقيق: عادل أحمد عبد

الموجود وعلي محمد معوض - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

\* بدائع الفوائد - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية - تحقيق:

هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد - مكتبة نزار مصطفى

الباز، مكة المكرمة - ط: ١ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

\* البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير - تحقيق: علي شيري - دار إحياء التراث

العربي، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

\* بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - تحقيق:

محمد علي النجار.

\* تاج العروس من جواهر القاموس - السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - تحقيق:

مجموعة من المحققين - وزارة الإرشاد والأبناء، الكويت.

\* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان

الذهبي - تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي، بيروت - ط: ١ -

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

\* تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الكتب

العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٧هـ.

\* تاريخ بغداد - أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي - دار الكتب العلمية، بيروت.

\* تاريخ مدينة دمشق - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر - تحقيق:

محب الدين أبي سعيد عمرو غرامة العمروي - دار الفكر، بيروت، ط: ١ - ١٤١٥هـ /

١٩٩٥م.

\* التبر المسبوك في ذيل الملوك - محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي - مكتبة

الكلية الأزهرية، القاهرة.

\* تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام - ابن فرحون.

- \* تحرير ألفاظ التنبيه - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي - تحقيق: عبد الغني الدقر - دار القلم، دمشق - ط: ١ - ١٤٠٨هـ.
- \* التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور - دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس - ١٩٩٧م.
- \* تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي - أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري - دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* تذكرة الحفاظ - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - دراسة وتحقيق: زكريا عميرات - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- \* الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - تحقيق: إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤١٧هـ.
- \* التسهيل لعلوم التنزيل - أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي - ضبطه وصححه وخرج أحاديثه: محمد سالم الهاشم - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- \* التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي - عبد القادر عودة.
- \* التعريفات - لعل بن محمد بن علي الجرجاني - تحقيق: إبراهيم الإبياري - دار الكتاب العربي، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٥هـ.
- \* تفسير ابن أبي حاتم - عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي - تحقيق: أسعد محمد الطيب - المكتبة العصرية، صيدا.
- \* تفسير السراج المنير - محمد بن أحمد الشربيني - دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - تحقيق: سامي بن محمد سلامة - دار طيبة، الرياض - ط: ٢ - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- \* تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - تحقيق: سامي بن محمد سلامة - دار طيبة، الرياض - ط: ٢ - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.





- \* تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابه والتابعين (تفسير ابن أبي حاتم) - أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم - تحقيق: أسعد محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - ط: ١ - ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- \* تفسير النسائي - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي - حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: صبري بن عبد الخالق الشافعي وسيد بن عباس الجليمي - مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - ط: ١ - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- \* تفسير النسفي - أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي - تحقيق: مروان محمد الشعار - دار النفائس، بيروت - .
- \* التفسير الوسيط للقرآن الكريم - محمد سيد طنطاوي.
- \* تفسير سورة النور - أبو الأعلى المودودي - دار الفكر، بيروت.
- \* تقريب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: محمد عوامة - دار الرشيد، سوريا - ط: ١ - ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- \* تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي - دار الأضواء، بيروت.
- \* تلخيص كتاب الاستغاثة (الرد على البكري) - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق: محمد علي عجال - مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة - ط: ١ - ١٤١٧هـ.
- \* تهذيب الأسماء واللغات - محيي الدين يحيى بن شرف النووي - دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* تهذيب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار الفكر، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- \* تهذيب الكمال - أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزني - تحقيق د. بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- \* تهذيب اللغة - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى - تحقيق: مجموعة من المحققين - الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- \* تهذيب سنن أبي داود - ابن قيم الجوزية - مطبوع مع: مختصر سنن أبي داود للإمام المنذري ومعالم السنن للإمام الخطابي - تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي - مكتبة السنة

المحمدية ومكتبة ابن تيمية بمصر.

\* التوقيف على مهمات التعاريف - محمد عبد الرؤوف المناوي - تحقيق: د. محمد رضوان الداية - دار الفكر، بيروت - ط: ١ - ١٤١٠ هـ.

\* تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي - مؤسسة الرسالة - ط: ١، ١٤٢٠ / ١٩٩٦ م.

\* جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر - هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - ط: ١ - ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

\* جامع العلوم والحكم - أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي - دار المعرفة، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٨ هـ.

\* الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي - تحقيق: هشام سمير البخاري - دار عالم الكتب، الرياض - ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

\* جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ﷺ - محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية - تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط - دار العروبة، الكويت - ط: ٣ - ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

\* جمهرة الأمثال - أبي هلال العسكري - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - عبد المجيد قطامش - دار الفكر، - ط: ٢ - ١٩٨٨ م.

\* جمهرة اللغة - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد - رمزي منير بعلبكي - دار العلم للملايين، بيروت - ط: ١ - ١٩٨٧ م.

\* الجواهر الحسان في تفسير القرآن - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت.

\* حاشية السندي على صحيح البخاري - محمد بن عبد الهادي السندي - دار الفكر، بيروت.

- \* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - دار الكتاب العربي، بيروت - ط: ٤، ١٤٠٥هـ.
- \* الداء والدواء - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية - حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري - دار عالم الفوائد، مكة المكرمة - ط: ١ - ١٤٢٩هـ.
- \* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون - أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي - تحقيق: د. أحمد محمد الخراط - دار القلم، دمشق.
- \* الدر المنثور في التفسير بالمأثور - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق: مركز هجر للبحوث - دار هجر، مصر.
- \* الدر المنثور في التفسير بالمأثور - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر - دار هجر، مصر - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- \* درء تعارض العقل والنقل - أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط: ٢ - ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- \* الدرر الكامنة - أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- \* دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون - القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمـد نكري - تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- \* ديوان رؤبة بن العجاج - اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي - دار ابن قتيبة، الكويت.
- \* ديوان عروة بن أذينة. انظر: شعر عروة بن أذينة.
- \* ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد - أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني الفاسي - تحقيق: كمال يوسف الحوت - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

- \* الرد على المنطقيين - أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة - دار المعرفة، بیروت.
- \* رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية - تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر - دار عالم الفوائد، مكة المكرمة. مطبوع ضمن (مجموع الرسائل).
- \* الروح - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- \* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - أبو الفضل شهاب الدين السدي محمود الآلوسي - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- \* روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - أبو حاتم محمد بن حبان البستي - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية، بيروت - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- \* زاد المسير في علم التفسير - عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي - المكتب الإسلامي، بيروت - ط: ٣ - ١٤٠٤هـ.
- \* زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية - تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة ببيروت ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت - ط: ٢٧ - ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- \* الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي - أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى الهروي - تحقيق: د. محمد جبر الألفي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت - ط: ١ - ١٣٩٩هـ.
- \* السلسلة الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف، الرياض.
- \* سنن ابن ماجه - أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- \* سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني - دار الكتاب العربي، بيروت.
- \* سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر، بيروت.



- \* سنن الترمذي - محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- \* سنن النسائي الكبرى - أحمد بن شعيب النسائي - تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي - أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط - قدم له: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي - مؤسسة الرسالة. بيروت - ط: ١ - ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- \* سنن النسائي. انظر: المجتبى من السنن.
- \* السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - دار المعرفة، بيروت.
- \* سير أعلام النبلاء - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي - تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة.
- \* السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون - علي بن برهان الدين الحلبي - دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- \* السيرة النبوية، ابن هشام - تحقيق: مصطفى السقا وعبد الحفيظ شلبي وإبراهيم الإياري - مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- \* شذرات الذهب في أخبار من ذهب - عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي - تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط - دار ابن كثير، دمشق - ط: ٣ - ١٤٠٦هـ.
- \* شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة - أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي - تحقيق: د. أحمد سعد حمدان - دار طيبة بالرياض - ١٤٠٢هـ.
- \* شرح السنة - الحسين بن مسعود البغوي - تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش - المكتب الإسلامي، بيروت - ط: ٢ - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- \* شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ - محمد بن صالح العثيمين - مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

- \* شرح صحيح البخاري - علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي - تحقيق: ياسر ابن ابراهيم - مكتبة الرشد، الرياض - ط: ٤ - ١٤٠٥ هـ.
- \* شعب الإيمان - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول - دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١ - ١٤١٠ هـ.
- \* شِعْر ابن ميادة - جمع وتحقيق: الدكتور حنا جميل حداد - مراجعة وإشراف: قدرى الحكيم - نشر: مجمع اللغة العربية، دمشق - ١٩٨٢ م.
- \* شِعْر عروة بن أذينة (ديوان عروة) - جمع: د. يحيى الجبوري - دار القلم، الكويت - ط: ٢ - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- \* الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ - القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي - مذيلاً بالحاشية المساة: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للشمسي - دار الفكر، بيروت - ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
- \* شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ٣.
- \* الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ - أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري - دار ابن حزم، بيروت - ط: ١ - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- \* صبح الأعشى في صناعة الإنشاء - أحمد بن علي القلقشندي - تحقيق: يوسف علي الطويل - دار الفكر، دمشق - ط: ١ - ١٩٨٧ م.
- \* الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين، بيروت - ط: ٤ - ١٩٩٠.
- \* صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان - محمد بن حبان البستي - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة، بيروت - ط: ٢ - ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- \* صحيح أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت - ط: ١.



- \* صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري. المطبوع مع فتح الباري لابن حجر العسقلاني - دار المعرفة، بيروت - ١٣٧٩ هـ.
- \* صحيح الترغيب والترهيب - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف، الرياض.
- \* صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، بيروت - ط: ٣ - ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- \* صحيح سنن الترمذي - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف، الرياض - ط: ١ للطبعة الجديدة - ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- \* صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج القشيري - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- \* صحيح مسلم مع شرحه المسمى إكمال المعلم - أبو عبد الله محمد بن خليفة الوشتاني الأبي المالك - دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* ضعيف الترغيب والترهيب - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف، الرياض.
- \* ضعيف الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، بيروت - ط: ٣ - ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- \* ضعيف سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف، الرياض - ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- \* طبقات الحنابلة - أبو الحسين محمد بن محمد ابن أبي يعلى - تحقيق: محمد حامد الفقي - دار المعرفة، بيروت.
- \* طبقات الشافعية - أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة - تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان - عالم الكتب، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٧ هـ.
- \* طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي - تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع بمصر، ط: ٢، ١٤١٣ هـ.
- \* الطبقات الكبرى - محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

\* طبقات المفسرين - أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي - تحقيق: علي محمد عمر - مكتبة وهبة، القاهرة - ط: ١ - ١٣٩٦ هـ.

\* طرح الشريب - العراقي.

\* طريق المهجرتين وباب السعادتين - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية - تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر - دار ابن القيم، الدمام - ط: ٢ - ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

\* عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية - تحقيق: إسماعيل بن غازي مرحبا - دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

\* العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي - تحقيق:

\* طلعت بن فؤاد الحلواني - الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، مصر - ط: ١ - ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.

\* عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي - تحقيق: محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

\* عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني - ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ١ - ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

\* عمر بن عبد العزيز: معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة - د. علي محمد محمد الصلابي - دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر - ط: ١ - ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

\* عون المعبود شرح سنن أبي داود - أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي - دار الكتب العلمية، بيروت - ط: ٢ - ١٤١٥ هـ.

\* غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٥ هـ.





- \* غريب القرآن- أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني- تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران- دار قتيبة - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- \* الغيبة والنميمة- أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا- دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - ط: ١- ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- \* الفائق في غريب الحديث- محمود بن عمر الزخشي- تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعرفة، بيروت- ط: ٢.
- \* فتاوى السبكي- تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي- دار المعرفة، لبنان.
- \* الفتاوى الكبرى- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١- ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- \* فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار المعرفة، بيروت - ١٣٧٩هـ.
- \* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- محمد بن علي بن محمد الشوكاني.
- \* الفروع - أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج- ومعه: تصحيح الفروع، للمرداوي- تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي- مؤسسة الرسالة، بيروت- ط: ١- ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- \* فقه الإسلام شرح بلوغ المرام، عبد القادر شيبه الحمد، مطابع الرشيد، المدينة النبوية.
- \* فقه السيرة- محمد الغزالي- خرج الأحاديث: محدث الديار الشامية العلامة محمد ناصر الدين الألباني - دار الشروق، القاهرة بمصر.
- \* الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

\* في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق، القاهرة - ط: ٩ - ١٤٠٠ هـ.

\* فيض الباري شرح البخاري - الكشميري - دار الكتب العلمية، بيروت.

\* فيض القدير شرح الجامع الصغير - عبد الرؤوف المناوي - المكتبة التجارية، مصر - ط: ١ - ١٣٥٦ هـ.

\* القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة، بيروت - ط: ٥ - ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

\* القواعد الحسان في تفسير القرآن - عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

\* الكبائر - محمد بن عبد الوهاب - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط: ٢ - ١٤٢٠ هـ.

\* كتاب الإيمان الأوسط - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - دراسة وتحقيق: د. علي بن بخيت الزهراني - دار ابن الجوزي، الدمام - ط: ٣ - ١٤٣٠ هـ.

\* كتاب الصمت وآداب اللسان - أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا - حققه وخرج أحاديثه: أبو إسحاق الحويني - دار الكتاب العربي، بيروت - ط: ١ - ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

\* كتاب العين - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال، بيروت.

\* كتاب الفوائد الشهير بالغيلانيات - أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، تحقيق: حلمي كامل أسعد عبد الهادي، تقديم: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان - دار ابن الجوزي، الدمام.

\* كتاب الكليات - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي - تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري - مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

\* الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق: عبد الرزاق مهدي - دار إحياء التراث العربي، بيروت.



- \* كشف الأستار عن زوائد البزار- علي بن أبي بكر الهيثمي- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي- مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١- ١٤٠٥ هـ.
- \* الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)- أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري - تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي- دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١- ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- \* لباب النقول في أسباب النزول - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- خرج أحاديثه وعلق عليه: عبدالرزاق المهدي- دار الكتاب العربي، بيروت - ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م.
- \* اللباب في علوم الكتاب - أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي- تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض- دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١- ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- \* لسان العرب- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري- دار صادر، بيروت- ط: ١- ١٩٥٥ م.
- \* المبدع في شرح المقنع- إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح - دار عالم الكتب، الرياض - ط: ١- ١٤٢٣ هـ.
- \* المجتبى من السنن - أحمد بن شعيب النسائي- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب بسوريا- ط: ٢- ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- \* مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- \* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- علي بن أبي بكر الهيثمي- دار الفكر، بيروت - ط ١، ١٤١٢ هـ.
- \* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي- دار الكتب العلمية، بيروت (مصورة عن طبعة القدس بمصر)- ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- \* مجموع الفتاوي- شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد- مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- \* المجموع شرح المذهب- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - دار الفكر، بيروت.
- \* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي - تحقيق وتعليق: مجموعة من المحققين - طبعة قطر - ط: ٢- ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- \* المحكم والمحيط الأعظم- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى - تحقيق: عبد الحميد هندراوي- دار الكتب العلمية، بيروت- ٢٠٠٠م.
- \* المحيط في اللغة -الصاحب بن إسماعيل بن عباد- تحقيق: محمد حسن آل ياسين- مطبعة المعارف، بغداد - ط: ١- ١٩٧٥ - ١٩٨١م.
- \* مختار الصحاح -محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - تحقيق: محمود خاطر- مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- \* المخصص -أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده- تحقيق: خليل إبراهيم جفال- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط: ١- ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- \* مدارج السالكين -أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية- تحقيق: محمد حامد الفقي- دار الكتاب العربي، بيروت- ط: ٢- ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- \* المدخل إلى السنن الكبرى- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي- دراسة وتحقيق: أد. محمد ضياء الرحمن الأعظمي - مكتبة أضواء السلف، الرياض- ط: ٢- ١٤٢٠هـ.
- \* المدخل إلى البحث في علوم السلوكية- صالح بن أحمد العساف- مكتبة العبيكان، الرياض- ٢٠٠٣م.
- \* المستدرك على الصحيحين- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري- دار المعرفة، بيروت (مصورة عن الطبعة الهندية).
- \* مسند ابن الجعد - علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري- تحقيق: عامر أحمد حيدر- مؤسسة نادر، بيروت- ط: ٢- ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

\* مسند أبي يعلى - أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي - تحقيق: حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث، دمشق - ط: ١ - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

\* مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني:

١ - مؤسسة قرطبة بالقاهرة (مصورة عن الطبعة الميمنية).

٢ - تحقيق: جماعة من الباحثين - مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢ - ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

\* مسند إسحاق بن راهويه - إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي - تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي - مكتبة الإيمان، المدينة المنورة - ط: ١ - ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.

\* مسند الحميدي - أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي - تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - دار الكتب العلمية، بيروت.

\* مسند الشاميين - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت - ط: ١ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م.

\* مشكاة المصابيح - محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي - تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، بيروت - ط: ٣ - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

\* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي - المكتبة العلمية، بيروت.

\* مصنف ابن أبي شيبة - أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة - الدار السلفية بالهند.

\* المعالم الأثرية في السنة والسيرة - إعداد: محمد محمد حسن شراب - دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - ط: ١، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

\* معالم التنزيل (تفسير البغوي) - الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي - تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش - دار طيبة، الرياض - ط: ٤ - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.

\* معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - عالم الكتب، بيروت - ط: ٣ - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

- \* معاني القرآن الكريم - أبو جعفر النحاس - تحقيق: محمد علي الصابوني - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - ط: ١ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
- \* المعجم الأوسط - سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن إبراهيم - دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.
- \* معجم البلدان - أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي - دار الفكر، بيروت.
- \* معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزء من كتاب السيد نور الدين الجزائري - تنظيم: بيت الله بيات ومؤسسة النشر الاسلامي - مؤسسة النشر الإسلامي، قم - ط: ١ - ١٤١٢ هـ / ٢٠٠٠ م
- \* المعجم الكبير - سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم، الموصل بالعراق - ط: ٢ - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م.
- \* معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية - عاتق بن غيث البلادي - دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة - ط: ١ - ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- \* المعجم الوسيط - قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار - مطابع دار المعارف، مصر - ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
- \* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي - تحقيق: مصطفى السقا - عالم الكتب، بيروت - ط: ٣ - ١٤٠٣ هـ.
- \* معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم - أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي - تحقيق: أ.د. محمد إبراهيم عبادة - مكتبة الآداب، القاهرة - ط: ١ - ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.
- \* معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي - تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر، بيروت - ط: ٢ - ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
- \* المغازي - محمد بن عمر الواقدي - تحقيق: مارسدن جونس - منشورات عالم الكتب، بيروت - ط: ٣ - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.



- \* مفاتيح الغيب (تفسير الرازي) - محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي - دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- \* مفتاح دار السعادة - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية - تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي - دار ابن عفان، الخبر - ط: ١ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- \* مفردات ألفاظ القرآن الكريم - أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني - تحقيق: صفوان عدان داوودي - دار القلم، دمشق - ط: ٣ - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- \* المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي - تحقيق: مجموعة من المحققين - دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، بيروت - ط: ١ - ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- \* منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية - شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - مؤسسة قرطبة، مصر - ط: ١ - ١٤٠٦هـ.
- \* المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على صحيح مسلم) - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي - دار إحياء التراث العربي، بيروت - ط: ٢ - ١٣٩٢هـ.
- \* الموسوعة الفقهية الكويتية - مطبعة دار السلاسل، الكويت - ط: ٢ - ١٤٠٧هـ.
- \* نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي - تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي - دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- \* النفاق والمنافقون في عهد النبي ﷺ - إبراهيم علي سالم - دار الشعب.
- \* النكت والعيون (تفسير الماوردي) - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري - تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم - دار الكتب العلمية، بيروت.
- \* نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي.
- \* النهاية في غريب الحديث والأثر - أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية، بيروت - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

\* الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه - أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي - تحقيق: مجموعة من المحققين - طبعة مجموعة بحوث الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة - ط: ١ - ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

\* الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية - تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد - دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

\* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - تحقيق: إحسان عباس - دار صادر، بيروت.







## فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	
أهمية الموضوع	
أهداف البحث	
تساؤلات البحث	
حدود البحث	
الدراسات السابقة	
خطة البحث	
منهج البحث	
تمهيد: وفيه مبحثان:	
المبحث الأول: وفيه مطلبان:	
المطلب الأول: تعريف الإفك لغة	
المطلب الثاني: تعريف الإفك اصطلاحاً	
المبحث الثاني: التعريف بأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: وفيه خمسة مطالب:	
المطلب الأول: اسمها ونسبها ومولدها ووفاتها وزواج النبي ﷺ بها وألقابها	
المطلب الثاني: فضل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -	
المطلب الثالث: ما تميزت به، وعظيم أنس النبي ﷺ بقربها	
المطلب الرابع: بعض صفاتها الخلقية	
المطلب الخامس: حكم سب أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -	

## الموضوع

## الصفحة

- الفصل الأول: حادثة الإفك الوقائع والأحداث. وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: الإفك كما ورد في نصوص القرآن والسنة
- المبحث الثاني: أسباب خوض المنافقين في الإفك
- المبحث الثالث: أهداف المنافقين في قصة الإفك
- الفصل الثاني: الآثار النفسية على الداعية من خلال حادثة الإفك. وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: أثر المواجهة على الحالة النفسية للداعية
- المبحث الثاني: أثر ضبط النفس وعدم الغضب والرد المنطقي للداعية
- المبحث الثالث: الأثر النفسي على الداعية من شدة البلاء
- الفصل الثالث: الآثار الاجتماعية على الداعية من خلال حادثة الإفك. وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: بيان خطر تعصب الداعية لأهل الباطل من القرابة
- المبحث الثاني: خطورة خوض الداعية في أعراض المسلمين
- المبحث الثالث: خطورة مقالة السوء من الداعية في المجتمع المسلم
- الفصل الرابع: مقومات الداعية إلى الله من خلال حادثة الإفك. وفيه سبعة مباحث:
- المبحث الأول: الصبر على البلاء
- المبحث الثاني: العفو والصفح
- المبحث الثالث: حسن الظن بالله
- المبحث الرابع: الرجاء بالله
- المبحث الخامس: التواضع لله



## الصفحة

## الموضوع

- المبحث السادس: الصدق مع الله
- المبحث السابع: الثبوت وعدم العجلة
- الفصل الخامس: معوقات الداعية إلى الله من خلال حادثة الإفك. وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: الغضب غير المحمود
- المبحث الثاني: الاستعجال وعدم الثبوت
- المبحث الثالث: الحمية ونصرة القبيلة
- الفصل السادس: الوسائل والأساليب الدعوية في حادثة الإفك. وفيه ستة مباحث:
- المبحث الأول: الحكمة
- المبحث الثاني: الموعظة الحسنة
- المبحث الثالث: ضرب المثل
- المبحث الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- المبحث الخامس: الترغيب والترهيب
- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث
- الفهارس العلمية:
- ١ - فهرس الآيات القرآنية
  - ٢ - فهرس الأحاديث
  - ٣ - فهرس الآثار
  - ٤ - فهرس الأعلام
  - ٥ - فهرس الكلمات الغريبة

الموضوع

الصفحة

٦- فهرس القبائل والبلدان

٧- فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

